شَرْبل دَاغر

المَجْمُوعَاتُ الشِّعْرِيَّةُ

(١٩٨١ - ٢٠١٦)

الإخراج الفني/ نجاح مصطفى بدر

شَـرْبِل دَاغـِر

المَجْمُوعَاتُ الشِّعْرِيَّةُ

(١٩٨١ - ٢٠١٦)

المجلد الأول

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

إشارة خاصَّة بطبعة الكتاب

يشمل هذا الكتاب، بمجلَّدَيْه، المجموعات الشعرية للشاعر اللبناني شربل داغر، أي مجموعاته الشعرية الصادرة بين العام ١٩٨١ والعام ٢٠١٦؛ وهي المجموعات التالية: «فُتات البَياض»، «تَخْتٌ شرقيٌّ»، «حاطِبُ لَيْل»، «إعرابًا لشكل»، «لا تبحث عن معنى لعلَّه يلقاك»، «ترانزيت»، «القصيدة لمن يشتهيها»، «على طرف لساني»، و«دُمًّى فاجِرَة». ولا يشمل العمل الشعري- الفني :«رشم» (٢٠٠٠). كما ضمَّ الكتاب، في مجلَّدِه الأول، قصيدة داغر «الاحترافية» الأولى، التي نشرها في الملحق الأدبي لجريدة «النهار» اللبنانية، في صيف العام ١٩٧١، والتي ما نُشِرَتْ في السابق في أيٍّ من مجموعاته الشعرية. ووَجَبَ التنبيه إلى أن قصيدة «مواطن بالوكالة»، في المجموعة الأولى، نُشِرَت في مجلة «مواقف» اللبنانية (عدد ١٧ /١٨- السنة الثالثة، أيلول- كانون الأول ١٩٧١)، وقصيدة «جسر يَبْتَلُّ من هناك.. يشتعل من هنا»، في المجموعة الأولى، نُشِرَت في مجلة «مواقف» أيضًا (عدد ٢٤/ ٢٥- تشرين الثاني ١٩٧٢- شباط ١٩٧٣).

إن مجموع القصائد المنشورة في مجموعتَيْ داغر: «فُتات البَياض» و«تخت شرقي» تُشكِّل شِعْرَه الأوَّل؛ إذ تغطِّي مراحل مختلفة من إنتاجه الشعري، بين العام ١٩٧١ والعام ٢٠٠٠: ففي الكتاب الأول قصائد مختلفة تعود إلى سنوات السبعينيات، وفي الكتاب الثاني قصائد تعود إلى الثمانينيات. وتمَّ نشر المجموعات والقصائد كما وردت في طبعاتها الأولى من دون أي تعديل.

تبقى الإشارة إلى أنه جرى، في هذا الكتاب، إسقاط جميع النصوص النثرية الموازية للقصائد، والتي نُشِرَت في أكثر من مجموعة لداغر، مكتفيًا بنشر القصائد وحدها، ومن دون غيرها.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ الذين ٦/ القسم الفني

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

فُتَاتُ البَيَاضِ

المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

الإهـداء

إلى شربل: لئلَّا يصيرَ شاعِرًا.

إلى ماري: تزلق أبدًا.

إلى هالة: قصيدتنا الكاملة.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

استهلال

«وأنا أبحث عن كلماتي، عن طَلَقاتي،

عن رعشاتٍ تَضْبِطُ صَمْتي. صَمْتيَ

حفلٌ بالأقنعةِ

وأنا الصوتُ

الصوتُ

الصوتْ»

من قصيدة «فُتات البَياض».

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

فُتاتُ البَيَاضِ

استلقتْ ماري في الياء، انتظرت فاصلةً أو زَوْجًا

من الكمّاشات:

كيف أنفذُ من تشابُكِ الحروف وهي ليست مِعْطَفًا؟!

مَن يُخرجني من مُرَبَّعات الورقة؟

مَن يجعل جسدي يرتجف؟

أيَّتها اللغة الموصولة بهذا النبض السري

تقطَّعي،

تبخَّري في بُصاقي.

دعوني أستسلم لهباء الألوان، لرعشة الروح

وانبهار الجسد.

* * *

لماذا أرتبك بين المربَّعات

فالمساحة بيضاء والأصابع تلاعب الهواء؟!

كانت السطور تتثاءب: «وعرفتْ ماري أن النعناع ييبس، وأن القَدَمَ الصغيرة تتجرَّحُ كالقدم الكبيرة. وأن شربل يشخِّر...»

وتنام.

لماذا تتقدَّم الحروف كجيش نظامي تحرسه الفواصل

والنقاط تصرخ: تأهَّبْ.

أرى شجرًا مُضْرِبًا، ألوانًا تتشاكَس، و«الباء» أضاعتْ مظلَّتها في الشتاء.

* * *

خرجتْ من طَوْقِ ضفيرتها. أسرجَتْ الليلَ وتعرَّتْ، أسرجت الريح وتدلَّتْ...

خَدَرٌ يَسْرِي، جسدٌ يمحو.

بقعٌ تبحث عن قاتلها

وأنا أبحث عن كلماتي، عن طَلَقاتي، عن رعشاتٍ تَضْبِطُ

صمتي. صمتيَ حفلٌ بالأقنعةِ

وأنا الصوتُ

الصوتُ

الصوتْ.

* * *

مِن أين تأتيكِ الحماسة أيَّتها البعوضة؟!

* * *

هذه الأزهار اصطناعيّةٌ،

هذه الحروف تتخاطَف بياضَكِ،

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

كيف تأتيكِ الدهشة لرقص البهلوان؟!

* * *

أيُّ نومٍ يجعل الأبيضَ يستكين إلى حمامةٍ هرعَتْ من آخر الأفق إلى أول الزَّنْبَق؟ أين تنظِّف الحمامةُ خطيئَتَها وقد اشتبكت بالسواد العالِق في دُورِيٍّ كان ينقر شجرة تتهيَّأ لاستقبال الشفق؟

كانت صِفْرًا

فأصابتها الأرقام.

كانت نقطةً

فتورَّطَت بالخطوط وإشارات السير.

* * *

خرجتْ يومًا من سكينتها، وكانت ضوءًا منتهيًا. التقتْ بالحَجَرِ صُدْفَةً وتورَّطَت بالظلِّ.

لا تخرج إلا خِلْسَةً في الليل توزِّع رسائلها على الطيور المهاجرة.

ماذا يفعل الأبيض عندما تعاكِسُه كلُّ الألوان؟

يتوَّرط.

[لماذا لا يحدو الرماديُ بياضًا فتنجو الأشعَّةُ من قبضة الظلِّ؟! لماذا الظِّلُّ يحارب سريًّا فيجعل الشمس تحتشد؟!].

* * *

خرج النص يتجوَّل في الصالة، المخرج يضطرب زاعقًا:

مَن يدير الخشبة؟!

* * *

كان في دائرة مُغْلَقَةٍ.

جلس. استلقى. دخَّن... شخر... في دائرة مُغْلَقَة.

«من أين أخرج؟» قال.

القرد اللاهي أجابه: «هل تحمل مقَصًّا؟».

يجرجر سِلْكَ الدَّائرة خلفه.

* * *

فوق هذا الكرسيِّ جلس طارِقًا.

الذي يحمل قلمًا تطايَرَت من على طاولته الأوراقُ.

الذي يقتحم مجهولَ الأفكار ما امتلك إلَّا عدَّةَ الذَّاكِرَة.

دائمًا كان يُفْلِتُ منه على الرغم من السيجارة وفنجان القهوة والجلسة المُحْكَمَة.

ما كان يُتْقِنُ الانتظام: لماذا الحروف، إيَّاها... إيَّاها، تشتبك وتتوالد، تعكس، تعاكس وتتعاكس... ولا تنتظم إلَّا في نسق: من اليمين إلى الشمال، احترمْ الخطوط... لماذا تتكاثر الكتابة وتبقى الحروف إيَّاها؟ لماذا تتكاثر الكتابة وتبقى واحدةً: متكرِّرَةً، مُعادَةً، مُصاغَةً، مُتَرْجَمَةً، مُقْتَبَسَةً، منقولةً، مسروقة، مَنْحولَة؟

فوق هذا الكرسيِّ جلس طارِقًا.

* * *

اشترى ورقًا وقلمًا للكتابة. قال: للبياض حريةٌ وللسَّواد

قمعٌ ملطف. طرد شياطين الجنِّ. رمى المقصَّ

وجلس، كأنه زكريَّا، يتلعثم بالقول الأوَّل:

ماذا يفعل «التعب» لو اقترن بـ«الفرو»؟

ماذا يصير لو «الورد» عَنِيَ «القيامة»؟

كان شحَّاذٌ ينتظر في مدخل البناية؛ «من أين أدخل؟» قال، وجلس القرفصاء كفاصِلَةٍ تنتظر.

* * *

كان الباب مُحْكَمَ الإغلاق. تَسَرُّبٌ كالهواء يمضي بين الأصابع،

واحتفال يحتشد بدون أقنعة تنكُّرِيَّة.

دَعْهُمْ يلعبون:

لا النَّمْلَة تقرض حِكْمَةَ سليمان،

لا الشجر ينسى غصون الحروف،

لا الوجع يتهادَى في مقصورة الكلمات المعطَّرة...

والدَّمُ يُوَقِّعُ نقاطه فوق الباء وتحت النون.

كأنه محمولٌ

كأن القائل ينبثق، يأتي بلا مراسيم؛

يأتي محفوفًا بهم،

وبينهم يتَّخذ ملامحه: نافِرَةً ومختفية.

* * *

لا الكلمات صارت بيوتًا

ولا الاستعارات ملابس،

الشَّحَّاذ يوقِّع بعصاه رسومًا، ثـم يقف منتفضًا كعلامة التعجُّب.

من نافذته رمى الأقفال، مَزَّق الأوراق، ومَالَ كعلامة الاستفهام.

* * *

في زمن ينضبط فيه مدار الأرض، والفضاء يفتقد لغزواتنا،

من أين تأتي الفتحةُ؟

في زمنٍ تتهافت فيه البديهيَّات، والجزمُ بأمر خُرافَةٍ، وجنَّة

الأرض بـيعت... كيف يخرج الشِّعْرُ بِجَوْقَتِهِ (أزهار، فجر، أفق، حلم، خصب...) إلى مُدُنٍ باتت كالحاسبات الإلكترونية،

إلى بشرٍ يتكدَّسون في ذاكرة البوليس، وفي محطَّات الصواريخ كأرقام مُهْمَلَة؟

أيُّ الطُّرُق تؤدِّي إلى الأرض؟

أيُّ الطُّرُقِ تؤدِّي إلى خارج الأرض؟

أيُّ الطُّرُقِ تؤدِّي إلى بيتنا؟

المجهول ما عاد جميلًا وشهيًّا: مُسَوَّرٌ بعلامات الدمار.

ألأنَّ الكلمات اتَّسَخَت، ومفردات اللغة صارت (ربما ما عدا حروف الجر والعطف...) استعاراتٍ («الفجر» صار يعني «القبر»، «التردُّد» صار يعني «الهلاك»... وإلا «الهلاك»، لا يعني إلا «الهلاك»)؟ مساحيقُ الغسيل مغشوشةٌ والثياب اهترأت.

خاف من القمع العاري. خاف من قمع الكلمات حين لا تغيِّر أو تغسل ثيابَـها بعد التظاهرات والعروض.

ارتدى أرسطوفان قناعَه القدريَّ،

ابن المُقَفَّع لم يترك الثعالبَ ترتاح.

أمَّا نجيب محفوظ فقد استلقى في حاضرة الكناية.

هل يحتفظ بالدمع خلف القناع؟

ماذا يقول القناع؟

جلست الكلمات خلف المِقْوَدِ، قرَّرَت اللجوءَ إلى الصحراء.

هنا المدى يُشِعُّ، والمسافة ارتجاج.

أيّها الرمل (!)

أيَّتها الحروف (٢٨ فقط) تتكاثرين (!)

لِحَبَّةِ الرمل كلُّ الاتجاهات،

وهي لاغيةٌ

وهي وَهْمُ المادة وثقل الحركة.

عطفًا على ما تقدَّم، قرَّرْنا إلغاءَ أدوات الوَصْلِ والفواصل وعدم الإكثار من النقاط؛

اللونُ الأسودُ مُسْتَقْبَحٌ إلَّا إذا أتى هامشًا

والإيقاع صليل الحروف؛

الكتابة إبداعية لما تُهرِّبُ صَمْتَها (أي بمعركة)، لما تصرفُ عملتها في السوق السوداء...

هنا الصعوبة تزلق، المفردات تَكْشطُ جلدها.

تناسَلِي كالشجر.

* * *

إلَّا تلك الحروف!

ولا أُتَمْتِمُ

تلكَ الحروف

أعالـجُ

أعاجل

لماذا

باريس، ربيع ١٩٧٨

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

القصيدة الناقصة

لمَّا طَلَعَت الأرضُ من جَعْبَتِهِ الأرجوانيَّة تدارِكَت الأغصانُ جذورَها،

اسْتَوَت القدمُ...

و...

أحكمَ عقدة الأشياء.

الأبيضُ يَسْرِي،

والدُّوريُّ يتردَّد.

... حين مال الشعاع استفاق الظل؛ نَسِي التراب لون البحر واشْتَبَكَا...

نبتةٌ تشرئبُّ

والريح تَزْجُرُها...

أَحكم عقدة الأشياء،

و...

استراحَ.

* * *

في اليوم الثامن،

حين طلع من الهَدْأَةِ ينفض

الراحةَ

والتثاؤب،

تدفَّق مُهَرْوِلًا بِدِقَّةِ التوقيت المَحَلِّيِّ.

كانت الغابة مُسَوَّرَةً بعيونٍ

لا تُدْرِكُ إلَّا التراب، بسواعِدَ

لا تقطف إلَّا الثَّمَرَ المهترئ...

كانت الغابة مُسَوَّرَةً، وفيها ما فيها

لكي تركض حتى تقع،

لكي تَشْقَى حتى مهابط الأحلام،

... حتى تلاعِبَ أخْيِلَةً: مرَّةً تكون فزَّاعَةً،

ومرَّةً تكون ساحِرَةً...

وفيها ما يكفي،

ما يجعل الخمر وَشْوَشَةَ الليل

والشِّعْر الفاحم قاربًا للسَّفر...

أيُّها السفر!

الغابة كانت مُسَوَّرةً،

المَناكِبُ تتدافَع فيما تتخاصر،

السواعِدُ تتلاقى فيما تتضارب...

وكانوا ينزفون دمًا، خمرًا وأناشيدَ للسفر.

* * *

مواكب قائمة تخطر في أرض بيضاء: استكان اللون إلى ظلال تتمايَل، وقَسَمات متشابـهة راحت تختلف

فيما تتباعد...

أحدهم يرفع يدًا،

آخر يُلَوِّح بقفاه،

إحداهُنَّ تستر عورتها كي تتلوَّى...

نُعَيِّدُ،

فلترقُصْ الأشجار

واسهرْ معنا، يا قمرْ!

كانت الأرض بيضاء، الوحوش هاجِعَةً والسماء

تنسج قُبَّةَ الروح.

نُعيِّدُ،

أيَّتها الريح بَلِّغي صوتنا!

أيَّتها العَتَمَةُ تَعَرَّيْ

واسهرْ معنا، يا قمرْ!

* * *

الأرض رمادية. الظلال تـنقِّب عن مخابئها.

أضاعت النساء أساورَهُنَّ في العَتَمَة. الرجال

يقلِّبون في أرض تحت الأرض عن مخبىء للجواهر...

الأرض مسوَّرة بالفخاخ. الدماء تصل أو تحفر

السراديب...

كانت الأرض بيضاء،

والدم يجرجر تواقيعه.

* * *

الآن تنتشر الشمس إشاعة

بين البيوت، تطارد

الغبشَ الصباحيَّ؛ ينقشعُ:

جَلَبَةُ البيت، صراخُ الأطفال

وتلك الأكفُّ المُوَدِّعَةُ

ترتحلُ، تتناسل وَهَجًا

يَنْحَلُّ فوق الحقول،

يمورُ،

يستنبت قمحًا وفاكهةً.

هنا الأرض صعبةٌ، خصبةٌ
تنعقد بين الأصابع رُزَمًا، كَوْمًا
ومَشاتِلَ،
وعقودَ زهرٍ تأتلقُ فوق الصدور عند المساء.

ويعرف عند المساء، أن الطيورَ الجائعةَ
لصوصَ القمح
ترصدُهُ،
وترصده عيون الأطفال عند تعب المساء.

ينهدمُ... يتكوَّمُ حفنةَ حُبٍّ وأسى... يشتبكُ،
بين أيدٍ تتلاقى وتتباعَد في حركةٍ تنقبض
وتنفرج،

تُرخي بكاء الأطفال...
وقطع الحلوى.
... إنه الآن يتكوَّم في السر، ويوغل في
العراء، يتوالد قاماتٍ ملويَّةً، تناهض
أخيلةً وتعتزم الغربة.

ولكن،

مَن يَحمل كيسًا مثقوبًا

ولا تفارقه الغُرْبَةُ؟

كيف تواري شهقةَ الشفتين

وتنتزع العتمة؟

لماذا تنتحب وحيدًا في الغاب

ولا تصطفيك العصافير؟

لِمَن تختارُ الدفءَ، الخمر والأغاني

وتفرد الأزهار؟

أين تُفرغُ ذلك العواءَ الصخريَّ

وتلك الجلجلة الوحشية؟

* * *

وفي هذا الزمان،

حيث الدقَّةُ - الوضوحُ - الاكتفاءُ -

الراحةُ – السلامةُ - النظامُ.

كان العصرُ المرميُّ في الكتب المُصَنَّفة يتطاير

بشرًا تقرأ الجرائد الصباحية فوق أرصفةٍ تشرب

القهوة بِقِطَعِ السُّكَّر المُعَلَّبِ،

ويخنقُ الصراخَ النافر لجموعٍ تتوافدُ،

يضبطه في حاشيةٍ ما.

ترفضُ الأوراقُ ألوانَها الباهتة، رائحتها العَفِنَة،

وتسترجع البردَ، الضوء والطريق:

١-

في حديقة عامَّة ارتاح العجوزان إلى مقعد خشبي فيما كان الأطفال يجمعون أكوامًا من الخشب والرمل.

...

هل تذكر، يا صديقي العجوز، غابةَ السَّرْوِ حيث كُنَّا نغازل الفتيات بِحُجَّة أننا نلعب معهنَّ؟

حمدًا لله أننا نجد بَعْدُ مكانًا هادئًا في هذه المدينة!

...

الأطفال ينهمكون في بناء أشكال رمليَّةٍ أو خشبية فيما يَلْكِزُ طفلٌ زميلَه:

هل تعرف أن جارنا اللعين قد ضربني البارحةَ لأنني كنت ألعب بالكرة أمام المنزل؟

حمدًا لله أننا نجد بَعْدُ مكانًا هادئًا لألعابنا في هذه المدينة!

...

الأطفال يخرِّبون ما بَنَوْهُ، ويذرُّون الرمل في كل مكان...

لماذا لا تلعبون في مكان آخر أيها الشياطين الملاعين؟

وأنا على شفير الموت أخشى قسوة هؤلاء الصغار على العالم... إنـهم مجانين.

...

فيما كان العجوزان يغرقان في إغفاءة قصيرة، همس الطفل في أذن زميله:

لماذا لا يموتون؟

إنهم مجانين حقًّا.

...

زوّار الحديقة العامة كانوا يدخلون أو يخرجون من بوّابةٍ واحدة... لأن الحديقة كانت مُسَوَّرَة.

-٢

أَمَرَ السيِّدُ المهندس سائِقَه الخاص بالتوجُّه إلى المكتب الكائن في نهاية الشارع الطويل. كان الوقت صباحًا حين استرخى السيد في المقعد الخلفي وراح يدقِّق، يتفحَّص ويتحقَّق من المخلوقات الماثلة:

يتزاحمون، يتلاقون، ويفترقون.

الطرق الفرعية مُوَزَّعَة، المربّعات مُنَظَّمَة،

لكنهم راحوا يتخاصمون، فاحتارت الألوان أو تَبَلْبَلَتْ...

... المُربَّعات حاصرت النوافذ، أمر المهندسُ السائـقَ بإسدال الستائر، وراح يدخِّن سيجارته

بقلقٍ بالغ مُتَّجِهًا إلى مكتبه الكائن في...

-٣

تعلَّمَ
أن الأَلِفَ عصا الراعي
الميم كالدبُّوس
الياء خاتمةُ العذابات،
وأن الخبز يأتيه كما تأتي
الحجارة من المقالِع.

... - ٩٩ - ٣٢ - ١٦ -
٨ - ٤ - ٣ - ٢ - ١ -
صفرٌ،
نارٌ من الأرض
والسماءُ تفارق أقنعتها.
كانت النجوم تُهَرْوِلُ والفضاء
ورقةٌ بيضاء.

وتعلَّمَ
أن السماء فجوةٌ
الأرض ضيِّقةٌ،
وأن مياه الساقية
من النهر إلى البحر... فالبحر

اللحظة
يُحكم العلماءُ عُقْدَةَ الأسلاك،
تتقدَّم فراغات وأرقام
فيما الغابة تبيع جسدها،

بات يخرج كل ليلة إلى العراء
ينقِّب
عن بيت تحت التراب.

التراب يَهيلُ على التراب؛
احْفُرْ
يا مجذافَ العَرَقِ ويا
أسوارة الألغاز
تكشَّفي.

... فيما كان العساكر في
مَخْفَرِ القرية يتساجَلون أو
يتجالسون، يتواعدون على
تسليط حملة الاعتقالات
ومُصادَرَةِ الأراضي غير
المُسَجَّلَة في السِّجِلِّ العقاري
لجمهورية... و...
الديمقراطية.

والرجال يمرِّرون الفأس
بين الإِبِطِ والإِبِطِ.
حجارة تتكدَّس في أنبوب
وألیافُ الأرض تختمر...

صفرٌ؛
تختفي السلالمُ الضيقةُ،
تنعدم الشقوقُ، الجراحُ،
البيوتُ المخنوقةُ، المُرَبَّعاتُ
أو السجونُ.
صفرٌ: أوَّلُ السماءِ
... وصفرٌ.
... جلس السيد نيل
أرمسترونغ قُبالَةَ التلفزيون
... كان يضحك مع أولاده
العابثين لأنه... ولأنه...
ولأن زوجته كانت تدفع
غاضبةً الفواتيرَ المُسْتَحَقَّة.

باريس، شتاء ١٩٧٨

جسرٌ يبتلُّ من هناك يشتعل من هنا

بعد العتبة يطفو وجهي بليدًا

صادقًا كالسكين.

لطوافِ الليل منذورةٌ خطواتي؛ بحثًا عن أي شيء، حيث العتمة

سيجارتي ترسم الليل.

لا نفاذَ من الليل!

مَن يجرؤ أن يشتعل في الليل!

باستطاعتي أن أتساقط فوق الرصيف قطعةَ لحمٍ وأُخرى،

أنام في وسط الشارع أحصي النجوم، وورائي العالم يكرِّر

دعوتَه للبقاء،

يَمْتَهِنُ كل الاحتمالات بعصبيةٍ:

الأرض ليست شُباكًا

السماء منفية

فحاذِر الاختيار.

مُرْتَبِكًا بقامتـي والفجوة ضيقة. مَن يركبُ الريح في زحمة السيارات؟

وأنا ما زلت مُدعيًّا:

أقاصـيَّ طيرٌ وغصنٌ،

تلك وجهة الحل:

يغرز الطير في جبهتي

أو

يُشرِّش الورد بين أصابعي.

* * *

ما زلت مقتنعًا بألف برهان أن مكيِّفات الهواء... وأن الشرطي... وأن لا شيء بعد عينيك إلا الفرح. ما عاد العالمُ مقبولًا،

أنا وعيناك ضدَّ العالم.

أمسى الحزن رتيبًا

الحبُّ مُقَنَّنًا

أنتِ وأنا تتشعَّب أشواقنا حتى الأفق.

مزيدًا من الرغبة كي تُسْتَوْعَبَ بنا الأرضُ.

مُتَّسَعًا من الوقت كي أحبَّكِ.

تتدافع خطواتي كالشَّتيمة، وأنا أرسم الأرض كلماتٍ متقاطعةً:

هنا خانَةٌ بيضاءُ

هنا خانَةٌ سوداء

وابتكرْ لونَكَ من حديد السيارات.

احْصُرْ العالَمَ بين ضفَّتَيْن، أَعْلِنْ الفيضانَ،

وانْتَزِعْني يا فرحَ الماء بعيدًا عن الأشياء داخل الأشياء،

أسرِّحُ وجهكِ للعالَمِ لتكوني عطرَ الأشياء.

اخرجي من أفواه الكتابة، ضدَّ المصطلح،

لتكوني حفيفَ التوقُّع.

حتميَّة التَّشَهِّي.

* * *

بصدقٍ أقول لكم أنا أتعبُ وما تَعِبَ العالَمُ منِّي.

أتهجَّى ملامحي عبر الشارع الطويل، أفتقد الناس الطيبين، أبحث بين الوجوه اللاهثة، عن وجهٍ أرتديه:

بلا تَكَلُّفٍ، بلا عناء، قِفِي أيَّتها الحركة

لو تسمعونني دقيقة

...

من يحمل أحزاني ويختفي فلقد سَئِمْتُ مُعاشَرَةَ الشوارع.

أنا مُرْهَقٌ لا تحتويني الأمكنة.

يابسٌ صدري.

خطواتي حبالٌ من الهَمِّ والنوم.

في آخر الليل

يصبح الزمان لَزِجًا،

تتكوَّرُ الطرقات المستقيمة

فلتتهيَّأ امرأة ما!

* * *

حمَّلتكِ الرجاء

أعطيتُكِ مجدَ ما بعد الكتابة.

حُزْنِي ينضح كالماء.

آتيكِ

تنتشرين في المقهى بُقَعًا مُلَوَّنَةً من الضَّجَرِ العصريِّ.

أيُّها الضَّجر المُوَشَّى بأحلام المَقاعِد، أنا شهيدُك والساعة تدور، وأنتِ في أُبَّهة الاحتفال أجمل منفيَّة.

حاصرتُكِ- تختزنين:

الاقترابُ منكِ موجعٌ

الابتعادُ عنكِ موجعٌ

وفي حضرة الحب أغدو طفلًا بريئًا يكتشف أن العالم جميل للوهلة الأولى، ثم ينأى... يتجمَّعُ كشحَّاذٍ

بائس يستجدي محاولته الأولى. وعندما يقف، تنكره الأقدام، الأعصاب، المفاهيم القديمة والجديدة.

جسرٌ يمتدُّ ما بين الذاكرة والآونة، يبتلُّ من هناك،

يشتعل من هنا.
لأنك الريح والاشتعال، يشيخُ الرجاء ولا تنتفي
المحاولة، ويسترجعُ وجهك شكله الطبيعي
بحجم مشكلة ما.

* * *

طالما الريح تَعوي في أروقةِ الرأس
والمسافةُ زئبقيَّة،
يبقى الموت خاتمة النهايات والبقية
الباقية من أيامي تلويحة للخاتمة.

هكذا ينتهي دوري، أو من هنا يبتدئ دوري
لأتعلَّم المشي الصعب
أو أُعلن عجزي:
فارغٌ في صمتكَ.
حدِّدْ دوركَ
فأبطال الاحتفال حاضرون.

خاويًا أدور حول نفسي، الأفق مشنقةٌ سوداء.
صمتٌ في القلب، رملٌ في الفم،
والمكان حفرةٌ مؤهَّلةٌ للانغلاق؛

ثمّة شيءٌ مَدْعاةٌ للسقوط؛

فليَسْقُطْ!

* * *

يجيء الفجر ولا تجيء العاصفة

أمشي مستسلمًا، تتراخى الطرقات أمامي، بيتي يتَّجِهُ نحوي.

أعلن:

١- لأن السماء قُبَّعَةُ الانتظار

٢- لأن الأرض تابوتٌ يحتضنني منذ الولادة

٣- لأن الحب وردة الرجاء الأخيرة

لذلك

مُتَّهَمٌ أنتَ بالعجز

مُذْنِبٌ بالاختيار.

فلتبدأ الخطوة الأولى

حيث تحترق اللحظات الآتية

لنعيد تشكيل الأصابع

ونحدد البصمات.

بيروت، آب - أغسطس ١٩٧٣

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

مُواطِنٌ بالوَكالَةِ

تكوَّرَتْ بؤرة العرق، استحالت -بين الساعد يَرْشَحُ دِفءُ البيتِ، والحذاءُ يمتصُّ رحيقَ التعب-

مَن يُفْرِزُ النَّارَ والليل عشبٌ؟ من يُذيب السُّدودَ بين الأصابع؟

طَفَرْتِ كأعنف الخَطْوِ

كالمجيء غاضبةً سَطَعْتِ.

أُغنّيك منفيَّةً بين الكلمات، مُتْعَبَةً حيث الضوء ينهلُّ على جسدٍ مُقَطَّعِ الأوصال: وجهها ممسوخٌ، دموعُ الرصاص مجاري الخدود.

قِفْ.

الاسم: مُواطِنٌ بالوكالَةِ

المسكن: تـحت الإقامة الجبريَّة.

وهكذا،

أبـحث عن وجوهٍ مائيَّةٍ بين الرخام، لونها مُشَرَّحٌ، رائحتها سعالُ المصانع، لكي نبتكر فاتحةَ الجرحِ. لا ملجأ تحت الهاوية.

ولُحتِ بين وهج المجازر ترتعشين طفلةً موعودةً بأكياس الطحين، قلتُ وفي بطنك ألف احتقانٍ، ألف احتمالٍ:

أُلغي المراسيم

وبعد السقوط أُعلن وقتي.

لأن وردة المجيء بين أصابعي تتغاوَى؛ أُحْكِمُ حضوري:

لكِ المَتَاهُ،

حامِلًا براءةَ الولادة.

كلُّ الدروب مسدودةٌ

أنتِ الإشارةُ

مولدكِ يأتي في زحـمة النار.

* * *

... والدَّمْعُ يحفر تحت النعال بيتنا. أين نبنـي بيتنا خارج الأسلاك؟ قريبٌ وجهُكِ مني والصراخ يحرق الليل. مَن يبتلع النزيف؟ مساحاتُ الوجوه ترجيعة للقتل في كل لحظةٍ،

في كل مكانٍ. السماء تُهَمٌ ملصقةٌ، بقعُ الدمع أرصفةٌ.

حملتُ أوجاعك إنذارًا أخيرًا. أمارس الدوران.

يسكنني البعد القَصِيُّ بين عينيك وبيني ترتفع آلاف الصُّلبان:

لم يَعُدْ مجالٌ للصمتِ

أختارُ الموتَ

أرفض أشكال الموتِ

وأعلن الحياة ضدَّ بكاء الأطفال.

* * *

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

وتشتعل مدينتـي بالناس: النساء في المطابخ، والأولاد يلتهمون النوافذ.

مَن يأتي عند المساء؟

صاح الديك دمًا
غابت الشمس مأتمًا.
مُسَوَّرةٌ أحزانكِ بالغضب الأخضر!
تساقطي يا معابد البخور لأن المُتَّهمين قتلوا الشهود!
فلتمارس العدالةُ عادتَـها السريَّةَ تحت الأنقاض!
شوارعنا مزهوَّةٌ بفرح النار:
أم درمان يا نخلة من غَضَب!
بغداد أدرَكَت ذاتَها بالولادة.

لستُ غريبًا عنكَ يا وطني، إذ أعانق أَعِنَّةَ الأيدي الغاضبة. تطاير كالقذيفة من حدائق الرعب نحو صحارى الورد. ليس جديدًا أن يكتنز الخبز قنابل، وأن تأتي كموعدٍ مُنْتَظَر:

أعلن سقوط الكلمات.
الريح هاوية
وكل المدى للأيدي.
لن يأتي الرعد من السماء.

* * *

استيقظَ الصبح حزينًا. أشعة الشمس مسنونَةٌ. مَن مِن الفرسان يحصد خطواتي؟ شرطٌ لأبدأ رحلتـي أن أبتلع المجارير وتتَّسع نوافد الهرب. الشمس عصا تطاردني؛

في الظِّلِّ أنا أحتمي.

وقد يكفي ثقب إبرةٍ لأخيط كَفَنِي.

مَن يقرع الباب عند الصباح؟

... وأمي بريئة نامت. وَعَدتْ بيتها بالدفء والهدايا، وعَتْ

... بَشَرَتُها كابوس أسود، كل الأزهار أكاليل لضريح الشهداء.

صاح الديك دمًا

غابت الشمس مأتمًا.

* * *

تمدَّدَ الحزن، تقلَّصَت مسافات الأيدي. ابتَلِعْني يا مطر الصيف؛ تضافري يا سنابل الأرق؛ ازرعنـي وردةً سوداءَ تـمتدُّ خريطةَ جوعٍ...

هل النيل يبكي؟

ألمح المدينة من خلال فُوَّهَةِ المدافع غريبة الحركات، مُسَطَّحَةِ الأعضاء:

ثلاث دَفْعَاتٍ: قد يأتـي الوليد

دفعتان: سنجد فُسْحَةً وزمانًا.

دفعة: لن تَلِدَنِي امرأةٌ عذراء.

وارتأينا:

الأيدي للبنادق

والجِبَاهُ للأسلاك.

وطى حوب، أيلول- سبتمبر ١٩٧٢

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

واقِعَةُ «البطل»

إنه يُفْلِتُ مِنَّا.

كُنَّا نُعَلِّمُهُ الصعود على السلالم والنزول إلى السراديب. في كل مرَّةٍ كان يصعد أو ينزل درجةً أو درجتين ثم يستعيد انفلاته

هادِئًا كالدم

مُتَراخِيًا كالسِّكِّين بعد الذبح

كان يقفز أبدًا، لا يتعلَّم أن عُدَّةً وعساكِرَ وخُطَّةً ودعواتٍ قد أُعِدَّتْ وفقًا لما... ولا يتعلَّم الاصطفافَ بالدور.

إنه يُفْلِتُ منّا

كالهامش يحاصر النصَّ،

ويطاردنا حتى جنون المنفى.

أَلِهَذا لا ننجب إلّا الإرهابيين، القِدِّيسين والأولياء؟!

دعوه يتفتَّت، ينهار، يفرد أعضاءَهُ ويُحْصِيها.

* * *

لَكَأنَّكِ الوعرُ

القعرُ

يا سُلالةً تطمر الوحشةَ

تحت السلالم وفي الحمّامات؛

يا قبيلةً منصوبةً فوق السيوف؛

يا أوتادًا مشدودة

إلى عنق الروح، الزجاجة والهَبَاءُ المَوْسِمِيُّ.

تشلّعي.

وارفعي هذا الصراخ

-يتسلّل بين الدهاليز ومهابط العشب-

اجعلي هذا الجنونَ

كُرَةَ ثلجٍ،

رقمًا يتكاثر.

تَشظّى: جَعَلَ الحجرَ يستفيق

الرمل يغتسل

وما نسي أن النيام يطاردونه في معابر الأحلام.

تشظّى إشاعةً

تَمُرُّ ولا تَمُرُّ،

تتهبّط وتتحلّق؛

سرِّيًّا كالأعصاب، عَلَنِيًّا كالقبضات.

تشظَّى مليئًا بالهَوَس...

[لماذا يبسط «البطل» كاحِلَهُ المُوحِلَ، رعونَتَه النحاسيَّة وقلبه الصخريَّ فوق هذه الكلمات؟!]

* * *

أجعلُ هذا الجنون

كُرَةَ ثَلْجٍ

رقمًا يتكاثَر...

يَزْعَقُ، يَنِعْقُ، يَشْهَقُ، يَبْصُقُ

يتشقَّق، يتفتَّق

ويَدُقُّ طَقْسَ القبيلة.

أجعلُ هذا الجنونَ

وأُمْلِي

شَهْوَةَ التردُّد

مَقْتَلَةَ الوضوح.

* * *

الشرق يصحو.

هي ذي الأرضُ تشتهي

شَرَرًا بَرِّيًّا،

ومن جهة المَقالِع تَدِبُّ رائحةُ الرجال.

من أول المعدن حتى أطراف السنابل
من الأفق حتى آخر بيت
للشرق بَيْرَقُ الغاباتْ
قُبَّعَةُ الفراشاتْ
وهذا العَصَبُ المُغامِرْ.

تُنْتَخَبِينَ،
يا أوَّلَ العمر،
وكان العمر بين الصُّرَّة والزَّاد حبلًا
يطول أو يضيق كمشنقة.

تُنتخبين،
يا مُنْتَهَى العُرْسِ،
وأنتِ احتفالٌ يحتفل
غابةٌ من الأجساد
حَشْدٌ مُتَأَهِّبٌ من الأشواق.

[لماذا يبسط «البطل» كاحِلَهُ المُوحِلَ، رعونته النحاسيَّة وقلبه الصخريَّ فوق هذه الكلمات؟!].

باريس، تشرين الثاني- نوفمبر ١٩٧٧

مقام الرَّمل

تدافعي أيَّتها الرياح:

الرمل يلوي على الرمل

الرمل يهوي على الرمل

والأفق يراوح.

الرمل يتكاثر فيما يهاجر

ينحسر فيما يتعانَقُ؛

يتبلِّل أو يتجمَّد

يَصْفَرُّ أو يَحْمَرُّ

الرمل الذي أتى بعد مجيء الرمل

يشبه الرمل الذي أتى قبل مجيء الرمل.

باريس، ١٣ شباط- فبراير١٩٧٧

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

مقام البحر

حتى تلك الليلة
كان البحر يتثاءب،
يُمَرِّنُ عضلاتِه وينام.
مَن زَرَعَ الخوف في عيون البحر
حتى ارتدَّ مخنوقًا؟!

لماذا المَوْجَةُ
تتأهَّب، تتهيَّأ
ولا تَلِدُ إلَّا مَوْجَةً أخرى؟!

باريس، ١٣ شباط- فبراير ١٩٧٧

يختلفون كالفراشات

إلى هالة

غَنِّي أيَّتها الأرض
واهتفي أيَّتُها السِّنْديانَةُ؛
فالأطفال الذين كَمَنُوا لأعشاش العصافير
يَطْلُعُون،
من أحلام الكتب والرمل والماء
يَطْلُعُون
من برد الليالي، من لهفة الخبز
يطلعون
بأسمائهم القاتمَة
بأحزانهم المتشابكة
يلتقون كالراية
ويختلفون كالفراشات،
يطلعون
ويعيشون في الأرض فسادًا جميلًا.

باريس، ١٤ تشرين الأول- أكتوبر ١٩٧٩

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

الفراشة والحبل

إلى سعيد عقل

مُطَوَّقٌ كالطَّريدَةِ
طارت القُبَّعَةُ المُلَوَّنَةُ
والريش الاصطناعيُّ احترق.

يتأمَّل سيفه الخشبي، يتفقَّد عِرْزَالَهُ الريفيَّ،
ينزوي كالحيوانات الخائفة وينسى مُداعَبَةَ النجوم.
يذكر أنه خرج من خاصرة الصخر، نَصَبَ بين الجبل والبحر أرجوحةً. يداعب فراشة،
كانت الفراشة تأكل الشمس، تسلَّق حَبْلًا مُلَوَّنًا عَلَّهُ يعتقل الشمس. لكن الفراشة ظلَّت تدور،
وظَلَّ الحبل يطول،
ويعرف الآن أن هذا الحبل يُطَوِّقُه.

مُطَوَّقٌ كالطَّريدَة
طارت القُبَّعَةُ المُلَوَّنَةُ
والريش الاصطناعي احترق.

بيروت، شباط- فبراير ١٩٧٦

لماذا ارتَجَفَتْ في اللِّيلِ؟

إلى أُمِّي

لماذا ارتجَفَتْ في الليل
فالسُّبْحَةُ تُحْصِي الأصابعَ، والقمر وادِعٌ في الزجاج،
فالملاك يشخر في الطَّاقة والشياطين تَجْتَـنِبُ الشُّموعَ العسليَّة؟
لماذا البيت ينسى حدودَ الحديقة، الحديقةُ تَنْسَى فَزَّاعاتِ الليل؟
لماذا البيت يرتعش، ينتفض ويَنْقَفِلُ؟!

باريس، ٢٢ تشرين الثاني- نوفمبر ١٩٧٧

وَأَيْنَعَتْ أَزْهارُنا على القَحْطِ[١]

مُرْتَهَنٌ للسفر الطويل دومًا، غُرْبَة كل البيوت، وأينعت أزهارنا على القحط:

تهويمة الأغاني

ترسُّبٌ في الفناجين الفارغة

وسيجارتي تختطُّ طريقي إلى عينيك.

وطلعت من الحضارات البدائية، ناتِئَةِ التعابير، مُسْنُونَةِ العينَيْن كالسيوف النحاسية.

من أين لكِ أن تتوكَّئي سهلًا، جبلًا يرتطم في قاعي؟

ودخلنا فاتِحَةَ الضوء، وحريق يتطاول في المعبد، وانفراجات الأعمدة العالية تمتدُّ طقوسًا وثنية: شناشيلَ، عقودَ آسٍ، أقدامًا عارية والطبل يَضِجُّ يَضِجُّ يَضِجُّ... نقاوَةُ اللحم تتغاوى فوق مذبح الضحية وآتون من كهوفنا نحمل أطيابًا ولبانًا، صدأ السنين الفارغة ورصد الآتي.

يا نجمةَ الدرب الزرقاء ماذا لو تتشابك أنوارنا...

نشرشُ في لُجَّةِ الفرح الصاخب في صدورنا؟

من أين أتيتِ؟ كيف ارتميتِ؟ أمواجي صَلْدَةٌ وبحري مُغْلَق.

تمادَى حضورُكِ فيَّ حتى انتفيتُ، استغرقتُ في لذَّة التوحُّد.

* * *

(١) هذه القصيدة لم تَرِدْ في أيٍّ من مجموعات الشاعر؛ وهي قصيدته «الاحترافية» الأولى، وكان قد نشرها في «الملحق» الأدبي لجَريدة «النهار» اللبنانية، في العدد الصادر في ٢٦ -٩- ١٩٧١. ونُشرَت القصيدة لأول مرة في كتاب الدكتور مصطفى الكيلاني: «شربل داغر: الرغبة في القصيدة»، دار شرقيَات للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٠٣- ١٠٤.

وجهك منحوت من الأبنوس والذهب، كالانفجار انْوَجَدَت وغمرتني، انْزَرَعَتْ كفصلِ النار بين حجر الماء وورد الخشب:

سُخْفٌ تعاويذُنا

سُخْفٌ إشاراتُنا الحمراء

كلٌّ في عُزْلَتِه يعاني الدوار.

للصمت أقدام تعبر الجسر العالِقَ في عيوننا، كلُّ المساحات تفوح بنا وطَرْطَقَةُ الأيادي بعضٌ من أغانينا.

يَبَاسٌ أرضنا يا وَرْدَةَ الغَيْمِ هلّا تَفَتَّحْتِ؟

أَجِنَّةُ الزهر تشتاق خصاصيلَ شَعْرِكِ، وحَنَّتْ إليكِ عصافير الدَّوالي، يا كرومها غُصَّت باللون الواحد، وتشابَهَت كلُّ الأوراق بين يديك، وسمائي تضيق والأفق رمادٌ يتطاير فوق طاولتي.

كيف استطعت أن تحدِّدي مسافاتي بك، تُسَمِّرينني كالحجر المضغوط فوق المقعد وما استطعت يوما عبور سَدٍّ وهميٍّ بيني وبينك؟

تناهيت في وجودك وأتيت كأعظم ما يكون المجيء.

وتأنَّقي وتألَّقِي وانْعَتِقِي من براثن الصَّخْر يا جميلةً طالِعَة من الصَّخْرِ.

* * *

رَسَا وَجْهُكِ مختومًا كمن لم يُكْتَشَفْ، مرصودًا بكل السؤالات المزعجة. غابة من جنود الليل ترسم الحدود الآمنة. جزيرة مهجورة، في وسط البحر كُنْتُ، رحل عنها البحار الأول والأخير، أقفل الأبواب والمرايا دونها ورمى المفتاح في البحر وشباكي اهْتَرَأَتْ.

ومهما تقدَّمْتُ تساءَلْتُ عن بُعْدِ الخطوة التي تأتي وحين تفتَّت وَجْهُكِ الصَّخْرِيُّ وما انْبَجَسَ الماء عَلِمْتُ أن الخطوة التي تأتي لن تأتي.

... وأَيْنَعَتْ أزهارُنا على القَحْطِ، ابتدأَت، سقَطَت، وما انْتَهَيْتُ...

تَخْتٌ شَرْقِيٌّ

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

نَظَرٌ رَقْرَاقٌ

زُرْقَةُ التي تنحني على نافذتها
محبرةٌ لِلَّذي يمسك ريشته
ويلعق الأشكال الخبيئة،

وزهرةٌ ما يَعرض له
استباقٌ شغوفٌ
لنَظَرٍ رَقْرَاقٍ.

كأنَّني رجالٌ يجرُّون الماءَ برافعات هيْكَلِي

بشيكطاش وإسكودار[1]

تتبادَلان الماءَ

مثل جرائد الصباح

في مقهى الصيَّادين.

يحطُّ المسافرون

يُغادِرُ المسافرون،

وهؤلاء يتلقَّفون من أولئِكَ

أَسًى مُقيمًا

وأمنياتٍ مُرْجَأَة

بخلافنا

على جِذْعَيْن.

* * *

(١) بشيكطاش مرسى الضفة الأوروبية من مضيق البوسفور، الفاصل بين قارَّتين، في إستانبول، وإسكودار هو المرسى الذي يقابله في الضفَّة الآسيوية.

على الوجوه ستارٌ شَفيفٌ

لرسومٍ وهيئاتٍ

تخرج من أطيافها

وتدخل في أجسامها...

لقاءٌ عَجولٌ

بين ضِفَّتَي بابٍ:

ما يكفي

لإرجاء حسابات

وتجديد عَقْدٍ

بين ربَّانٍ ومسافرين.

في العيون اعتكارُ

غُبارٍ

وغَبَشُ

جلاءٍ

لِمَا طفا من انتظارات مُعَلَّقَة

وفي الحركات مَسٌّ رفيقٌ

يُسَوِّي الهواء

مثل نحَّات في مَشْغَلهِ...

وفي الخطوات

-إذ تَحُطُّ على اليابسة من جديد-

برقيَّاتٌ في كُلِّ اتِّجاه

من دون ساعي بريد

لتعويم الرجاء.

* * *

يتقدَّمُني طَرْفُ لساني

مثل مجذافٍ

يَلْعَقُ

تَوْقَ الوصول

كما في مضيقٍ.

وبين الضِّفَّتَيْن

جسدي رقَّاصُ ساعةٍ تنقضي

بِـهَوَسِ الجَذَّافين

وهم يتناوبون على الماء...

وما أن أرسو

أُبحرُ

وما لي بَوْصَلَةٌ، ولا تواقيتُ،
لي وحَسْبُ هَوَسُ التَّرْحالِ،
كأنَّ له تقاسيمَ
تستقيم في تكرارها،
وتنتشي تِباعًا.

هكذا أنتِ أمامي:
مَقْصِدي وسبيلي،
هكذا أنا أمامكِ:
رفيقُ سَفَرٍ، والسَّفْرَةُ نَفْسُها.

يعرض لي وجهك مثل نافذة
تتدافع فيها العلامات:
كأنني خَطَّافُ صُوَرٍ
أو جَوَّابُ تِيهٍ،
كأنني منارةٌ على المحيط:
لها الاتجاهات كلها،
مقيمة ومسافرة،
في آن.

بمتناولي، ومُشْرَعَةَ الوَجْهِ

ما يدعوني إلى لُجَجٍ

هي عَيْنُ ما أذوقه

مرارًا وتكرارًا،

على طرف أصابعي

وفي منتهى عيني التائقة.

أُقَلِّب وجهك

كأنني أتقدَّم في غابة

لها من سواعدي فروعٌ

ومن رقصي إيقاع الفصول.

ذلك أنني أُبحر

ممَّا رَسَت عليه اعتياداتي

وأتهادَى في ضبابٍ

تائهًا، مستهديًا،

في جسدي الضَّيِّق:

أأنتِ سفينةٌ أم غَيْمَةٌ؟

أهُوَ إبحارٌ مقيمٌ

في اشتهاءِ مجهولٍ

له فُجاءةُ الأُلْفَة:

- أكنتَ أنتَ؟

- أكنتِ أنتِ؟

أم تِيهُ غيمةٍ

تسأل مطرَها

عن أرضها:

أَهِيَ ثَمَرَتِي ما ينتظرُني

في احتباس الماء؟

جلدي بين راحتيك شفَّافةٌ

لما غار من رسومي،

ولما فاتني

ويختلج في دبيب أناملي.

سِرِّي مُضْمَرٌ،

وله أطياف تتسرَّى حتى في واضحة النهار:

هذا عرفتُه قبل يومين،

وهذا أُوَدِّعه إلى غير رجعة،

وذاك يكتفي بإلقاء التحيَّة على عَجَلٍ،

فيما أبقى ساهرًا، حارسَ الهيكل،

مثل أَبٍ مهموم...

بديلي يتقدَّمني
مثل مُرْشِدِي
وأنا، بخَشْيَة اللصوص،
أَسْتَرِقُ النظر في عُقْرِ داري
وأطمعُ في قَضْمِ العنب
مثل ثعلب يلتذُّ في لكح شفتَيْه
أكثر من حبَّات العنقود.

تستلقين على طرف لساني
فمن أين لي أن أُصَفِّف يومي في مفكِّرتي!

وإذ أخرج منك
فَلِكَيْ أَجِدَك!

لهذا أهزجُ كلَّما اصْطَفَقَت ورقة بأخرى
وأخال الأغصانَ صفًّا من منشدِين
والعابرين مَوْكِبًا،
ويدخل بعضي في بعضي
في التحامٍ راقِصٍ
له عضلات الجذور
وفَوْحَانُ الثَّمَر.

ضباب فوق المضيق:

لا تُبالِي به السُّفُن

فيما الوجوه تُبَدِّلُ ملامحها

لمسرح مكشوف

في عراء الليل،

لعروضٍ يتناهب فيها الثيابَ

ضيقُ الأجساد.

خليطٌ في المضيق

وهواجِسُ مُقِيمَة،

كما لو أن الأرض نصفان،

يتلصَّصان،

هذا على ذاك،

في اشتباه الحدود

وقلق الرغبات.

أخال الجذَّافين المَهَرَة يرتاحون،

والأشرعة مطويَّةٌ تحت إبطي،

وأن لي إِمْرَةَ السفينة

الراسية

في ظنوني...

وإذا بـي لا أقيم في حدودي،

فالرِّيح تُمْلِي

والشراع ورقة الهبوب،

ما يجعلني

احتمالات في جسد،

بل احتماله الأصفى.

بل:

«أنا هو آخر»

في مضيق الشَّفَتَيْن.

شهوتي لا أوراق ثبوتية لها،

تُساكِنُ أطيافي

خِلْسَةً،

وتسرد لكل منها سيرة

بوصفها سيرتي،

فأُقْبِلُ عليك بخفَّة الرُّوَّاد

وصبر المُنَقِّبِين،

كأنني رجال،

واحد بعد الآخر،

يَــجُرُّون الماء

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

برافعات هيكلي.

***

مياهٌ داكِنَةٌ

وحطامُ بقايا خافيَةٌ

وعيون مُرْخاةٌ

على حفيف أخير

لشراعٍ لا دفَّةَ له.

والدُّمْيَة «باربي» تستلقي

مثل سابحة...

وزجاجةٌ فارغة

تبحث عن شاربِيها

الغافلِين...

مياهٌ صَلْدَة

أقرب إلى بلاطٍ مُشِعٍّ،

وأشبه بمرآة،

لِخفَّةِ العابرين وهَوَسِهِم.

مياهٌ لخشبة

ذات أرقامٌ ومقاعِدُ

يُمْسِي الرَّاكبون فيها

قاعدِين،

متفرِّجِين،

على رُكَّابٍ غيرِهم...

وينتظرون خفافًا

لُعْبَةً أخرى

يكونون فيها راقصِين

في حُلْمٍ لا ينقضي مع انتهاء الرحلة.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

مَشْمومٌ

خَيْطٌ أحمرُ

على بياضِ ياسَمين،

يشدُّه كما وريدي،

إلى انعقاد ثدييها،

خيطُ شهوةٍ

يتسرَّى

في تِيهِ الليل.

باقةٌ محبوكةٌ

تستجمع، يومًا بعد يوم،

أشواقًا تَبْلُغُها

من خَلاءِ الأَسِرَّة

ومن وقع خُطَى تحت الشُّرفات.

شهوات كامِنَةٌ

وعِطْرٌ محفوظ

زهرٌ يَلْتَمُّ على بعضه البعض

في موكب طقوسيٍّ

له في يديَّ

طَوافٌ...

أريج الفُلَّة فيها،

فلا تَشُمُّه إلا بالدُّنُوِّ منها،

وخيطُها

زنَّارُها

يذيع رسائِلَ الطيور

وهَمْسَ العَتَمَةِ

في قِبابِ الليالي.

بياضٌ يَدْكُنُ

مثل شهوةٍ تنقضي

فلا يبقى في الزُّهَيْراتِ المتساقطة

المَدْعوكَةِ

غير

أشباحٍ تَسَرَّت

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

بحثًا عن هيئاتها

في رغبات الحدائق.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

تَخْتٌ شَرْقِيٌّ

دَوْزَنة

خلْتُني أُحَرِّك عصًا لِكَمانٍ، لأوتارٍ عَصِيَّةٍ ومشدودة، وإذا بي أحوط جِذْعَكِ مثل عود. وتيقَّنتُ من أنَّ لَكِ وترًا واحدًا. يَسَعُ الأنغام كلها. بل قُلْتُ بعد ذلك إننا، في آن، لِعَزْفِ كمانٍ وعود، بل بالتناوب: حركات، ونَقَرات، طالـما أن جَسَدَكِ طَرِيٌّ ومُمْتَنِعٌ، دفين أو راعِفٌ.

وأنا لا أتحدَّث عنك، بل عنِّي فيك،

وعنَّا، في فضاء حيويتنا.

وأنا لا أَصِفُكِ، بل أُعايشُكِ.

ولستِ على مرتبة لكي أرتفع إليك، أو أبلغك، بل بين يدي، مثل حروف، صامِتَةٍ وفصيحة.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

مُحاسَسَة

للأصابع كلامٌ كثير وجُمَلٌ قليلة

ولها سطور نحفظها عن غَيْبٍ

نرسم عليها ما يبلغنا

في الخَفْقِ

في دَفْقِ العين.

للأصابع ذَاكِرَةٌ وتقاسيمُ:

استنطاق الغياب

وترجيع الذِّكْر،

ولها نقراتٌ ومُلامَساتٌ

تُظْهِرُ ما خَفِيَ

وتتفرَّع أغصانًا لشجرة وارفة

تحيق بالجَسَدَيْن.

وللأصابع ريشاتٌ

لَوْنُها من مَدًى،

ولها أوتارٌ

نغماتـها من حفيف،

تجعلنا في ثقيل أعضائنا

نَرِقُّ ونَشِفُّ

أشبه بنسيم التكوين.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

قِطَّةُ الدَّعَة

هذه الدَّعَة التي تحمل خدَّكِ الأيسرَ فوق هَناءَة المخدَّة
قِطَّةٌ
أَسْبَلَت وَبَرَها
وأَرْخَت عينَيْها
على التئامٍ
لأجنحة تتابع دورانَها
فوق شُعَيْراتِ صدري.

امْتِلائِي بكِ

والحالُ أنني لَهَوْتُ قبل أن أستعيد أيَّ لفظ فاتني إدْرَاكُه أو الاستماع إليه،
وراهَنْتُ قبل أن أجعل من دورة يدي أُفُقَ الانتظار،
وبكيتُ، وما كان لبكائي هذا المذاق،
ولا لضياعي هذا الخُسران...

والحالُ أنني غفوتُ وما نِمْتُ،
وسَهَوْتُ من دون أن تدركني،
وتحلَّلْتُ من نطاقي من دون أن ألتقيها...
أستوقف وأدقِّق
على أنها رسالة لي،
وشاردة،
ولا أعتاد كفاية، بعد، على امتلائي بكِ
ما يكفي لأن أتحقَّق منك وأنا أحادث الآخرين،
كما لو أنني خلف زجاج: تبلغني أصواتـهم وحسب،
أو أمام شاشة صغيرة تعرض فيلمها لكنها تراني في جلستي: هي المتفرِّج، وأنا الذي يُقبِّل في «النهاية».

جُرْمٌ مَشْهودٌ

جارتي باغَتَتْني: «كم أنت جميل، اليوم!».
تداركتُ وجهي بالجريدة
وأسرعتُ إلى السرير،
إلى سِرِّي،
مُتَخَفِّيًا، مُتَلَبِّسًا
بالجُرْم المشهود.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

أُحِبُّكِ

هذا الإمساك عن الحركة

والامتناعُ عن الكلام

يُثيرانِ حنق الانتظار

ونَدَمَ الأنفاس:

لهذا ألغو وألغو

ولا أخجل من الدَّوران

طالما أنني لستُ أقل حُمْقًا من عديدين جهروا بجسارة الفاتحين: أحبُّكِ.

عجيب

ومن عجيب أمركِ أنَّكِ عِشْتِ من دوني
وبَكَيْتِ من دوني
وابتهجتِ من دوني،

وتأتين، اليوم، لتعتذري لي
أنا الذي عشتُ من دونكِ
وبكيت من دونكِ
وابتهجْتُ من دونكِ،

كما لو أنكِ تخلَّفتِ من موعد الكواكب
أو القطارات
أو خالفتِ خطواتي فوق الرصيف عَيْنِهِ
فيما كانت الطرقات أوسع من خطواتنا
وشميمنا أضيق من أن يتعقَّب لهاثنا،

لهذا ترانا نحبُّ كما لو أننا نعتذر

ونلتقي كَمَنْ يَنْدَمُ.

زَخَم

بعد وقت،

أستعرض زَخَمِي،

مثل جيش من غيوم:

لهذه شَكْلُ حصانٍ جامِحٍ،

وهذه تبتعد مثل هيئة تغور في مرآة،

وتلك شُرْشُفٌ مَدْعوكٌ...

بعد وقتٍ،

أستدرك في الغيوم

صوري الفائتة،

ولها شكلُ فِرَقي وخُطَطِي،

وفَعَلَتي المُكِدِّين،

الذين تحت إمرتي،

أنا الجنديُّ الوحيد...

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندرين ٦/ القسم الفني

ولها رِقَّةُ وصَخَبُ
عصا المايسترو:
إذ تأمر تتبعُ ما في النوتة،
وتسحب من الأوتار
ما أَمْلَتْهُ الشرايينُ.

فنحن نحبُّ
بأَناةِ البنَّائين الصابرين،
ونغرف من حَوْضِنا،
بل نُنَقِّبُ في منجم
عن ذهبٍ نُسَوِّيه،
له جلدُنا
شاشةٌ أخيرة.

أُقِيمُ في سَفَرِها

هذا الجَوْقُ الخافي في باحَةِ
التَّوْق ينفرد بأصابعي
ويعزفني...

هذا التَّوْقُ النافر من زُرْقَةِ
الانتظار
يواكِبُني
إلى خَشَبَتِها
بصُحْبَةِ المنشِدين والمتفرِّجِين...

أُقيم في سفرها،
وأُبارِحُها كي أعود إليها...

وهي، في تمارينها،
مثل نساء يتعاقَبْنَ،

واحدةً تِلْوَ الأخرى،

على الدور عينه.

صمغ

صَمْغٌ
في راحة يدها
من صنوبرة
خِلْتُها في عُلُوِّها
لا تَنْحَنِي،
وفي انكماشها
تمتنع عن الإخبار...

ماءٌ يَنْبَجِسُ
خلسةً،
يسردني على عَجَلٍ
على مسامِعِ أصابعها.

صمغٌ
لزِجٌ

دَبِقٌ

وارَى في الشقوق دفاتِرَ

العَتَمَةِ النافِرَة،

نَسْغٌ مُجَمَّد

غار

بَحْثًا عن ثمرته،

فلا يعود من دونها.

اسْتِبَاقٌ مُؤَجَّجٌ

في انتظارها
لا يَجِدُ الوافدون مقاعِدَ
على الرصيف،
ولا في المَناظر.

يتدافعون ويتقاطعون
من دون أن يتقدَّموا
فعلًا،
أو أن يتقهقروا
فِعْلًا،
يصفِّرون وحَسْبُ
لقِطارٍ
فيه مقصورةٌ وحيدة
تَضِجُّ في انتظارها.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

فُقْدانٌ

في غيابها
يُمْسِي الشاربون حول المأدبة
فاغري الشِّفاه،
والراقصون على الحَلْبَة
صاغرين
لموسيقى صامتة،
وهؤلاء مثل أولئك:
لا يتمالحون
في قَصْعَةِ المَوَدَّة،
وفي غيابها
ينصرف الكلام إلى «لسان العرب».

تَواطُؤٌ لَطيفٌ

يقولون إن للصدر حدودًا،
قَفَصًا:
فِعْلًا، بدليلٍ أنني أخرج منه مرارًا
لِزَهْوٍ
أو فَوَحَان،
كما لو أن الأرض جِسْمٌ حَيٌّ،
تسري فيها قُوًى، هي التي في أصابعي.

فأنام
على أن أحلامي تتعهَّدني،
تحرث خطوط يدي،
فأُراقِصُني
من دون موسيقى:
قِطٌّ مُتَنَعِّمٌ يختال بشارِبَيْ أسدٍ.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

ممثّلون فوق خشبتي،

يتواجهون ويتجادَلون،

يمسكون نِتَفًا من حوار،

وأنا، قابعًا في العَتَمَةِ،

أتسقَّطُ السَّمْعَ،

بخلاف المُلَقِّن،

وأستردُّ ما فاتني في الليل.

ذلك أنني

-إذ أستفيق-

أهزج بنومي المنقضي،

مخمورًا من دون كأس،

ناشبٌ في ما يعرض لي

أظافرَ شَغَفِي،

فلا الزهرة لاهية عمَّا يوقِدُ أناملي،

ولا الشمس ترسل أشعَّتها لهذا وذاك،

معي،

بل تبادلني هذه وتلك

تحيَّةَ التَّواطُؤ اللطيف:

أن تتظاهر بشَراكَةِ الغَيْرِ لِمَا هو لنا

مثل غيمة النعمة فوقنا.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

أغار

أغار مني معكِ
وأنت تستبقينه
على طرف شَفَتِكِ السُّفْلَى
يبادِلُكِ
ما لا يَسَعُه جسدي الهامد
مثل منشفة مرميَّةٍ
على طرف السرير.

وأغار
إذ تُسْدِلينَ عَيْنَيكِ عليَّ
في خُلْوَةٍ
تبلغنــي منها
ابتسامات رضية
وحفيفٌ خفي.

أغار، ويعزِّيني

كَوْنِي المتفرِّجَ الوحيد

الذي يوقِفُ العَرْضَ

ويستردُّ أصابع الممثلين.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

عن أنَّ سَاعِدَيْكِ أُفُقِي

أَصِلُ إلى حدودٍ

سبقتني إليها قيودي...

أصل إلى حدودِ

تحمُّلي، حدود رغبتي، حدود

أَلَمِي التي هي في آنٍ حدود

امتناني من أنكِ أَوْصَلْتِنِي

إلى حيث لا أَصِلْ

إلا معكِ

إلا بكِ. وهي حدود الخوف، إذ يتملَّكُني

تَوْقُ الاندفاعة الأخيرة، المتبقِّية

في نهايات القُدْرَة، في

قطراتها الأخيرة، في

دمع جسدي، في

ما يصعد منِّي ويتقدَّمني...

ذلك أن هُبوبَكِ حرّك الهواء

الشاغِرَ بيننا، وخلاء

جسدينا، فأعاد تشكيله

من جديد هواءً

راجحًا، مليئًا، عابقًا

بنارَيْنا، فيحتمي الجسد بما يشعُّ

منه،

عريانان ومُدَّثِّران بِحُلَّةٍ

من نار، هي قوتنا

هي إبلاغاتنا، التي تبني ما يحميها،

ما يجعلها سيِّدَةَ أمرِها،

حتى إنَّ للنار ما يَشْغَلُها، ما

يُحْيِي المدى المحيطَ بها. كما لو أن

رموش عينَيْك تَقْوَيانِ

على إسدال ستارة

تستدعينني إليها بِقَدْرِ ما تحوطني.

وأنا لا أستمع إليك، بل

أصيخ السمع لِهَسْهَساتٍ

تصدر عنك، من مُلامسات

الشفتين، من احتكاك بياض

الفَخِذَيْن، من تدافُعاتِ قلبكِ أو وَجِيبِهِ

الدَّفين، قبل أن يصدح صَوْتُكِ
مثل أجراسٍ، صاعدًا من أعماق
الوادي، غامرًا ضفافه وجَنَباتِه، طافيًا
وطافحًا بِزَبَدِ الامتلاء
ناثرًا فَقْشَ النَّشْوَة،
تصرُخين: من هذا
البُعْدِ، من هذا التَّوْقِ أناديكَ، فاسمعني وانهضْ
للقائي.

أدور وأدور حول حوافِّ
جِسْمِكِ نحَّاتًا،
وأُسَوِّيه بـملامساتي
خزَّافًا، راقصًا طامعًا
بنشر الجسد
بـما تحمله أجنحةُ الشهوة فيه.
بعد أن درتُ ودُرْتُ، وسَلَكْتُ
السُّبُلَ عَيْنَها
لهذا وذاك، عَمْدًا
لكي أفرِّغ الحركات من معانيها
الاعتيادية، وأصبُّها
لترحال لذَّتي.

في المواقع عينها، على الدرجات
نفسها، التي للعابر أو المُسِنَّة
أو للغادي إلى حقله،
ولكن لفعلٍ آخر، هو أخصُّ
ما يـخصُّني به الجسد
من رغبات وتعيينات:
أن أحتفل بكِ
معكِ.

وراعَني أن الشمس رافقتْني
في نُزْهَتي، والزهور
استفاقت في عيوني
لتكحيلهما بما يليق بخُصْلاتِ
شَعْرِكِ، وليزداد بريق عينيك
اتِّساعًا. كما لو أن دورة الكواكب
والمجَّرات تدبَّرت انحناءاتها،
مَيَلانها على الأرض، بحيث
تركِّز في الأشعة المتنزِّلَة
فوق مهابِطِ خَطْوِكِ ما يضيء مخادِعَ لِشَهْوَةٍ مُؤَجَّجَة.

أَأُريد أن أصل إليك أم أن أعبُرك؟

لجنبات الطريق الإسفلتية اندفاعات، نداءات
عبور، تجعلني أتشوَّق إلى مُلامَسةِ بياض
فخذيك، الناهِضَيْن بدورهما
صوب ملتقى المنخفضَين
مثل هاتَين الرابيتَين
الَّلتَين تلتقيان مثل انفراجة.

أعيش فيكِ، في
مدى لا نَتَوانَى عن توليده
فينا، حولنا
فيشعُّ منَّا ويصوننا
فأخالني غريبًا عمَّا يحيط
بي حين أخرج منك
إليه، وأراه في صورةٍ غَبِشَةٍ
من دون مادِّيَّته
الراجحة، كما لو أنه من طيف أو من صور هاربة.

هكذا أستبقي حالي في
ما كانت عليه، عامِرَةً
بدفءِ زادها، أو أتنعَّم

كُلِّيًّا بحلاوتـها المديدة والباقية.

حتى إنني أتساءل أحيانًا:

ألَّا نكون نعيش في

هذه الجلسات، ما لا يعيشه غيرنا

مدى العمر؟ أو أننا نبلغ في ساعات، متكرِّرات،

نشوة أو مراتب في العيش، تعطينا هذا الشعور

بِعُمْق، بطول، ما نعايشه

أشبه بأعمار متعدِّدة في عمر واحد.

هكذا أقول إنك تَلِدِينَني

من جديد، كل مرة، طالما أنَّ لجسدي

مع جسدك، بين يديك،

طراوةً هي التي للطفل

بعد ميلاده، وهي التي للعاشق

بعد أن يكون ماؤه قد أنبت

زَهْرَ اللذَّة فيه مثل شجرة،

للغصن فيها

أن يعطي الثمر وأن ينشر الظلال.

لهذا قد يكون الرقص شكلَ تحقُّقنا

الأمثل إذ يؤدِّي ثِقَلُ الشهوة

الطافحة منا إلى أن نصير خفافًا بأجنحة الرغبة.

هكذا أستعيد جسدي

بكِ

من غيري، من غيره.

وأصبح قَوّامًا عليه -يا للمُفارَقة!- في

اللحظة التي أغدو فيها رقيقًا، خفيفًا، طائرًا.

حينذاك أتحقَّق من أن ساعِدَيْكِ أُفُقي،

وأنا السَّاعي الشخص إليه.

ارتواء العلامات

ماءُ كَلامٍ

هذه ليست من حروفٍ وأصواتٍ

إذ إنها تخشى برودة الصفحة

ما أن يتناثر في الهباء

رذاذُ ضحكنا

ويتساقط من الجُمَل ارتواء العلامات.

عَرْضٌ مُتواصِلٌ

أنا أكتبكِ، لا أحكيكِ،

طالما أنني أستشعرُ، بعد وقت، ما فاتني

مثل فيلم مُسَجَّلٍ

لا أتوانَى عن إعادة الصُّوَر فيه

بطيئةً

بمذاق الشهوة المؤجَّلَة.

جنيننا

هذه الكتابة جنيننا،

كمن يجلو صورةً- صورته المُرْجَأَة،

صورته المُمْتَنِعَة:

أَأُريد الخروجَ منكِ، أم الإبلاغ عنكِ؟

أهو زهوٌ في رسالة إلى غيري أم التِماسُكِ في الفقدان؟

هذه الكتابة انفصال عنك وإن تحكي عنك،

وفطامٌ

لا يُنْذِرُ بالرجولة.

تَطْريساتٌ

مَسامِّي احتشادٌ ضاجٌّ
يضيق بجسدي
الذي يتصلَّب
ويقوى على إهالَةِ مائه
في حَوْضِها.

ومن فرط ما ضغطتُ وألححتُ
مَحَوْتُ
وخِلْتُك بَرْدِيَّةً فرعونيَّةً من دون تطريسات.

فُتاتٌ

خطٌّ طويل من النمل
يتناقل
هذا العَبَقَ الطائِرَ
ويشْقَى في الطريق...

وأنا بين مصراعَيْ بابٍ،
بين وداعٍ واستقبال،
طالما أن فُتاتي،
إذ يتساقط من المأدبة،
يفتتح شهية الكلام.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

تواقيعُ

ورقتي تجلو ما يتدفَّق في عيني
من مشاهِدَ كامِنَةٍ.
ولِيَدِي سطورٌ مطويَّةٌ أُقَلِّبُها
بأَناةِ القرَّاء
عند الغَسَق.

ومع ذلك،
أيُّ ضمانٍ أكثر من هذا:
أن يُسْلِمَني ساعِدي إلى ساعِدِي
كما في سباق البَدَل.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

تقليب الحروف

قُبُلاتِي مُفرداتٌ،

وجِذْعِي جملة

يُلِحُّ على الحروف إلحاحًا،

هو نفسه

وغيره

في آنٍ،

واجدًا فيها -ما أقلها!-

سعةً لقاموس.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

فرعون

تنضج الألفاظ في مقالِعِها،
تتساقط مثل ثمرات
ثَقُلَتْ بأحمالها،
كأنها فِرْعَونٌ
تبني بمشقَّة الصابرِين
التَّعْبَى
ما يحسبونه من هَوَسِ الخالدِين.

أليفتي المجهولة

ولما اشتدَّ عودُها
رَمَتْنِي
من دون أن تَلْوِي
على حيرتي
واقفًا على بابها
مثل زائر
في هيئة مُتَّسِخَة،
مُعْدَمٍ أمام أَلَقِ البُروز،
يكتفي بسرد ما جرى
أمام زُوَّارها المتبرِّمِين:
«لما التقطتُ حجرًا لبيتها
على قارعة الطريق...».

هي، مع ذلك، من هواء
-هواء نَفَسي-
ولها جَسامَةُ القصيدة.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

برقٌ واعدٌ

عيناي غائمتان
تقبعان خلف ستارة،
تستردّان،
تُقَلِّبان،
ما اسْتَبْقَتْهُ من صور
كما من نافذة في قطار.

عيناي تسجّلان
مثل «الفيديو»
في غفلتي...
وتُمليان
على حروفي
دَفْقَ الينابيع في احتباسها.

عيناي حدودي

تجمعني وتفصلني

بما يصير نِدًّا لي

أو بَدَلِـــي...

عيناي

برقٌ واعد

في سماء مُعْتِمَة،

وأنا، في كفايتي،

صعدتُ في منطاد.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

ما أصير

أنا فيكِ،

أنا معكِ،

أشد إبلاغًا

وتعرُّفًا عمَّا يمكنني أن أكون:

أعليَّ أن أسافر لكي أجد نفسي؟

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

جَلِيسِي

أنا الآخر

هذا الذي يسير إلى جانبي

لا يحادثني،

لا يبادلني التحيَّةَ في الصباح،

يشتري الجريدة نفسها،

يمزِّقها في وجهي،

ويمضي،

إلى المقهى

ينتظرني.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

مجهول باقي الهوية

أستعيدُها في كرسي
الاعتراف، بعد أن أُشعل
قنديلي، وأراها على ستارة
مضيئة-
خشبة أستدعي إليها
مَن أشاء
وأَدَعُهُم يتدافعون بالمناكب
أمام بابي:

لا أقوى على النوم
قبل أشباحي!

طفلي/ أبي

في غرفةٍ مُضاءَةٍ
في وضح النهار
أجلسُ إلى ورقتي:

أصواتٌ أم أصداءٌ؟
مرآةٌ أم نافذةٌ؟

أُمرِّرُ أصابعي على وبر ناعم
أشدُّ عليه تعويذةً
وأنتظرُ طفلًا
ينتخبني أبًا له.

يُرَبِّتُ على كتفي

يُطْبِقُ عليَّ الهواء
وفي خطوي ارتجافةُ مَن
يخشى اعتقاله بالجُرْمِ المشهود.
ومن كثرة ما ارتعدتُ في ركني
لقيتُه يشاطرني المائدة
وشراشِفَ الليل.

جليسي
على مقعدي
يُرَبِّتُ على كتفي
حين أمتعض.

أينما كنتُ
كمن يَزِنُ قدمه
قبل أن تصبح خطوته.

كانت الصورة تَصِلُني

من تلقاء نفسها، أو أدعها

تنصرف إلى مواضعها من دون أن أتفحَّصَها.

ليست للغريب مهابة

دولة، إلا أنه يُدَقِّق

مثل شرطيٍّ على الحدود

مثل منارة على المحيط:

تستهدي السفن بها

وهي في العتمة.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

٥٠٥

يصطفق البابُ ورائي،

وفراش ليلي المدعوك،

وتعبـي المتحلِّل في ماء فاتر،

ورقمي المؤقَّت...

أُخَلِّفُها ورائي بنزقِ العَجولِين،

خفيفًا،

وإن تتدافع بالمناكب

أطيافٌ تحاور أطيافًا

عن مواعيدَ مُرْجَأَة

فوق أرصفة المراسي.

نَرْدٌ يَسْبِقُني

مائلةٌ على جدار

صورةُ

هذا التَّوْقِ

الذي لي

في تتبُّعي لمشاهِدَ خافِيَةٍ

ظَنَنْتُها محروسةً

تنتظرني

وتبلغني

مثل رسالة مُؤَجَّلَةِ الاستسلام.

مائلةٌ

لترى في الشقوق

أخبارًا مُودَعَةً

مثل زهرة الانتظار اليابسة،

وفي عيون العَتَمَةِ

حشودًا من أشباح ونجوم هاربة.

من يلوي قامتي

لكي تستدرك شغفها؟

مَنْ رماني

في غفلةٍ عنِّي؟

من يتعقَّبني،

ويدي نَدِيَّة

لا تُبالي

ببرودة الغبار!

تَرَبُّصٌ

هي منِّي، مثل يدي،
وهي فيَّ، مثل نَفَسي،
لـها هيئتي من دون اعتياداتي...

ومع ذلك أتعقَّبُها، غريبةً،
شيطانًا يعبث في أوراقي...

تسبقني، وهي تلاعبني،
وأعدو خلفها، كما خلف سارقٍ.

مكيدة

اللاهون في غفلتي
يَكِدُّون
على منوالهم
وينتظرون
دعوةً إلى وليمة
لا تنبسط شراشفها...

ولهم هيئاتٌ صابرة
وديونٌ متراكمة...

فكيف أُفلت
من مكيدةٍ مُدَبَّرَة
لـها وريدي خيطٌ
ورغباتي إبرة؟

مُبَاغَتَةٌ

يتبعني وجهي إلى حيث أرى

له وجهًا

يتلوه

على مسامع الناشبِين

أصابِعَهم

في صَخَبِ الحواسِّ

فلا أضطرُّ

-على عادتي-

إلى مباغتة حياتي

في الحروف.

عَتَباتٌ

أهذه

حدودٌ

وظِلّي يلاعِبُ أَخْيِلَةً

وادِعَةً في شقوق الجدران؟

أهذه

أَخْيِلَةٌ

وتَوْقِي يُدافِعُ الهواءَ الرَّاكِدَ

فوق أَسِرَّة الراقدين؟

أهذه

عَتَباتٌ

تستقبلني أم تَلْفظُني

تستدرجني أم ترميني مع جَعْبَتِي؟

عَتَبَتِي حَشْدٌ

وأنا، مسافِرٌ أمام شُرْطِيٍّ،

أنتظر دَوْرِي،

أنتظر غيري

طالما أنهم يُجيزون دخولي

لِمَا هو بيتي.

مَن يَقُولُني: جواز سفري أم لحيتي؟

مَن يَقْبَلُنِي: ختْمُ الشرطة أم عين جارتي؟

هذه

جارتي على نافذتها

تستدرك بالعين

ما سقط بين الخطوات

وتتلقَّف إبْرَتُها

خيطًا من أخبار:

كيف لي أن أَعْرَى في بيتي

من دون أن تبرد،

وأن أتراقص كالجِنِّ

من دون أن تشكوني إلى نحيب الشموع؟

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

هذا

شفيعي فوق المذبح

وفي المزار على المُنْعَطَفِ

وفي الماء المباركة على الشَّراشِفِ والأنفاس،

سنةً تلو سنةٍ،

يطارد الأشباحَ لي:

فكيف لي أن لا أكون

في هيئة السَّارق،

وأن لا أُباغِتَ وجهي

يختلس النظر إلى طيف

ولادتي في مكان ميلادي.

عتبتي تنتظرني

قارئًا يتلو على مسامعي

خفايا العابرين

وخشية الانتظار.

ولها تجاعيد

وسعة مُجلَّدات،

فكيف لا أَسْتَرِقُ السَّمع

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

لهبوب الكلام في
ظنِّي!

غافِلًا عنّي،
يحملني غيري إلى حيث
أنتظرني:

أتبرَّم غَيْظًا
من يدٍ تُرَبِّتُ على كتفي
وأخرى تستدركني في الكلام
قبل نهاياته:

فتى في هيئة عجوز
شاخصٌ بعينَين مُغْلَقَتَيْن
يقرأ في كتاب السالِفين
عن شهود عيان
يروون عن ظهر قلب
غَيْبَ السماوات.

وعلى عتبتي أزهارٌ يابسة،
وشاربان لجدِّي

عالِقان

في عُكّازٍ،

وسبحةٌ لأمي

أخفتْ في حبّاتها

شكوكًا طاوَلَتْني،

وشقوقٌ في أثواب

تَنْدَسُّ بين أصابعي.

على عتبتي

أستلُّ البرق من غيظي

وأنهي الملائكة عن الطيران

وأقعد

في قصعة الانتظار.

أتخلَّص من نظرات عَلِقَتْ على معطفي

ومن ثرثراتٍ بَلَغَتْنِي في المَمْشَى،

وأنسى لون الستارة

وأَغْفَلُ عن نَقْرِ المطر على النافذة

ما أن أتـحقَّقَ من أن لساني حبري

وأن يَدَيَّ

إضمامتا كتابٍ.

عتبتي تسرد على الريح رسائلي
وتستردُّ
ما عَلِقَ بين أصابعي
من هَوَسٍ
حاذرني وما دعاني
إلى مسح البرودة عن الصور
وعن أشباح المقاعد
في سكينة ظنِّي.

أشجار خطواتي
تورق
بما لا تسعه شرفات
الانتظار:

أتعجَّل رسمًا لجسدي
يتداعى عند أوِّل احتكاكٍ،
طالما أننا نكتب بالحروف عينها،
مجموعةً، منثورةً، متفرِّقةً،
ما لا يسعه نَفَسُنا.

ورقُ الانتظار

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

مدعوكٌ

وله أَلَقُ الكتاب خارجًا من المطبعة.

هكذا

يعلونا أو يسبقنا،

فنصبو إليه

وهو بمتناولنا،

رسالة مفتوحة

يجلوها قارئ قبل كاتبها.

نثرثر طبعًا

لطرد أشباح تحوم فوق مقعدَيْنا،

ولبسط كلام مثل خبزٍ أو مخدَّةٍ

نتقاسمه في وحشة ما يصبح سقفًا لنا.

جَعْبَةٌ مَثْقُوبَةٌ

(باريس ١٩٨٢ - ١٩٨٣)

غُبارٌ

خَلَّفْتُهُم ورائي يَتَحَسَّسُونَ
نُدوبًا في الحيطان ورسومًا
من كلام، ماشِين بخوف
من غرفة إلى أخرى
خَشْيَةَ إقلاق الغُبار:
غُبارٌ على غُبارٍ
غُبارٌ يُخْلِي أَمْكِنَتَهُ للغبار
حتى إن يدي أثرٌ في الخراب.

كنت ابتعدتُ عمدًا من دون أن أطيل النظر
إلى أقدامي، ولا إلى الشارة المَنْسِيَّة
في سُتْرَتِي. وكنت أعرف
أن الطير ينتقل من غُصْنٍ

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

إلى آخر من دون أن أبالي

بحركته، ولا بما يرسمه

في عبوره، واجِدًا أن الصور

تستقرُّ كيفما وقعت...

يعلوها الغبار وحسب، يعلوها

أحيانًا، حتى إنني كنت أتحسَّسُها

بِهَدْأَةِ الأعمى

في أَمْكِنَتِه الأليفة.

هَزَّازَةٌ

ومع ذلك، تبدو الحياة

هَزَّازَةً

بين أبي وأمي،

بين أمسي وحاضري:

تعلو فأجد الريح تسابقني

وتنخفض فأتشبَّث بأطرافي.

لم يَبْقَ لي غير أن أمضي!

لكنني أطيل الوقوف حتى تنجلي الصور:

هي دون أضواء الحنين الكشَّافة

فلا تعمي.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

كليَّة التربية

كنتُ أصعد على دَرَجٍ تنبسطُ درجاتُه أمامي كلما وقعتْ قدمي على الهواء.

تحطُّ بي

تَحُطُّ بي

مُجْبَرَةً على الهبوط الاضطراري،

فأمشي بمحاذاة حذائي

حتى إنني أراها تعبر أمامي:

بهيئة مُهْمَلَةٍ.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

جسدي إيجارًا

لو أنني أسكنُ جسدي
ملكًا، لا إيجارًا
لوقعتْ
قدماي
في
حذائي

تمامًا،
مثل إصبعٍ في خاتَمِه،

إلَّا أنني أغيب
خلف تجاعيدي
وأنتظر خروج غيري من المرآة.

أعمى يجسُّ الصور ويَزِنُها

إلى شاكر حسن آل سعيد

هذا الضوء يكفيني وهذه
الارتعاشة في الأصابع وهذا
الضيق الذي يصعد من صدري طالما
أن النور الداخلي يضيء المفردات
في سَرَيَانها في
حركة تتَّجه حسب
طاقتها تثقب
فلا تتمدَّد تخترق فلا تستكين
تُشِعُّ وتنطفئ مثل عود ثقاب

كما لو أنك نقشتَ حجر الماء
بعد أن قرأتَ أوراق النار
من دون أن تعرف

ماذا فعلت

بخلاف الفتى الذي جلس

أمام نَوْلِهِ يصل الخيط بالخيط

والقافية بالقافية

ساكِنًا مثل عين لا ترى

وديعًا مثل كنز مفقود

مثلما جلستُ ذات يوم

أمام بابي من دون أن أحادث

المارَّة أو طيور الغروب

كشَّاش الحمام قال لي:

سيأوي الحمام إلى أعشاشه في الوقت

المناسب حين تنبسط السماء ورقةً بلهاء...

هذا الضوء يكفيني لِبَسْطِ

سرير الشهوة أينما كان

ذلك أنها تختارني حين تختار الليل

تستدعيني مثل طفل مُذْنِبٍ

للوقوف في حضرتها تائِبًا

أقطف العشب من أصابع

أقدامها، ألملمُ حبَّات الرغبة حبةً

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

حبةً من تحت أذنها اليسرى من دون أن تجري
الدمعة المحبوسة في ليل الفُقدان

ألتقيها فلا أجدها
تُبْقيني فلا أراها
أرى ولا أرى
ألمسُها من دون أن ترتعش
من دون أن تَهدرَ
أو تجري في مسالك تتكشَّف في المسير
تعبي كلماتي
كلمتي وجهتي وجهة العائم في المحيط في مُتَّسَعٍ من الرغبات

هذا الضوء يكفيني
كاشفًا وجهي تتقدَّمني عصاي
أعمى يرى بعينَين مفتوحتَين
يَجِسُّ الصور ويَزِنُها

هذا الضوء يكفيني لأَنْكَبَّ
فوق هذا الجدار بحنانٍ
القنديل بعد أن عادت اليد
المُتَّسِخَة بشحم الدواليب إلى

المريلة الزرقاء ونسي الفتى طبشورته تحت

قَدَمٍ عَجْلَى مثل

قدمي

كانت تخطُّ على الأرض ما كانت تمحوه

هذا الضوء يكفيني

لكي أسدِّدَ أنفاسي

بِدِقَّةِ العارف

ورهافة الحاذِق

وشوق الغائب.

يكفيني لكي أُحْكِمَ صَفْعَتِي

على وجوهٍ تقول الشيء عَيْنَهُ من دون

أن تنظر إلى الكتاب.

كتاب بحجم قبر.

قبر بحجم أُمَّةٍ تتّكِئُ على دموعها.

هذا الضوء يكفينـي- ضوء عود الثقاب.

كنت وحدي لاهيًا بلعبتي

المفضَّلَة أُقيم نفسي وأُقعدها

أُنيمها في الصندوق أو أُعلِّقها

ثوبًا مُهْمَلًا

زهرة يبستْ في الجدار

من دون أن تفتقد رائحتها

روائحُ تنبِّهني مثل إشارات إنذار

مثل رسائلَ سرِّيَّةٍ

تجرُّني إلى أمكنة مُعْتِمَة:

تشتاق نفسي إلى نفسي.

حَجَرٌ جاهِليٌّ

أجلستُها على حَجَرٍ
وقلتُ: أواسيها،
عن أيَّامٍ سوداء
عن قصص الحب تنتهي في بداياتها
عن القصائد عَبَرَتْ أمام عَيْنَيَّ المذهولتَيْن
عن جيادي تُزَمْجِرُ في اسطبلاتها
عن رغبة زالِقَةٍ على حافَّة الأيام
عن لوعة في عيوني خلف النافذة
عن ثقوب في جَعْبَتِي

إلَّا أنها مَدَّتْ لسانها
وتركتني
مثل شاعرٍ جاهليٍّ.

في نهاية المطاف

ما أَكْسَلَنِي
فوق هذه الكرسي!

أرمي صنّارتي على أن
تقودني إلى المأدبة!

السَّلَّةُ بجانبي:
رذاذٌ وحَسْبُ في هذه الحُلْكَةِ البيضاء!

رُبَّ شاردةٍ تجد نفسها في نهاية المطاف!

مُنَاوَشَةُ غائِبٍ

هي ليست-

لكي تُمْسِكَها،

أو تراها،

أو تسحبها من مكانها مثل خَيْطٍ.

بل تكون،

ولها مَلْمَسٌ وبُعدٌ،

حتى إنك تخشى الاصطدام

بأغصانها حين تُقبل عليها.

وهي

-في الشوق إليها، في مناوشتها-

مُناوَشَةُ غائِبٍ

لا يَلْبَثُ، حين يعود

أن يستجلب معه عَتَمَتَهُ

الخفيفة، غشاوته الرقيقة وستائره المُرْخاةَ

فوق خشبة لم تهدأ الحركة فيها.

كانت...

كانت لنا أرض
ما أن نَمْسَسْ أطرافها
تُشِعَّ،

وكان لنا عَلَمٌ
لا يَقِلُّ ألوانًا عن غيره،

وكُنَّا، ببلاهة السُّعَداء،
ننسى لون بيوتنا.

لارْتِطامِ الكَلامِ

من القِمَّة

دَفْعُ الصخرة،

بعد إغماض العينين، على أن أصيخ السَّمْعَ

لارتطامِ

الكلام.

ارتجافة

لطيران الفراشة

ارتجافة

أين منه دبيب الأنامل

قبل موعد الغرام،

والبلاهة السعيدة

لمن تصطفق عيونه بمجرَّد اقترابه من الأشعة.

قَناعَةُ الكُرسيِّ

جَسَدُ المؤمن حاكورة:
الله يملكها والفلّاحُ يَحْرُثُها.

سَلَّمَ حياته مرَّةً
غير أنه نسي استردادها.

مقيمٌ في نفسه
مثل عابر سبيل،

يتخاطفها مثل سارق،
أو يغمزها
وهو قاعد
في قناعة الكرسي.

نغمة

شمس وهواء،

صخر وسماء.

شمسٌ تسمرُّني، هواء يُمايِلُني:

الكمان وعصاه.

مَن قال إني لا أقيم في الإمكان،

في حفيفٍ ينتظرني، بين

القدم والخطوة

والشَّفَةِ واللسان؟

وَجَدْتُنِي...

العين طَرْفُ الروح، طَرْفُها الأقصى، مثل علامة الرَّغْبَة.

وَجَدْتُنِي مائلًا إلى الأمام مثل عَدَّاءٍ
قبل صفَّارة السباق
ومتوتِّرًا مثل قَوْسٍ.
وجدتني في رواق السفر، مندفعًا
ومُرَكِّزًا، ولكن في الهواء.
وجدتني في وجهةٍ
من دون أن أعرف مَقْصِدي.

نَصِلُ.
نزور المطار للمرة الأولى، وإذا بنا
يرفع كلُّ واحدٍ مِنَّا لافتةً ورقيَّةً
كتبَ عليها اسم الآخر
على الرغم من قيامنا بالرحلة نفسها.

معنى يسبقني.

أنا هو،

ولكن بعد وقت.

أشبه بالوارث، مني بالوالد.

أيَّتها الصُدفة،

أنا حسابك المُنْتَظَر.

أيَّتُها الرَّغبة،

أنا طفلك الغامض.

عَبَثًا

عَبَثًا تحاولْ!

فالشِّعْرُ يمضي مثل ماء النهر
بين الأصابع،
مثل بريق العينين،
بين قطارَيْن متوقِّفَيْن،
فوق خطَّيْن متعاكِسَيْن.

عَبَثًا تساءل!
عَبَثًا تستجلي
ما انعقد في غابة الحروف!

أشكالٌ تسعى من دون أقدام،
رؤوسٌ
أضاعتْ قُبَّعاتِـها أمام مُفْتَرَقِ العبارة.

طفل أمام مَوْقِدِ نار:
يسحرُه بريقها
ويخشى لمستها.

عبثًا تحاول!
عبثًا تساءلْ!
جِدْها في «لسان العرب»:
«لمق» تعني: كتب،
«لمق» تعني: محا ما كتب.

هذه امرأة

هذه امرأة تجلس أمام نَوْلِها
تُرَتِّقُ ثياب الخَيْبَة
وثقوبَ الأحلام
لِرَجُلِها المُحارِب
وأبنائها الشاردين في منحدرات الحروب:
تسافر وهي تنتظر
تهاجر وهي تفتكر.

هذه امرأةٌ لا تخلع ثوبَ الحداد:
ثوب واحد للبيت والمأتَم
للإفصاح والتَّكَتُّمِ.

هذه امرأة تجلس أمام نولها
تَكِرُّ خيوط حياتها
وتحيكُها من جديد.

هذه مدينة

هذه مدينة مُجْهَدَه
تُغالِبُ النُّعاسَ
يُغَيِّبُها النُّعاسُ
خلف الشموع المُوَقدَه.

هذه مدينةٌ ساهِرَه
دون لَحْنٍ أو صديق
تُرخي حبَّاتِ سبْحَتِها
وتحصيها من جديد.

جراحها تَقَيَّحَت وهي تنتظر
ذخيرتها نَفَدَت وهي تنتظر،
والعُشْبُ طال فوق متاريسها وهي تنتظر...

هذه مدينةٌ مُتْعَبَه
لا تَقْوَى على الكلام

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

رأت ما رأت
رأت واكتفت
أمنيةٌ لها فقط:
أن تُباغِتَهُم في الوِهاد،
هي في يأس السُّهاد
وهُمْ في ثوب الحداد.

هذه مدينة مُقْعَدَه
تسمع جلبتهم القريبة
وحِداءَهُم الرتيب.
تُغالِبُ النُّعاس
يَغْلِبُها النعاس،
كتبت وصيَّتَها
وهي تنتظر الصباح.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

كلمة السِّرِّ

تسكنني دون أن أراها:

هي أنا

وأنا لا أعرفني.

هي أنا

وأنا اسمٌ دون مُسَمَّى،

اسمٌ شاغر،

يبحث عن كلام:

يا هذا الجسد الرخو، الجسد المتهالِكُ، أين لهذا الكلام أن يخرج؟

جسدي كلام موقوتٌ

وقصر مرصود

غير أنني ضيَّعْتُ كلمة السِّرِّ.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

الشَّاعِرُ جِدْهُ مُبَعْثَرًا في الشَّارِعِ

إلى تشيكايا أوتامسي في أصيلة

كايا... كايا...

خَطْوٌ على المَوْجِ

تشي... تشي...

وشوشةٌ ليليَّةٌ

أعمى بعينَين شاخصتَيْن

جالس تحت السور

يقلِّب دفتر الماء

ويُصْغِي.

أَهِيَ القوارب تُدْلِي برسائلها

أم أن الشبابيك أرْخَتْ فراشات الضوء؟

صَبِيَّةٌ على شبَّاكها

على مُتَّكَأ القمر

نكتب أم تحوكُ

حروف النوم أم نَقْشُ الرغبات؟

صَبِيَةٌ تصيخ السمع إلى صدفة بَحَرِيَّة:

كايا... كايا...

إلِّلي شُفْتُو

ورقة مطوية في يد الأعمى

كلمة السر

مفتاح البحر

فبأيٍّ عَيْنٍ ترى؟

بأي ريشة ترسم

بعد أن خبَّأَت العيونُ

ودائِعَها في الحَجَر

في أنين البياض

وهمس التوتُّر؟

خطوٌ على الموج:

كايا... كايا.

وصِبْيَةٌ في الزَّنْقَة يمرحون

يهزجون:

أنا شُفْتُو،

أنا شُفْتُو.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

حاطِبُ لَيْلٍ

دار النهار للنشر، بيروت، ٢٠٠١.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

فِي كَوْنِهِ غَائِبًا

بِوَصْفِي مُتَكَلِّمًا

بفجاجة ثَمَرةٍ
ما أن يَرِنَّ أَلَقُها
فوق شاشة
أجوس بياضَها
بعصا الأعمى في أَمْكِنَةٍ شارِدَة

في دروب مُحْتَمَلَة
بِزِنَةِ مَشَّاءٍ خفيف

خطواتي
في
نقراتي
إلى أن ينجلي
حجري
رازحًا ومُشِعًّا

في أفق مُبْهَمٍ

حاسوبي

مجازي المحمول

حقيقٌ على زهرة

يَبَسَتْ في دفترٍ من غبار

فَتَنْدَى راحةُ يدي

في غَفْلَتِها

عن كَوْنِي

أتكلَّم

بِثِقَةِ الغائب

عمَّا يعود له وإن ينساه

عمَّا يمتحنه بلهفة الراغب في ملكه

في هواء محموم

وإذ أُقْبِلُ على أوراقي

تُفْضِي بي إلى شُرْفَتِه

وما أن أتحدَّث عن أحجاره

تتردَّد أصواتها في حُنْجُرَتِي

فليس لي أن أُبْعِدَ الجُملةَ عن الجملة

لكي أَدْلُفَ إلى العُزْلاتِ المُؤَثَّثَة والمسارح العَجولَة

وليس لها أن تتقبَّب في عقدٍ

لكي أعبر

وأُهرِّب وقودًا

لتوبة مستعصيَةٍ.

الذي استفاق من رُقادِه

لن ينصرف إلى نارجيلته الساهِمة
في كَرْكَرَةِ الخلاء

الذي ترك إصبعه على برودة الشباك
لن يَدُسَّها في دِثار لُغَةٍ
تَكْشُطُ جلدها

خبطُ عشواءٍ يهتدي
في تيهه
إلى أصوات غائرة
بفجاجة ثَمَرَةٍ
أقضمها قبل ميقاتها
وأُقْبِلُ
من دون تكلفة من أحدٍ
على نسج هدية مؤَجَّلَة
ووعد بلقاء.

غيري

بصفة كَوْنِي

مشمولًا

بما لا يَسَعُنِي حملانه

فأُهرِّب خلسةً

ما يجمعني في شتاتي

ويضع لساني مُتَدَلِّيًا في ورقةٍ مجاورة.

هو الذي مضى من غير رجعة

من دون أن يُخَلِّفَ لونًا لأَثَرٍ
ولا عَتَمَةً لِخَشَبَةٍ مخفيَّةٍ

مضى سادِرًا
وإن تَلُوكُ الألسنة أحاديثَ الظِّلال
مضى وما رَوَى
ولا أَوْصَى
جَفَّ على الحجر
بعد أن بكى في مأتمٍ
كان فيه المَيِّتَ والكَفَنَ والمعيشين

فكيف أستنفر جوقًا للهوى
وأرفع فوق الشجرة
مَرْقَصًا لأشباح من دخان؟!

مَن يكتب مَن

أو

هل يكتب عن؟

أللريح أن تضع النقاطَ على الحروف

أم لها أن تكنس على بابي؟

لكونه غائبًا

يوقظ الأشجار من غَفْلَتِها

ويستدرك السواقي قبل نهاياتها

ويَرْصِفَ الحَصَى في مقلمة مُشِعَّة

لكونه غائبًا

يَنْدَسُّ في خفائه

في فراش من لمعان مُؤَرِّقٍ

لكونه غائبًا

يتداركها بِخِفَّةِ لاعب كرة السلَّة

لكونه غائبًا عما حدث في جلاء شهوة نافِرَة

وعمَّا جرى له من دون أن يلتفت إليه

وعمَّا يستدركه في منعطفات الكلام مثل صديق قديم:

يؤنّبه ويبكي على فقدان ما جمع بينهما

لِلَحْظَةٍ

تحت سقف الانتظار والتَّشَهِّي

تَلِدُني كلماتي

بما لا يَسَعُهُ قِماطي.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

حَصًى لِصَبْرِها الصَّاحِي

للحجارة الصَّاعِدَة صَوْبَ الدَّيْرِ

صفحات كتاب عتيقٍ

نقرأها عن زهر غيب،

ولها مرآة مُقَعَّرة

لاجتماع حياة في زمزمة شفتَيْن.

للحجارة أن تروي

بأحمالها

وَهَنَ الصَّاعدين،

وأن تُخفي على عَجَلٍ

إلحاحاتٍ مُفاجِئَةً

لِنَزَواتٍ عابِرَةٍ

ومُقيمَة.

للحجارة وحدها أن تشهد

في الهبوب

طواف العناصر

في نحيب المكان،

وأن ترى الوادي

صاغِرًا

في وحشَتِه.

صخورٌ لِمَطارِحِنَا

بين هواء وخلاء،
نعيش فيها متخفِّين
أمام كنز مرصود؛

تستقبلنا أمام مشغلها،
يداها في مِريلتها،
بعد أن أَبْقَتْ مَوْجَ الشَّكْلِ
في خفيٍّ الحجر.

نحطُّ بخشية اللصوص،
مكشوفين:
«قايين» يواري علامته
عن قضاة محتجبِين؛

ونتكتَّم
خشية إقلاق الطالعين من

رذاذٍ كَوْنِيٍّ،

جامعين في الظِّلال

أثاثًا لتوبة،

وشموعًا عسلية لميتة مبكِّرَة.

تكفينا أحجارنا في خفيتنا

لسقف واطئ

فوق وادي الغياب،

تكفينا سريرًا لعيش معجل،

وبلاطةً نقضي العمر في نَحْتِهِا

لأسمائنا

الموروثة عن أسمائهم،

لكن أحجارنا لا تَسَعُنا

فنطوي تحت إبطنا

أجنحة النجوم.

تتقدَّمنا صخورنا إلى أقدامنا

شريكةً في الرقص،

وإلى أيادينا

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

مرآةً لسحنتنا:

ألهذا ندير لها ظهرًا

لزوجة صابرة؟

تعلونا صخورنا، بيارقنا

من دون أن نُسْرِجَ خيولنا،
ونعبَّ من ينابيعها
بسلال من قصب؛

أحجارنا عُمْلَتُنا
نَقايِضُ بها من دون حساب،
دُمًى دَهْرِيَّةٌ
نلهو بها وتستنفدنا.

حجرٌ وسادتنا
ما أن نشرع في تبنِّي النجوم
ومُواقَعَة الأيَّام:

- هذه نجمتي، ثآليلها على أصابعي
دليلٌ على بلوغي

وضلوعها معي

في حبكةٍ نبيلة،

- هذا نجمي، يواعدني وحدي،

فكيف أُخْفِي رهبتي

على نافذتي

إذ يَدْلُفُ إلى جسدي

ويُبْقِيني في وقفتي

مملوكةً،

سيِّدة؟

حجرٌ لرأسَيْنا

نسند إليه خوفنا

من رغبة أدركناها في عيوننا المذعورة

وفي حُصْرُمٍ مُبَقَّعٍ على ثيابنا.

حجرٌ يرمينا ونؤوب إليه،

حجرٌ يفضي إلى حجر،

ومنه إلى حجر،

ومنه إلى سفرٍ يُمْسِي على سفر،

ويغدو على حجر

في أول الطريق:

للأَلِفِ عصا الراحِلِ
والياءُ مَهْدُ الجنين.

حجرٌ موقدنا
لغذاء بطيء فوق مائدة الغبار؛

حجرٌ ثمرة الشتاء
إن يبسنا فوق سطوح الصيف،
ومرآة الصباح
إن عَدَوْنا خارِجين من خروقنا؛

حجرٌ يخاطب صمتنا
ويحوك ليلةً بعد ليلة
كنْزَةً لرغبة.

للحجارة أن تبقى يَقِظَةً

إِنْ غَفَوْنا،
وإِنْ تستَّر ظِلُّنا
إن هربنا،
في عراء بيتنا المحمول،
بين أحجارٍ هي تُفَّاحُ
شَهْوَتِنا الأولى.

للحجارة أن تبقى بيننا،
بعدنا،
في صبرها الصَّاحي،
نُخَلِّفها
غافِلِين
لأولادٍ لاهين...

حصاة طَيْشٍ

أُطوِّح بها في الهواء

مِقْلاعًا

أو مِنْجَنِيقًا

لِجَيْشٍ على أطراف أصابعي؛

حصاة طَيْشِي

تستدركني

في غفلةٍ منِّي:

كيف أسافر من يدي إلى يدي؟

كيف أتعقَّب أطرافي إذ أجدُّ في السير؟

كيف أقذف نَرْدِي وتكتبني الحصاة؟

حصاة بحجم يدي

أو رغبتي،

أُحَمِّلها رسائِلَ مختومةً

ولكن من دون كلام؛

لها تَوْقُ السَّهم

وإن تطيش،

ولها زَخَمٌ

يَمْتَحِنُ انتظارَه الرَّاجِفَ

في تَدافُعاتِ الهواء؛

حصاةٌ غير التي عاهدتني
على الوصول.

للحصى مِرَانٌ
وعادات،
أصُفُّها لوقيعةٍ
لا يَنْجَلِي غُبارُها،
وأتلقَّفها بأصابعي
بِخِفَّةِ الجُسَيْمِ في طَيْشِه.

حصاةٌ أقتطفها
من مَرْجِ الغبار
أداريها عن أنظار غيري:
يا لاكتشافي!
وجدتني مُلْتَبِسًا في غيري!

حصاة شغفي
أجلوها مرآةً
لكي ترى لونَ حَبَّةِ التوت

على شَفَتِها السفلى؛

وَجِيبُها مَرْمَى حصاي

يَقْدَحُ نارًا

لاحتكاك الحجر بالحجر.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

«الصغير بوسيه»

حجرًا تِلْوَ حَجَرٍ
يبني بيته في طريق المحنة
مُسْتَدْرِكًا سيرةَ يوسف
في امتحان الأقرباء،

بخلافي،
إِثْرَ رامبو،
في «حذاء جريح»،
أنظِّم الدروب نظمًا حُرًّا،
وتتقدَّمني مشيتي
إلى ما يصبح بيتي
العابر
والأكيد.

هذا الرَّاكِعُ

صخرةٌ
تقرأ
في كتاب
له صفحةٌ أولى وأخيرة؛

تقرأ في برديَّةٍ
ما لا تتوانى عن تدوينه
فوق سطور متعاقِبَة،
مطموسة وجَلِيَّةٍ
في آنٍ.

هذا الواقِفُ
بِيَدٍ من حجر
أَيُلَوِّحُ لوداعي
أم يستقبلني على عَتَبَةٍ

لا أتوانى عن الوقوف أمامها؟

هذه المُسْتَلْقِيَةُ لا تُبالِي
بالهواء الذي يلامس صَخْرَها،
ولا بالعُشْبِ النابت بين رُكْبَتَيْها
ويُبْقيها رافِعَةً فخذًا
لِشَهْوَةٍ
غير مُشْبَعَةٍ...

هذا المُتَنَقِّلُ بِخِفَّةِ العصافير
من أين له أن يقرأ
في عَيْشِ الحَجَر
شهوة البشر؟

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

هذه الجِبالُ انْخَفَضَتْ

لتتلقَّاني براحتها،
بين سطور غَيْبِها،

وتستقيم لوحًا مدرسيًّا
لطلَّابٍ طائشِين،
وترفع ستارتَها
لِمُمَثِّلِين يخالون أنفسهم متفرِّجِين.

هذه الجبال طَمَرَتْ رأسها
وكشفت تَنُّورَتَها المقلوبَة
عن سيقانها
لنهرٍ
يواري في الوادي خَشْيَتَهُ
من جريانه الهَيِّن
بين مخدَّاتِ النَّائمِين.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

جبالٌ،

صفعةٌ يَقِظَةٌ،

أبقتني

حبيسًا في جهامَتِها،

أقرأ في دفتر الدُّروب

على ضوء سراج.

جبالٌ تنكفئ قبلنا:

عَتَمَةٌ صاحِيَةٌ في مَطارِحِها الباردة.

صَخْرَةٌ لها غُلْيونٌ

من لَيْلٍ مُوحِشٍ،

ولها سنديانة من شكوكٍ

تُنَقِّبُ في دُخَانِها.

ألهذا تشيخ الجبال

على أقدامها،

ونبقى -نحن الوَرَثَةَ العابِرين-

شاخِصين إليها

أمام أُفُقٍ؟

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

ألهذا تبقى الجِبالُ عَنَّا كتابًا
إن سهونا،
وتسترسل في مَواكِبها
إن تعثَّرْنا؟
فبيننا وبينها عَهْدٌ محفوظ
وإن بتواقيعَ مُغْفَلَةٍ.

حَصَايَ
نَثْرُ شَغَفِي
في هيكل القصيدة.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

حاطِبُ لَيْلٍ

تنتظرني أمي أمام وجهي
ينتظرني أبي أمام اسمي،
ينتظرني أهلي أمام رسومي
والكاهن أمام قبري:

ينتظرونني
أنا أو غيري.

تُسلِّمني أختي إلى قِماطها،
وفَراشُ جدِّي إلى فَراش أبي
وبيتُنا إلى شفيعه:

واحد يدفع الآخر على مقعد ضيق،
يستعيد منه لهات الراحلين
ويخاصمُه تحت ضوء الشموع.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

يُسلِّمني بطنها إلى حضنها،

وملحفتي البيضاء إلى عتبة

لبابٍ لا أتوانى عن دفعه،

إلى زحام

من الديون المستحقة

والشهوات المرجأة:

وارثُ غيري

في نطفة منفوخة!

كان للعتبة أن تفضي إلى مصطبة

لا إلى رصيف
أو شارع،
وكان لزخمي أن يقتعد كرسيًّا باردًا،
لا أن يسرع الخطى في مَقْتَلَة مُغْلَنَةٍ؛

وكان لي أن أخرج، وأعود،
لا أن أُوَلِّيَ الأدبار
ناجيًا من غرق!
كان لي...
غير أنَّ يدًا تستدركني
في سُبْحَةٍ
تتداوَلُها أصابع الغائبِين.

يعيدني والدي إلى المدرسة التي خرجَ منها،

من دون أن يتخرَّج منها،

ويعيدني المعلم إلى حروف

خلَّفها إخوتي لي

أو لغيري؛

إلى حروفٍ نافِرَةٍ ومَمْحُوَّةٍ،

لها أكثر من قراءة،

بل هي من لغتين،

مثل «الكرشوني»:

نقرأها في لغة

وتفيد في لغة أخرى.

أَهُوَ بيتي، إن عدتُ إليه

وسريري، إن اختفيتُ فيه
وأنا أُسَوِّي من غيمةٍ مخدَّتي،
وأُمسِّد في العتمة زغبًا لجلدي؟

أهو بيت أم مغارةٌ
بهذا الباب الواطئ الذي
يعيدني إلى حَرَجِي؟
أهو بيتي، ويلفظني
إلى حافةٍ
أستردُّ فيها خطاي
بأيدٍ مذعورة؟

أهو بيتٌ، والقابضون على عِصيِّهم
شرطةُ حدود،
يطردون

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

ويستقبلون

أبناءً في هيئة مهاجرِين؟

العدَّة خفيفةٌ لماضٍ ثقيل

بين دنيا وأخرى،

يخلِّفُها هذا لذاك

بين تجاعيد الأيدي

وفي احتباس الدموع:

أهو بيتٌ ما يَعْلُونا،

قُبَّعَةٌ ننزعُها في لَهْوِنَا؟

أهو بيتنا ما يتبعُنا ويفترق عَنَّا؟

تَقِينا العَتَمَةُ من طَيِّ ثيابِنا

ومن تعليق أحمالنا،

وتكفينا صورة العذراء، بأشعَّتها الهندسية،

لعبور الجسر الواصل بين ريبَتَيْن:

ريبَةٍ ممَّا ندفنُه على عَجَلٍ،

وأخرى ممَّا يَقْرَعُ بابَنا قبل جرس القُدَّاس؛

سراجُنا يتثاءب على فتيلته،

وصبرُنا أقوى من نوره،

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

إذ نسكن في دواخِلِنا، لا فيه
في جُعَبِنا المحمولَةِ
نَبْسُطُها خِيامًا
وإن في بيت من حَجَرٍ.

دُخانٌ أَسْوَدُ
في ليلٍ أَزْرَقَ
وتفّاحةُ سَهَرٍ
تَذْوي فوق «الطّراريح».

أنفاس الجالسين في حفلٍ تَنْكُّرِيٍّ
تَدُسُّ أصابعها
عَمْدًا
في وَبَرِ العَتَمَة
قبل أن تنكفئ إلى أَسِرَّتِها
المُتَجاوِرَة
المُتباعِدَةِ
في أُلْفَةٍ لا وَجْهَ لها.

ألعابٌ بالكلام، أو بالأيدي،
مِرانٌ

يمتحن حواسَّهُ

أو يُنْشِبُ شَهْوَتَهُ

في غفلةِ الضَّحِك:

هذه عروسي، أعرفُها،

لها ساقٌ من دون موسيقى،

وقوامٌ أخضر،

وعينان تُزهران على شبّاك الضَّجَر،

أَلا تكون حَبَقةً لا يشمُّها

إلّا مَن يُمسك بها؟

حطبةٌ ثخينة لِلَيْلٍ هزيل،

حطبة ثخينة لعَتَمَةٍ راجِفَة،

وحاطبٌ يسعى على قدمين خفيفتَيْن

بِيَدَيْن عَجْلَيَيْن؛

حاطبُ ليلٍ

يهرسُ العنب في عَريشَتِه.

يسبقُنا ويتبعُنا

بين إهمالٍ وإمْهالٍ،

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

يقودنا إلى مَطارِحِهِ من دون دليل،

ونبقى شاخِصِين

إلى مَقاعِدَ شاغِرَةٍ:

أهو نَهَمُ التوأم إلى بديله

السَّاكِنِ في خَلاءِ الانتظار؟

حلمٌ مُبْهَمٌ يَدْرُجُ

في بنطلون قصير،
يداه تُقلِّبان غيمةً،
ورِجْلاه مِجذافان في نهر.

حبلُ سُرَّتي لِطائِرَةٍ ورقيَّةٍ
أرفعُها وترفعني،
وخيطُها يكتُبني
أو يلتفُّ حول عُنُقي؛

حبلُ سُرَّتي
لغسلٍ مَدْعوكٍ فوق سطوح باردة،
وبطولِ حبلِ حمارٍ
يَنْهَقُ في مَرْجٍ مُشْمِسٍ.

هذه الأرض ليست لي،
أتصفَّحُها كتابًا

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

فِي عُهْدَتِي:

له خيالاتٌ تَنْبَعِثُ من أنفاسي

وثِمارٌ أَرْتَقِبُها

ومحراثٌ يَشُقُّ الغيومَ؛

أقلِّبُها مثل «السّنكسار»:

يحكِي سِيَرَ القدِّيسين

لكنني أتهجَّاه بحماستي.

كتابٌ

لسانٌ فِي بيوت،

ريق راهنٌ

لكلامٍ دَهْرِيٍّ

تَتَلَجْلَجُ به الشِّفاهُ.

لُعابي المَمْدود

إلى طاولةٍ لا يبلغها لساني
حلوايَ
ألتهمُها بأيدٍ كثيرةٍ،
بخشية بَصَّاصٍ
يتدلَّى من شرفةً
فوق بيتي؛

يباغتني ويجلوني
صورةً عن مشهد قديم:
لا يزال الصَّحْنُ القديم
أمامي
أَوْسَعَ من فمي،
وأصابعي
أضيقَ من أن تَسَعَ لُقْمَتِي؛
يتقدَّمني

فَتُدْرِكُني جَلَبَتُه،

وما أن أدنو منه

يمسح فمه بمريلتي؛

لُعابِي

رَذاذُ مائي المُحْتَبِس.

غَيْبَةُ جَسَدٍ مائِلٍ

نقرتُ على شُبَّاك البَياض

حتى طَفَرَ وجهي

الذي تاه

في هبوط الخُطَى

وغَبَشِ الظُّنون،

فكيف لا أَسْبِرُ الهيئاتِ العابِرةَ

وأجلو تَجْوَالي؟

هل أسلك دَرْبي

إذْ أُعرِّض أوراقي لإيقاع الفصول

وأُبقي خلفي أسمائي

وعاداتي؟

هل أمشي

إن راقصتُ أَخْيِلَتي،

دليلي في رحلاتي الاحتماليَّة؟

وهل أَصِلُ

إن قرأتُ في الكتب السَّالِفَةِ

ودَلَفْتُ إلى فَيْءِ المُزَوَّقة

بعد أن أمسح الغُبَارَ عن صَنْدَلِ الصُّدْفَة؟

كشكولُ هواء

مُتَفَرِّقٌ في حاسوب،

فلا أدرك رحلتي قبل تمامِ كتابتي.

جمشيدُ بِلَّوْرَة في رَوْضٍ

صورة عالَمٍ في كُرَةٍ
لساهِرين يتكالَمون
أكثر مِمَّا يُبْصِرُون:
هذه تنقل إلى جارتها ما فاتَها من أخبار الطابق الثاني،
وهذا يروي لحفيده حكايةً شَقَّها من الكلام،
لا من بَطْنِ السَّمَكَة،
وتلك تتسامَرُ مع جارها البعيد على ضوء سيجارة؛

يَمْضُون ويعودون
أمام شاشة مشدودَةٍ بين أشجار الدُّلْبِ،
بين أَلْسِنَةٍ خفيضَةٍ،
تَعْرِضُ مُسلسَلَ «سهراب» المقتول من أبيه
قبل أن يُحْسِنَ قراءةَ جبران:
«الحياة لا تقيم في منازل الأمس».

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

للغائِبِ دابَّةٌ على الجبل

ما أن تُلقي نظرها على العشب
يطول:
هي تنتظره،
وغيرها يكتب سِيرَتَهُ،
فلا هي تنزل
ولا هو يَكُفُّ عن الهُبوبِ بين أوراق الأحياء.

للغائب باحاتُ انتظارٍ
لم يُواعِدْهُم فيها،
وكُتُبٌ بِلِسانِهِ
يتداولونَها من دون إِذْنِهِ.

للغائب جَسَدٌ مُمَدَّدٌ
فوق سرير الأهل،
وساهرون صاغِرون
على بساط الخَبَر.

قيل: اختفى وحَسْب

تحت ميزان الزَّمان،

يُحْصِي ويُقاضي،

فمن أين لي أن أهرب من ناظِرَيْه،

وأن أصرف المواقيت من دون حسابِ وقته!

أو تفرَّقَ في الجمع قبل آذان الغروب

إذْ وجدوا في الغُبار

نَزَواتِ خُطاه

وسماءً مُنْشَقَّةً،

فيما تُصلح المتَّشِحَةُ بالسَّوادِ مَرْيُولَها فوق تَنُّورَتِها، وتَنُّورَتَها فوق بنطلونِها، وبنطلونَها فوق جَوْرَبِها، وجَوْرَبَها على فَخِذَيْها المَحْمُولَيْن على السَّفَرِ لو تُفارِقُ وقفتَها خلف نافذةٍ مُقْفَلَةٍ تردُّ إليها جسدَها الساهر تحت جَوْرَبِها.

روى الكاتِبُ بعد أن أجلسَ القُرَّاء في صفوف السماع:

يستدرك الساقية قبل جريانها إلى النهر،

ويُطبق على دَعْساتِ العاصي في لَيْلِهِ،

وإذ أجني الثِّمارَ ألتمسُ أصابِعَه في سلَّةِ القِطافِ،

وإن واريتُ وجهي في خلائي وجدتُه يشدُّ على أذني؛

واختفى خلف صفحة المياه،

يلهو بها إذْ تلهو به،

فلا هو يسكن في الانتظار،

ولا هي تؤوب إلى البيوت السَّاهِرَة،

فيما أوقفوه في الزنزانةِ يُحْصي نقاطَ الماء تتساقط على صَلْعَتِه الحليقَةِ ما يكفي لكي تَنْشُرَ الرَّائِحَةُ غسيلَها المُتَّسِخَ وتَشُمَّ حِبْرَ البيانِ قبل أن يَنْدَلِقَ تحت العتبات الصَّاغِرَة.

وأفادت الصحيفةُ في طَبْعَتِها الأخيرة:

إنه خلف المرآة،

يُساكِنُ الوجوهَ،

إذ ترى يرى،

وإذ تختفي يرى،

فكيف لا أرتجف في وحشتي!

فيما يُمَشِّط لحيته بمشط صغير يختفي في قبضة يده،

بعد أن طال شعورُه بأنه مَتْروكٌ على رصيف؛ يُسَوِّيها ويُداعِبُها، عادةٌ سِرِّيَّةٌ، علنيَّة، فما وجد في حياته الجديدة ما يُنْسيه حركاتِه القديمةَ بعد جلدات الصباح، إذْ يعود إلى الزنزانة، مُهانًا وقويًّا، بينه وبين صورته المُغَيَّبَة.

طَفِقُوا يُرَدِّدُون: إنه تَحْتَ الحَجَر،

بين الورقة وخَلائِها المُحيط،

وفي لُهاثِ الماء،

فيما تخرج العائِلَةُ من بيتها من دون كُلْفَةٍ مَزيدَةٍ؛ إذ تنقل معها إلى الرَّوْضِ بساطَها الصوفيَّ وعُدَّةَ أَكْلِها الخفيف وألعابَ أطفالها، فتتجاور مع غيرها من دون أن تختلط بها، كما في شُقَقِ العمارة التي خَرَجَتْ منها، فلا تبسط أغراضها أوسعَ من شُرْفَةٍ في بَيْتٍ، ولا يلعب الأَخُ مع أخيه في رُقْعَةٍ تتعدّى المساحة أمام بوّابَة البِنايَةِ، عدا أنَّ أنواع لُعَبهم، مثل الطَّابَة الصغيرة مع مَضْربَيْها، تُناسِبُ الأَحْيازَ الضَّيِّقَةَ هذه؛ إلّا أنهم يجتمعون ويتقاطعون، يَتَحلَّقون لشراء ذُرَةٍ مشويَّة، ويصطفُّون أمام دُكّانٍ لشراء قَناني «زمزم» أو «ماء الشَّعير»، أو سِلَعٍ غيرها بما لا يعدِّل ولا يبدِّل ما أَتَوْا به وما يخرجون عليه؛ إذ إنَّ الهواء العابر عازفٌ في انتظار جَوْقِه، مُزوَّقةٍ في كتاب يستلقي فيها الرُّواة على وسائِدَ من لون بلا ظنون أو تعابيرَ.

حجابٌ خيمتُها

لنهارٍ مائِلٍ على تَوْبَةٍ مُؤَجَّلَةٍ،
على جِذْعِها،
على عُكَّازِها الذي يشقى في الوصول.

فيما يُنْعِظُ حيوانُ الأسطورةِ في مَرْجِهِ
والصَّبِيَّةُ تُمَسِّدُ ضفيرتَها
أمام مرايا الخَلاء.

بلاستيك من تراثٍ
وفضاء غاشم.

بلاغة السواد
ومَجازُ الهواء.

لعلَّه في تِهْرانَ: في حافلَةٍ عموميَّةٍ

أو يَرْزُمُ حقائِبَه قبل فاصلة في جُمْلَةٍ،

لعلَّه في المطار: في المنطقة الحُرَّة،

أو يُحصِي الوَرَثَةَ العَجولين

والسِّيَرَ المتطايِرَة

قبل صياح الدِّيك،

طالما أنه استبقى عنها صورةً فوتوغرافيَّةً نزعَها عن بطاقة الهُوِيَّة، ووردةً يَبَسَتْ في محفظته من دون أن تشُمَّها، وأوراقًا بيضاء لن يُحْسِنَ الكتابةَ عليها، وقُبْلَةً طَيَّرتها من دون أن تصله بَعْدُ.

لعلَّه ساهِرٌ يعدو خلف نائمٍ،

ورُواة يتعقَّبون أحاديثهم،

لعلَّهم يعثرون على عِمامَته في المنتدى الروماني

ويجدون تُرْجُمانًا للصور المُلْتَبِسَة؛

أو غائبٌ في هيئة حشدٍ

وقوامٌ شاغرٌ،

وأصواتُ حراكٍ في جُبَّة الوقت،

أو جموعٌ تتنفَّس الهواءَ القليل في ممرَّات القطار، وتضيق بثيابها المتراكِمَةِ فوق أجسادها الفائِرَةِ في عيونها المُعْتَكِرَة، وقد سدَّ السارق المنافِذَ كُلَّها، وسرق المحفظاتِ واحدةً تلو الأخرى، واستراح في مقصورة القيادة.

غابَ، لكنَّه خلَّف يافطات من دهانٍ

وكرسيًّا شاغرًا

أمام كتاب السَّاهرين.

كلامٌ كثيرٌ لفعلٍ قليل

ولغوٌ من تَنَك؛

فقيهٌ

بإصبعه الطويلة

يسوسُني،

فمِنْ أين لي أن أستردَّ وجهي، وعَيْنِي لا تصلح للنَّظَر، ولا لساني للتَّذَوُّق، بعد أن ساقوا سلمان رشدي لحضور فيلمٍ هنديٍّ فيما يَقْوَى على رؤيته سماعيًّا، وخلَّفوا لرضيع المُعَلَّقَة عُلْبَةً من الحليب الصناعي!

لا يفيد الكلام بل يَمِيل

أقبلتُ على طريقٍ
باتت طريقي
ما أن تَرَامَتْ أصابعي
وصففتُ أوراق الشجر
دفتراً لأُلْفَتِي الغريبة.

دلالتي بُينٌّ خُطواتي،
لا تحت حجر وادِعٍ
في الغَفْلَة؛

لا يصل الكلام، بل يسير

ولا يستقيم سَطْرِي
قبل مِرانِ حواسِّي.

دُمُوعٌ جَافَّةٌ

مَقابِرُ ضَاجَّةٌ

مَقابِرُ ضَاجَّةٌ، إن اقْتَرَبْتَ منها،
يَخْتَصِمون فيها
على شاراتِ المُشَيِّعِين،

شهداؤنا
أَسِنَّةُ مَخاوِفِنا للعَيان،
وحَمَلَةُ رسائِلِنا المطويَّة،
فكيف ننأى عنهم
وندفن في خُلْوَاتِنا
شَغَفَ عيونِهم الفاغِر؟!

شُهودُنا
بعد فَواتِ الحياة
يَبْسُطونَ مخدَّةً لِأَسِرَّتِنا اليَقِظَة؛

أشقياؤنا المطيعون

تلاميذُنا

يَرْتَعون في حوش أناشيدنا

قبل أن يُحْجِمُوا عن مُعاشَرَتِنا

ويَخْلُدُوا إلى هياكلهم الفولاذِيَّة في مملكة الأسماء

المُبارَكة؛

عادوا على أعقابهم

قَتْلَى مجهولِين،

وإلى وعودِ نَشِطَةٍ

بعد فَواتِ الحِدادِ:

سبقونا من دون أن يَصِلُوا

وانتظرونا من دون أن نأتي؛

عادوا مغمورين

في مزادٍ عَلَنِيٍّ؛

لهم -قتلانا المجهولون-

أن يتخالطوا -إن شاؤوا-،

أن يتبادلوا السِّيَرَ -إن شاؤوا-،

ولكن من دوننا؛

شهيد

قلقي

يَقْرَعُ بابي

في هَدْأَةِ الفاحِصِ في مرآةٍ

عن تجاعيدَ مُبَكِّرَةٍ.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

مُحارِبٌ أخيرٌ

قساوَةُ الفأسِ التي تكشطُ جِلْدَ الشجرة
استعارةٌ
لا تَصْقُلُ جِذْعي،

أردِّدُها
حتى اكتمالِ جُمْلَتي
تدبُّ على أصابعي،
على أطراف قلعةٍ تختفي
ما أن تَخِفَّ حماستي
في هواءٍ من شَغَفٍ:

قطعان خوفي
جواسيسي،
تتقدَّمني،
تَرُودُ بَدَلًا عنِّي.

ساهِرٌ وحيدٌ

مع قنديل أيَّامي،

بعد أن خَلَدَ غيري إلى نَوْمِه

بِنِعالِهِ وعيونِهِ المُعْتَكِرَةِ؛

مُحارِبٌ أخيرٌ،

أوهام صَبورَةٌ في جسدٍ ضئيلٍ،

وجنودٌ معزولون

بقلوبٍ راجِفَةٍ في خُفوتِ القلعة.

أوهامٌ تُساكِنُني،

حقائقي المُؤَجَّلَةَ.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

ساعةُ رَمْلٍ

ساعةُ الرَّمْلِ تبسُطُ حبَّاتِها
دُروبًا وأوراقًا
يُقْبِلُ عليها الساعون،
فلا يتعثَّرون إن احتجَبَت العلاماتُ
ولا يهتدون بأي دليلٍ
طالما أن الحبَّات وفيرةٌ...

ساعة الرمل تضيق بِحَبَّاتِها الأخيرة،
تَغُصُّ
في نُزولها الضَّيِّق
في عُنُقي
في حَنْجَرَةِ الخَفاء.

مَزْمَزَة

وجوهٌ بالتَّناوُبِ

وَجْهٌ
يتعقَّب
وَجْهًا
يقرأ
في وجهٍ
مُحْتَجِبٍ؛

وجهٌ لا مِرْآةَ له،
ولا يُفْضِي إلى نافِذَةٍ،
له لونٌ وحَسْبُ
وحفيفٌ طَرِيٌّ
في خَفِيِّ المياه؛

وَلِيَدِي وَجْهٌ

أُخفيه في جَيْبي

وأُقْبِلُ عليه بالسِّرِّ.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

وديعةٌ مُشْتَعِلَةٌ

البرودة عَيْنُها

على المقعد الخشبيِّ عَيْنِه

لِيَدِي

بَعْدَ يَدِها،

يَدُها الباقيةُ

إذ تَحْجِزُني

في وديعةٍ مشتعِلَة؛

تتوجَّس أصابعي

من مُباغَتَةِ لَيْلي،

من برودَتِها التي -إن أَجْلَسْتُها على رُكْبَتي-

أَمْسَكَتْ عن الكلام

وهَجَعَت في أَسِرَّةٍ منهوبَةٍ؛

فأُداعِبُ زَغَبًا نابِتًا في وسادة انتظاري

بهدوءِ السَّادِرِ في أُلْفَتِهِ،

واسْتَجْمَعَ خُيوطًا خافِيَةً

من رغباتٍ يَقِظَةٍ.

الواصِلُ إليكِ

الهواء الواصِلُ إليكِ
سبِقَ أَنْ بَلَغَنِي،
والمِقْعَدُ الذي ينتظر جُلوسَكِ
سيكون حِضْنِي،
فكيف لا يَحْسَبُون ضِحْكَتِي
جَلَبَةً في كَواليسي!
أَضَعُ حذائي حيث كانت خُطْوَتُك
وأَمُدُّ يدي إلى عِقْدِكِ الاحتماليِّ،
وبين قميصك وزَغَبِكِ
تَسْتَدْرِكُ أصابعي
الهواءَ الواصِلَ إليكِ.

فَضَحْتِني:
وجدوكِ في ضِحْكَتِي.

أَكاسْيَا

الأكاسيا التي في حديقتها
دواتي،
إذ ترويها
تبتلُّ أوراقي؛
والتفّاحة التي في صَحْنِها
شَهْوَتي،
إذ تَقْضِمُها
تُورِقُ من جديدٍ بين أصابعي؛

وجهي يُسابِقُ وَجْهي
إلى وَجْهِها،
فأطير من دون أن أَصِلَ،
وأقعد في انتظاري
من دون أن أستكين.

أَنَـايَ

أَنَايَ
تُنازِعُني في ما يعود لي،
في مكاني،
وأخاصِمُها في ما يعود لي،
في مكاني.

أَنَايَ الخَفيفَةُ،
الشَّغُوفَةُ بِما يَشْغَلُها،
تُذيعُني
إن قَعَدَ الهواءُ،
وتَغْفُو
فلا تَسْتَلْقِي أحلامي.
وَرَقَةٌ تطير:
تتهاوَى فلا تَحُطُّ،
وأتلقَّاها من دون أن تُمْسِكَ بي.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

صَوْتُها

صَوْتُها حُجْرَتِي
بِسَعَةِ مَوْسِمٍ صَيْفِيٍّ
لِبَخِيلٍ فِي شِتائِهِ.

«طبيعةٌ صامِتَةٌ»

فاكهتي على طاوُلَةٍ
تلك التي تُشِعُّ في «طبيعة صامتة» على جِدارِها،
إذْ تَتَحَسَّسُها
أَكُفُّ عن النَّظَر.

في خَفِيِّ الحَوَاسِّ

هذه الارْتِجافَةُ
في الشَّفَةِ السُّفْلَى
رسالةٌ
وإن تداخَلَت فيها الحروفُ؛
لها في جسدي
ريشةٌ،
حبرُها
وصورتها الأخيرة؛
أَبْسُطُها
سَقْفًا لانتظاري
لانتظاري
لانتظاري
لانتظاري
الذي أَغارُ منه
من فَرْطِ انتظارِه لَكِ.

إِعْرابًا لِشَكْلٍ

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

نَميمَةٌ إلكترونِيَّةٌ

«النَّمُّ: التَّوريش والإغراء ورَفْعُ الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، وقيل: تزيين الكلام بالكذب (...). النمّام معناه في كلام العرب الذي لا يُمسك الأحاديثَ ولم يَحْفَظْها (...). وقد تكرّر في الحديث ذِكْرُ النَّميمة، وهو نَقْلُ الحديث من قوم إلى قوم على وَجْه الإفْسادِ والشَّرِّ. ونَمَّ الحديثَ: نَقَلَه. ونَمَّ الحديثُ: إذا ظهر (...)، والنَّميمَةُ: صَوْتُ الكتابةِ والكتابةُ، وقِيلَ: هو وسْواسُ هَمْسِ الكلام (...). والنميمة: الهَمْسُ والحركة (...). ونَمْنَمَتْ الرِّيحُ التُّرابَ: خَطَّتْه وتَرَكَتْ عليه أثرًا شِبْهَ الكتابة (...). والنَّمْنَمَةُ خُطوطٌ متقارِبَة قصار (...)، ولكل وَشْيٍ نَمْنَمَةٌ. وكتابٌ مُنَمْنَمٌ: مُنَقَّش. ونَمْنَمَ الشَّيءَ نَمْنَمَةً أي رقَّشَهُ وزَخْرَفَهُ».

(ابن منظور: «لسان العرب»، مدخل: ن م م)

«من فَضْلِكَ، هل بإمكانك أن تقول لي: إذا انطلقتُ من هذا المكان فمن أين يتعيَّن عليَّ المرور؟

أجاب القط: «هذا رهينٌ المكان الذي ترغبين في الذهاب إليه»،

قالت أليس: «الأمر سيَّان عندي (...)».

قال القط: «إذن لا يَعْنيكِ من أي مكان ستمرِّين»، أجابت أليس: « (...) المهمُّ أن أَصِلَ إلى مكانٍ ما»».

(لويس كارول، «أليس في بلاد العجائب»)

يفتح لي الكلامَ مَصْيَدَةً

لا قصيدة،
ويُطبق عليَّ
في ورطةٍ ملتبِسَة.

بأقوى ما يَسَعُني سأسعى:
هذا وعدي،
بما يقيمني في فتنةِ قلقي
ويجعل من خوفي خلاصي الأبيضَ.

وَعْدٌ أقطعه على نفسي
وقد يلتمُّ على غيري
في زيٍّ تَنَكُّرِيٍّ.

أَضْيَقُ من ثُقْبِ إِبْرَةٍ لكي تَسْحَبَ أصابِعي

خَيْطًا من بَكَرَةٍ يتقاذفونها،
وأرتِّقَ فجوة في سماءٍ غافلِين.

أصعبُ من أن تدخل، أو تصطفَّ، أو تنتظر
لكي أُسَجِّلَها على فيديو
أو على لوح غُبارٍ:
فعلٌ ماضٍ إلى الاستقبال
بتصميم انتحاري.

هذا ما رأيتُ، لا ما عرفْتُ:
كُوَّة لا يتلصَّصون فيها على أحد،
لطْخَةٌ من دُخانٍ
وضعوها واندسُّوا فيها
ونَفَقُ نارٍ، بين جدارين؛
لإثارة فضول المارَّة.

هذا ما أكتب في هيئة مُجْرِمٍ من دون جريمة

عن جريمة قضى فيها القاتل فبل ضحاياه،

أكتب من عُلُوٍّ اعتراف طويل

لشاهِدَةِ قَبْرٍ

من دون جُثَّة:

هذا ما يقوى عليه عَزاءٌ مُتَأَخِّرٌ.

فُتْحَةٌ من دون أن تُفْضِي

تدافَعوا فيها، حَجَبُوا الرُّؤْيَةَ عنِّي
وشغلوا مُكالَماتِ الملائكة وممرَّاتِ الخائفين؛

رسائل من دون ساعي بريدٍ
بَلَغَتْ عناوينَها من دون أن يستلموها:
عن «سمسونايت» لامِعَةٍ من دون قبضة صاحبها،
عن أكواب قهوة من دون رسومها الصباحيَّة،
عن بطاقات وملفَّاتٍ وأسنانٍ وكَفالاتٍ وهواتِفَ محمولةٍ في مُتْحَفِ غُبارٍ،
عمَّن نزل على الدَّرَج من دون أن يصل حتى كتابة هذه القصيدة،
عمَّن لم تُكْمِلْ ضَبْطَ موعد عطلة نهاية الأسبوع،
عمَّن طلبت من السماء إيفاء ما تستحق،
عمَّا يجري هناك ويجري هنا،
عن أصابِعَ طاولت عَبْرَ المحيط راكضًا في جلابيِّته،
وعن فواتير مُسْتَحَقَّة
ما أن أفُضَّ بريدي الإلكتروني.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

رسائِلُ مختومَةٌ من دون تحقيق،

راسِيَةٌ في شاطىء من بياض،

تتقافَزُ فيها هيئاتٌ خرجتْ من كوابيسها

وتنتظر...

إذ أَنْسَى قد أكتب

قد أُقْدِمُ على الكلام
إذ أُحَيِّد نفسي عن نفسي،
عن وَهَجِ النار في عيون قُرَّاء
بما يُخَفِّف زعيق أصوات متمادِيَة في شاشاتٍ أَرِقَة.

قد أكتب بما يشبه الاعتراف طمعًا بكتابة:
ما نفعه، والجريدة تستبق نهايات الجُمَل!

قد أكتب، لكنني أخشى من أن يكتبني غيري،
من أن يستردَّني القُرَّاء في ما أقول،
أو الأنتربول في صورتي:
ما نَفْعُها، وقد ظهرتُ بما لا يقبل إعادة التصوير!

تمرينُ النَّظَر على ما يبدو من دون أن يظهر

على ما يظهر من دون أن يكون راجِحًا،

تمرينُ العين على ما سبق أن رأت،

والتحقُّقُ من الصُّوَر في إبلاغها،

والتحسُّبُ من خطرٍ كامِنٍ

في وقائِعَ داهِمَةٍ بمجرَّدِ الرؤية.

الدُّخان الأبيض الوَسِخُ، المتصاعِدُ من نافذة مُغْلَقَةٍ لا يسدُّ أنفي، بل عيني، لمتابعة النظر إليه، لتخيُّلِ ما يحدث خلف الزجاج الشاهق، لمعرفةٍ عدم وصول أي نجدة إليه ولتلاشيه عاليًا في السماء.

لا ينقطع الدُّخانُ عن التدخين،

والتَّمْتَمَة مُنْتَفِخَة بصرير مكتومٍ،

والصَّدَى متأخِّر لما يضيق به صدر البناء،

عِطْرٌ كريهٌ من زجاجة نارية فارعة،

وسواد أسماء فاحمة فوق بلاطة زرقاء،

هذه السماء أبعد من أن تصل إليها أصوات دفينة. لاهية بما يشغلها، بما يعنيها، بما لا أعرف له وصفًا ولا خريطة أو فهرسًا: غطاء طنجرة في أحسن تقدير تَردُّ ما يعلو صوبها.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

شَفتان لطائِرَة

لِقُبْلَةِ اللحظة الأخيرة

في سماء مُشاهدين،

لقبرٍ طائر،

لـ«نهاية» محمد.

لا قَبْرَ له، يحملُه معه منذ أن قرّر أن يغيب: تخفَّى في ثيابه، في جامعته، في صديقته، فمن أين لهم أن يروه إذ يمشي، وأن يتفقَّدوه إذا طار! ومَن كانوا يلْتَقُون به شبهُه، شكلُه، صورته المنقضية، ذكرى لأرشيف البوليس وكاميرا الفيديو، لبطاقة هويَّته مع شرطة المرور وفي سجلّات الرُّكّاب الأخيرين في الطائرة المتوجِّهة إلى برج هَوَسِها.

ضمير غائب، مُسْتَتِر، مبنيٌّ على المجهول، على أن تقديره: محمد:

كيف يحدث أنني مُبْهَمٌ إلى هذا الحد، وهم في جواري!

أكتب عنه، لا بدلًا عنه

عن مشبوهين، بالملايين، قيل فيهم: إنهم قَتَلَةٌ مُحْتَمَلون،

أكيدون، محمولون على الخِسَّة والغَدْرِ ومُنْحطُّون،

دودُ الثَّمَر،

ملحٌ فاسِدٌ،

قُشَعْرِيرَةٌ ناريَّةٌ،

الأنذل مِمَّن يمكن أن تبلغهم كاميرا،

والأحطُّ من أن يرتسموا في هيئات،

ممَّن يتساقطون في الثواني الأولى في الفيلم

من دون أن يكون لهم وقت لتوبة أو اعتراف.

أكتب عني:

يؤنِّبني، لا يُنَبِّهني

يقيسني وإن شاطرني الطاولة عينها

يُرَبِّت على كتفي: «برافو»، إذ أُحْسِنُ النُّطْقَ في صفِّ الانكليزية.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

أكتب عن صيارِفَةِ الخبر، عن مُرابين ودَهاقِنَة في سوق الصورة.

أكتب، لا أرثي «رمبو»؛ لأنه بطل في أي «نهاية».

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

قارِئَةُ الأخبار تمدُّ يَدَها عَبْرَ الشَّاشة

لإيقاظ المتفرِّجين، واحدًا واحدًا،

ولرفعِ الأسلاك من أمام الكاميرا التي تلحس الصور،

لتُسْعِفَ الشَّاهِدَ في روايته،

قارئة الأخبار تقرأ في عيون الكاميرات ما لها أن تقول، وتستردُّ فيما تسرد، من دون أن ينقطع الدخان عن شاشة نظيفة، وخطاب مُنَمَّق، وعيون ذابلة أنهكتها رؤية ما لا ترى.

لا ينقطع البثُّ: يتحدَّث المذيع عن الإطفائيِّ، والإطفائيُّ عن العابر، والعابرُ عمَّا حدث في المقهى، والمقهى عمَّا يحدث في الشاشة والخطاب والعيون.

فـ «البث مباشر»، لا يَسَعُ الخبرُ الاتصالَ بالمُلْحَقَةِ الصحفية قبل حصوله،

ولا يَسَعُ عيني إغضاء نظرها،

فأنا مُتفرِّجٌ، لا إطفائيٌّ، ولا عابِرٌ، ولم أتوجَّه بعدُ إلى مقهى.

قد أعترف بما يتَّهِمُني به

قبل انقضاء الكتابة، أثناء حصولها،

أهذا يكفي لكي يهنأ في الدَّارَة التي أحاط سياج حديقتها المترامِيَة بكلاب تعوي فوق شاشة إلكترونية؟ في المكتب الذي حَسِبَ له موازنة جديدة يدعوني فيها إلى دفع فاتورة استباق الأخطار وتَجَنُّبِ أوجاع الرأس؟

أهذا يكفي لمنع المُسِنَّة من البكاء أمام شاشتها، والمُتَجَوِّلة في أروقة المتجر الكبير من أي هجومٍ مفاجىء على سَلَّة مشترياتها؟

قد أشارك في الجنازة:

شاهِدَتانِ لِقَبْرٍ واحدٍ أَمْ قَبْرانِ لشاهِدَةٍ واحِدَةٍ؟

شاهِدَةٌ لقبر واحد، بِوَجْهٍ وقَفَا: علامات وهيئات وأسماء يُدَقِّقون فيها حرفًا حرفًا، عُضْوًا عضوًا، وقَفَا مُنْقَفِلٌ على جَهامَته.

مُسِنَّة تتعرَّف إلى خاتم زواجهما من دون إصبعه، ومُرَبِّية إلى أرقام مكالماته الأخيرة، وربُّ عملٍ إلى شعار شركته في مُلْصَقٍ إعلاني، فيما تبقى بقايا في مكتب «البقايا المستعادَة» لا يستردُّها أحد، ولا يسأل عنها أحد.

ما كلُّ مَوْتٍ جديرٌ بالمَوْتِ

مَوْتَى بالمفرق في حربٍ بالجُمْلَة،

ومَوْتَى بالجُمْلَةِ في حرب بالمَفْرِقِ،

مُوتٌ بحسب الأحياء الواقفين في العزاء وكاتبي السِّيَر

وشُراةِ الأكاليل وصيَّادي الفُرْجَةِ في المسارح المكشوفة،

موتٌ بمقادير الحياة التي أُعْطِيَتْ لمن يتصرَّفون بها.

تتفقَّد الأقمار الصناعية فَرْدَةَ حذاء جندي بعد عاصفة صحراء،

فيما يتكدَّس القتلى المغمورون أو يتفرَّقون كيفما اتَّفق:

لا ضَيْرَ إن دُفِنُوا في مقبرة جماعية،

من دون أهلهم،

من دون صورة تلفزيونية أو كتابية،

إذ إن الأعلام الوطنية لا تَصلح كفنًا لهم،

بل لغيرهم فقط!

لا يكفي أن تموت، بل أين تموت، وبصحبة من،

فالميِّت هو من يتفقَّدونه ويفتقدونه،

يتحقَّقون من أن مقعده دافىء بعد رحيله،

وأن لسيرته شمعةَ زَيْتٍ مُضاءَة:

الميت مستقبلٌ عَجولٌ في حُكْمِ الماضي،

لا ينتظر أحدًا، ولا يُواعِدُه أحد،

له علامات غائرة في أفاريز أثريَّة.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

يكوي لسانَه يوميًّا، ويقلِّم أسنانه

بمجرَّد أن يستيقظ،
تنتظره في المرآة أكفٌّ وعيون لاهِبَة،
ومقاعِد متراميَة من المتفرِّجين،

لكنَّه، ما أن يخرج إلى جادَةِ العابرين،
يتنحنح قليلًا،
يسوِّي ربطة عنقه،
ويندسُّ في فيديو مُسَجَّل.

مَذْبَحٌ للشَّهيد بِحَجْمِ كاميرا

إن حاد عنها يُعيد من جديد شدَّ العصابة إلى جبهته؛

الشهيد يتحدَّث باسمي،

عمَّا يحدث قبل حدوثه،

وأتابعه في نشرة الأخبار؛

الشهيد يسبقني إلى القصيدة،

يتلقَّى التعازي،

بوفاتي،

أنا الشهيد شربل داغِر بعد نهاية الجملة،

لا قَبْلَ انْصِرامِ الرَّغْبَة فيها.

تشتري مجلَّة التلفزيون أسبوعًا بعد أسبوعٍ

ولا تُبدِّل ثوبها يومًا بعد يوم،

أحكمتْ إغلاقَ نافذتها من ضجيج المُثابِرين،
وحجزتْ ليومها مواعيدَ مُقَرَّرَة:
تستقبل في هاواي، وتُوَدِّع في البندقية
مَن أسرفوا في صرف الدولارات على كل من يصادفهم في مرورهم العابر فوق جادَّات من هواء؛

الشاشة جارتُها؛ تُسَجِّلُ لها حكايات إذ تغيب،
ونافذتها المضيئة لضمان وصولها الليلي إلى الصالون.
أبقتْها مشتعلةً في صباح ١١ سبتمبر،
خرجتْ، ولم تَعُدْ:

سبقَها خبرُها إلى حيث ذهبت،
من دون أن يسجِّل التلفزيونُ صورتَها.

يُوَبِّخ عُضْوَه كلَّ صباحٍ

إذ يباغته فوق خشبة مسرحية

وحيدًا من دون غيره من الماجِنين،

شاهدًا مُتَكَتِّمًا على ما جرى،

عمودَ ليلٍ مُضاءٍ

وفضيحةً ناعِظَةً:

كيف يعصاه، والملائكة -إذ يسهرون- يُسرِّحون شَعر الكِتاب بين يديه؟!

كيف يخرج منه، وهو يبني هيكلَه بأناة البنَّائين وصبرهم؟!

كيف يستردُّه من سرداب عَتَمَتِه؟!

علامات استفهام، علامات تَعَجُّب، بشكل جسدٍ قد ينتصب، قد ينحني،

قد يتصلَّب بقوَّةِ المعدن المصهور،

وقد يرقُّ بنعومة قولٍ نازِلٍ من سماء:

يا جسده، يا غامضًا يروي

عن جسد حليق لنهر من نور،

عن جسد بالجملة،

عن جسد أو يكاد،

أَقَلَّ من قميصٍ واقِيَةٍ

شفَّافَةٍ

عمَّا يحتدم في جحيمه إذ يتوق إلى سماء.

عن زياد ودوروثيا وقد اجتمعا في بيت

زياد قرأ إعلان الإيجار في جريدة اشتراها للمرَّة الأولى، وحَلَقَ لحيته بعد الاتصال الهاتفي بها، وأرسل صَوْبَها يَدَهُ اليُمْنَى عند توقيع عقد الإيجار، ولم يَسْتَبْقِ من مكتبته السابقة، في غرفته الجديدة، في بيتها، سوى كتاب وحيد كان ينقله معه، في حقيبته الرياضية، مثل بيتٍ محمول:

دوروثيا طلبتْ منه كتابة اسمه بنفسه بأحرف كبيرة في مفكِّرتها، قبل أن تزيل مريولَها المُتَّسِخَ بألوانها وتعدُّ له فنجان شاي، وحادثتْه في زيارته الأولى ولاحقًا عن «ديوان شرقي لشاعر غربي»، وعن بول كلي يصرخ أمام سور القيروان: «أنا واللون واحد»، وعن لوحتها التي تخرج منها لكي تعود إليها؛

زياد ودوروثيا اجتمعا في بيتي: هذا ما حدَّثني به شربل داغر عن أحمد الغامدي عن أحمد النعمي عن هاني حنجور عن عبد العزيز العمري عن أحمد الحزنوي عن زياد الجراح، أما هي فقد نقلت كلامها بنفسها لقناة ألمانية، عند سؤالها عمَّا فعله زياد في غرفته، قبل انتقاله إلى سان دييغو، وختمت قولَها عندي: «لو قرأ إعلان الإيجار في جريدة مرة أخرى لأسكنتُه في بيتي، في غرفته، من جديد».

جِنازَةٌ مُشِعَّةٌ في مَوْكِبٍ من دُخَانٍ

وقصيدة عمودية لأخبار متفرِّقة،

جرائد في دلهي وملبورن لا تصوِّب في طبعتها الثانية أنظارَ قُرَّائها، وإذاعات في كابل وكونكري بل مُكَبِّرات صوت، وصورٌ للمشتبه بهم في أول مخفر قريب من البيت:

نميمة العَوْلَمة؛

عاجَلتُ خبري قبل وقوعه قبل القافية

وقد صارت لِحْيَتي، لِحْيَةَ تشي غيفارا، لحيةَ أسامة بن لادن؛

جنازةٌ من دون جُثمان، جريمةٌ من دون رأس:

تبقى قَيْدَ التحقيق.

صباحُ نيويورك ليلُ سِدْني

يشرب هؤلاء القهوة حين يحتسي أولئك الشورباءَ،
ويقرأون أخبار الأمس فيما يودِّع غيرهم أخبار اليوم،
فمن أين لهذه أن تحادِثَ تلك، وهي إذ تبادرها بالقول:
«صباح الخير»، تجيبها الأخرى: «مساء الخير»!

القهوة ساخِنَةٌ لأخبارٍ بارِدَةٍ
الحساء بارِدٌ لأخبار ساخنة،
هذا يذهب أبعد، وذاك يعرف أقل
عمَّا لا ينقضي في جُمْلَة،
عمَّا يمضي من دون أن يلتفت إلى الخلف، بخلاف الجملة،
هذا يُسَوِّي مُشْطَ الحَدَث لذاك الذي يستسيغ الوقوف أمام مرآة ذات سطور،
فيما القصيدة تَحْزِمُ حقائبها،
لا تُرَمِّم ولا تُعَوِّض عن آجال منتهية،

أقرأ في كتاب «حرب الخليج لن تحصل أبدًا»،
لا لأبي تَيْمِيَة:
هذه الكُرَةُ ليست واحدَةً طالما تدور.

عَفْشُ حكايةٍ لأَخْبارٍ دَوْلِيَّةٍ

لرأسٍ من دون جُثَّةٍ قبل الفاصلة،
يتناوَبون على المقاعد عَيْنِها،
يقفون على النوافذ ذاتِها، حائرين،
ويُجمعون على عواء ذئب واحد في حدائق متفرِّقة:

ساقٌ على ساق في صالون الحكاية،
يسحبون خيوطًا ضوئية، سوداءَ وبيضاءَ
ويحيكون منها قُمْصانَ نَوْمِهم؛

لم يَبْقَ مُتَّسَعٌ لحكاية مختلفة،
لتحقيق بالمقلوب،
فيما الحديقة قد تكون مُلَوَّنَة،
والواقفون عابرين في لحظةٍ سريعة:

حتى ليلى تتزيَّا بغير لِبَاسِ ليلى العامرية،

والشهيد يمسك الكاميرا بِيَدِ وزنَّارَ قنابله باليد الأخرى،

وفي طنجة يزدردون «الكسكس» في وجبة سريعة!

لا يتقيَّد العابرُ بين شارِعَيْن بإشاراتِ المُصَوِّر

بخلاف الرئيس الذي صار مُمَثِّلًا بين انتخابَيْن؛

تَعِدُ الصورة بصور أخرى،
والرئيسُ بتحسين شروط التصوير؛

لا تُبكي الصورة ولا تُسْعِدُ بما تحمل،
تُغْرِي برؤيتها؛
لا مواطنين للصورة، ولا صندوق اقتراع،
لاهيةٌ بما يشغلها،
بكَوْنِها نافِذَةً مضيئة لمن لا يرون إلا في العتمة؛
يفوت الصورةَ أكثر ممَّا تقول،
وتقول أكثر ممَّا تقع عليه؛

يمضي العابر في غِيِّه بين انفجارَين،
«ناجحَين»،

بدليل اكتفاء المخرج بهما،

من دون حاجةٍ لإعادة التصوير.

حيلةُ أن تَنْصُبَ فَخًّا

لا ينطلي على غيرك إلا إذا تَقَدَّمْتَهم إليه،

وقوَّةُ أن تخوض معارك لا تنجلي إلا في ختامها؛

حيلةُ زيٍّ تَنَكُّرِيٍّ

لا ينكشف وجهُ لابسِه إلا في العَتَمَة،

وقوَّةُ أن تُبْدِي ما تُخْفِي

وإن في مسرح للتَّعَرِّي؛

حيلةُ أن تضحك إذا سارعوا إلى الضحك،

أن تُبْدِي الأسى إن أبدوا الأسى،

أن تظهر كما يشاؤون ويرون

وأن تَسْكُتَ إذا تردَّدوا؛

حيلةٌ تؤدِّي بضعيفها

إلى حيث يموت قهرًا وانتقامًا؛

حيلةُ اليائس إذ يَلْقُمُ جِدارَ الصُّلْبِ حجرًا،

والطَّامحِ لمُلاقاة الجبَّار:

غَزْوُه بطائِرَة.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

لا يَنْقَطِعُ الدُّخَانُ عن التَّدْخينِ

في أنوف القَلِقين الذين يعودون من مكاتبهم إلى عُلَبِهِم المرئيَّة أشدَّ قلقًا ممَّا كانوا عليه،

في الكتب القديمة التي ما عادت قديمةً من فرطِ الإقبال عليها،

في مَمَرٍّ ضيِّقٍ لكي يقوى اثنان على الجلوس فيه،

في المخْفَرِ البلدي إذ يزداد الراجِفُ فيه خنوعًا، ولا يكتسب الشرطي ثقةً بصحة قوته،

بين الرُّكَّاب منذ جلوسهم في الطائرة، في الألفاظ خَشْيَةً من معانيها، بين مضطربين مُتَرَبِّصين لبعضهم البعض في أَمْكِنَةٍ متباعِدَةٍ، في اعتذار القصيدة من واجب التأبين، في أعذار جديدة لحروب مدروسة، بين متفرِّجين يخرجون من الخبر إذ يدخل إليه غيرهم، في غلايينَ حديديَّةٍ، في نارجيلة بغدادية، محشوَّةٍ بِتَبْغٍ أفغانيٍّ،

فمن أين لي أن أُمَيِّزَ بين الجيش والعصابة، أو ممَّا يقع بينهما،

أن أضع وردةً فوق مائدةِ أُفُقٍ،

أن أُسلِّم شمسًا لغيري بطُمَأْنينَةِ المُنْصَرِفِ إلى نَوْمِهِ!

لا وَقْتَ للحساب؛ إذ لا حساب للحساب،

وساعة الرمل تنزلق في رملها، لهذا كما لذاك،

لا وقت للقصيدة لكي تقتفي آثار مَن رحلوا،

وللدموع أن تَجِفَّ، أيًّا كانت أيام الحداد،

هناك وقتٌ في الوقت لكي ينقطع الدخان، وتمتنع الوردة عن أن تكون افتراضيَّةً في حاسوبي المحمول.

طبائِعُ عينٍ لا تَنْفَكُّ عن الملاحظة

وأخرى عن الملاحظة، ولكن من خلف حجابها،

من وراء خيمةِ خَشْيَتِها،

من خلال نوافِذِ تَرَدُّدِها،

إذ بقيتْ لها في فتحات قلعتها القديمة

عاداتُ المُحاصَر.

يُتيحُ الوقتُ للوقت مقاعِدَ وأرقامًا ووردًا من دون مزهريَّةٍ وكلمات متقاطِعَةً وأحجارَ صَبْرٍ ناريَّةٍ ومعدنًا قد يلين وقد يترقرق ونظراتٍ قد تذبل في محاجرها أو قد تلمع في عتمةٍ آسرة،

يتيح الوقتُ للوقت مسافاتٍ لمداواةِ مرض سابق أو معلوم، ووقودًا فتَّانًا في صحراء من دون خريطة، ومَسْطَرَةً لقياس الرغبة بعد انقضائها، وطاولةً خالية لتقاسُمِ كلام، أو مخدَةً،

يتيح الوقتُ للوقت أن يشحذ آلاتِ رفعِ حركات الإعراب، يتيح للقصيدة استراحةً، لا خاتمةً،

يتيحُ وقتًا لما هو جدير بالوقت،

لاحتمالاتٍ مُغْرِيَةٍ في بناء، لا لاستكانةِ قافيةٍ في قعودها، لما هو في دبيب الأنامل فوق حواسيبها،

لدفقِ شهوةٍ يُنْبِىءُ عنها بعد وقت،

فوق دروبٍ افتراضية تغوي بقدر ما تخيف

أكتبُ

لا فوق سطور في صفحة يدي

أتقدَّمُ

إلى غيري المُبْهَمِ الطفل

يتقدَّم صوبي.

الشَّارع

«المعاني مطروحة في الطريق...»: الجاحظ.

«الشاعر: جِدْه مبعثراً في الشارع»: ش. د.، «تخت شرقي».

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

هواءٌ يَعْبُرُ

فلا يزور أحدًا،

في مَمَرٍّ ضَيِّقٍ من نثر خطوات،

ومن حقائِبَ مفتوحة على خوف:

أَلِهَذا خرجوا إلى الشرفات،

أحصوا أحلامهم على أطراف أصابعهم،

وانتظروا وديعةً مؤَجَّلَةً من ليلة البارحة؟

القصيدة تتفقَّد مواضعها

وإن تعبث فيها،

تنزع رؤوسًا عن قُبَّعاتها،

تستعطي ألفاظًا عند مُنْعَطَفِ المفاجأة،

تموت مرارًا،

تَعِدُ مرارًا

برنين الاستعارة

وزهر الهواء.

أرسم فوق الصفحة سطرًا

لمارَّةٍ غافلين،

وأَدَعُ الحاسوبَ يتحرَّى

عن أصابعي فوق الحيطان،

«ماكِنتوش» لِلُهَاثي،

لِيَدَيْن حانِيَتَيْن

على طَلَلٍ،

«ماكِنتوش» لبريقٍ

تحت غبار فضَّةٍ.

أهذا سطر

أم رصيف

أجرُّه فوق إسفلت الحنين

مثل طَنْجَرة؟

لكلٍّ أَنْدَلُسُه الضَّائِع

يصرف أيَّامًا بعملة بائرة،
ويغيب من دون مناديل.

عينٌ تتأنَّى في مشيها فوق حبال من هموم،
وأخرى تُسقط ستائِرَها كي ترى:
أهي رُزَمُ الرحلة لم يبادِرْ أحدٌ إلى استلامها
أو تَنَكَّرَ لها قبل أن يراها؟

لا أكتب ما جرى،
بل عمَّا جرى،
عمَّا يتساقط وأُداريه
خافتًا مثل بصيصِ ضَوْءٍ؛
صيَّاد كنوز، أَقلعُ صخورًا
من دون جدوى،
وأستريح لشاردةٍ فوق غَيْمَةٍ:

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

أيُّها اللفظ لا تَقْنَعْ بما حصل،
ففيك ما يبني حياة مُعَطَّلَةً،
أو خافِيَةً مُسْتَلْقِيَةً،
وفيك ما يُرَمِّمُ خلواتٍ خَرِبَةً
استكانت لغُبارها
في وَحْشَتِها!

تَيْسِيرٌ فصيحٌ لما لا يُرْوَى.
ضفَّتان من غُبارٍ مُنيرٍ،
لأحذيةٍ تَخْبِطُ في غَبَشٍ
بتصميم القائد في خَيْمَته،
لنظراتٍ تتحفَّز في مشيها
في أروقةٍ من دون مظلَّات،
من دون مقاعِدَ تقي من مطرٍ داهِمٍ،
من دون شُرْطَةِ حدودٍ
لعابرين، قاطنين، مقيمين على سَفَرٍ،
رافعين أناشيدَهم لأعلام مُمَزَّقَة،
ولصُوَرٍ مثل لُقًى
تتناقَلُها الأيدي
بأنَاةِ المُنَقِّب عن لَفْحٍ غائرٍ:
خشبتان من دون كراسٍ
لعروضٍ من دون مُخْرِجين؛

ما يقع تحت النُّون،

وله قلمان،

من صَبْرٍ وهواء:

صبرٌ للَّذين وضعوا في براويزَ قُصاصاتِ جرائِدَ بالفرنسيَّةِ والإنكليزية ورفعوها على حيطانٍ يَشْخَصُون إليها كلَّما شخصوا إلى السماء، من دون أن يُحْسِنُوا قراءتها بالضرورة، فيطالِعُونها عن ظهر قلب،

براويز لحُجَجٍ عقاريَّةٍ باتت جُغْرافِيَّةً،

ولـ «بِدْروس» بلحيته المُنَسَّقَة المدهونة،

ولمسيحٍ أَقْدَمَ من مسيحِ غَيْرِهم،

صبرٌ للَّذين يتجوَّلون في خواتمهم وعقودهم وسُبْحاتِهم السوداء المُرَقَّطَة، كما في فنجان صباحٍ، في مُتْحَفٍ جَوَّالٍ بين أيديهم، بين عيونهم، بأَنَاةِ الآثارِيِّ الذي يستظهر في الكسور أَلَقَ الخُسْرانِ،

صبرٌ من قَوْسِ قُزَح لمن يتحادثون بالأرمنيَّة فيما بينهم، ويصرفون العربية بها مع غيرهم، وللمُسِنَّات إذ أَقَمْنَ مدارِسَ من دون أحواش، وثرايا ونجومًا فوق الترانزستور لصباح وعبد الحليم، ولـ «نزهة» يوم الأحد،

صبرٌ حَجَرِيٌّ لمن واعدوا بيوتًا بالعودة إليها، ونوافِذَ بفَتْحِها من جديد، بعد أن تركوا رَكْوَةَ القهوة على نارها، وأحلامهم فوق أَسِرَّتها، وحسبوا دروبَ التيه بعد انقضائها ندوبًا جافَّةً وودائِعَ راجِحَةً في تاريخ له ميزانٌ،

صبرٌ للصابرين، وصيةٌ مستحقَّة وإن من دون سداد،

صبرٌ له أوراقٌ تزيد، وبداية معلومَةٌ،

صبرٌ لعابِري نهر بيروت، بعد أنهر عديدة، ينتقلون فوق أحجار قَلِقَةٍ وإن مُتتابِعَة، مثل هذه القصيدة:

استقرُّوا فيها قبل أن أقيم فيها،

فكانوا المُتَوَطِّنين وكنتُ الغريبَ.

بناياتٌ من دون مَداخِلَ

شققٌ فقَدَت مفاتيحها،

ونسوة يقتعدن كراسي واطئةً في فسحةٍ بين انتظارَيْن،

بين بابَيْن،

ما يكفي لعبورٍ عَجُولٍ

بين بُقَجٍ من قماش وحقائِبَ مثقوبةٍ،

لعبارات قليلة فوق رصيف وصول؛

خزامَى بين أَلْبِسَةٍ مطويَّةٍ من سطوح هاربة،

وأسماك جافَّةٍ تبعط في ماء من أخبار،

أفْرِشَةٌ قديمة على أَسرَّة حديدية جديدة،

ما يعلو بأجساد النازلين من القرى،

أقرب إلى صور فاتنة

عن أحلامِ يَقَظَةٍ؛

النَّازلين من دون أن ينزلوا،

القاطِنين من دون أن يتوطَّنوا،

المُمْسِكين بمفاتيحِ ولاداتهم أمام عمارات الغموض،

الخائفين، القابضين على رؤوس أطفالهم مثل بُقْجَةٍ،

الذين حملوني معهم إلى «خليل البدوي»،

إلى حيث لا يعرفون،

الذين شَكُّوا صُوَرَ أجدادهم بطول أعمدة ««النيون»،

العاقدين بطولاتهم في مَرْجِ الخرافة،

الرافعين بَيارِقَ فوق قلوبٍ منفوخة،

المتدافعين وراء «تراموايِ اسمه رَغْبَة»:

ترامواي فوق سِكَكٍ

مترامِيَةٍ في ظَنٍّ

مُشْتَعِلٍ للساهمين في

حكمة الغُبار وذهب العنب

بِنَزَقِ الفراشات لمن انخطفوا

فوق كراسٍ من قَشٍّ إلى

سينما مشدودةٍ على غيمتَيْن.

الهواء يَعبر

بين أصابعَ قابضةٍ على أصابعِ غيرها،

فوق أَلَقِ السيَّارات المبعوج،

تحت دَعْسَةِ اللاهية بتنُّورتها المنفوخة،

في شُرْشُفِها الخالي،

بين سيقانها فوق بلاطِ الروزنامة،

لا يبالي الهواءُ بالهواء،

ولا بجالِساتٍ تحت ضوء سيجارة

يتفقَّدْنَ إبرةً في قَشٍّ حكايةٍ،

فمن أين لَهُنَّ أن يرتِّقْنَ مريولًا أسودَ وياقةً بيضاء؟

الهواء يعبُّ بيديه،

يراوغ،

هواءٌ غيرُ الذي عبرَ...

أسكنُ في عيني

في صالة عرضها،

لا في فراشٍ يختفي في النهار،

صيَّادًا، بصَّاصًا على استرخاء المفاصل،

أو على السطح المُطِلِّ على نافذتها: تدير لي ظهرها، فيما النايلون الأبيض ينحسر خفيفًا عن ساقَيْها، فتعيدُه من جديد إلى ركبتيها، وأعود أنتظر من جديدٍ انكشافَ الستارة عن مسرحيَّتِها اللاهية (ملاحظة: تستلقي في قصيدتي، لا في لوحةِ مانيه، من دون أن تدير ظهرها للقارىء)،

أو على كشَّاش الحمام، في بُرْجِه، فوق منصَّته، يدير أجواقًا من طيور فتطيعه بِثِقَةٍ الحروفُ المنقادةُ إلى إيقاع هواء الخطَّاط،

أرى إلى أزياح البلاطات أفضل من سطور الدفتر المدرسي،

وينجلي فيها ما لا يَسَعُهُ لَوْحٌ،

طالما أنني أتمدَّد فوقها بثقة الغافي في مُلْكِهِ،

وتستقيم كُلَّتي فوق خطوطها بما لا يقوى عليه هدَّاف ضربة الجزاء في «ملعب سحاقيان»:

ملعبي المفتوح أحوشُه بيدي، وِفْقَ قامَتي،

أبسُطه غابةً أو خريطة،

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

وأطويه كيفما شِئْتُ،

من دون أن تُمْسِكَ الطيورُ عن طَيَرانِها،

ولا الينابيعُ عن جَرَيانِها،

في سفري المكتوم؛

أُردِّد على أطراف أصابعي جُمَلًا تَتَلَفَّظُني،

وأستوقف صُوَرًا في سَرَيانِها،

وأَدُسُّ في شَنْطَتي شخوصًا أنتزعها من كتبها

ما يكفي لوديعة مُشِعَّةٍ، لفيلمٍ

يَعْبُرُ فيه الممثلُ شاشتَه ويختلط بالجالسين،

يعبر عتبةَ ما يصل وما يقطع

بين جسدي والهواء.

أخرج من عتمتي إلى ظِلالٍ ساكِنَةٍ

بين شقَّة وسُبابٍ،

إلى ألفاظ أرمنيَّةٍ على حائط،

إلى أصوات وحركات أتعقَّبها

بعيدًا في مخادعها،

فأعتادها

وتعتادني

في عالمها اليومي المُبْهَم.

من دون أن أَبْرَحَ مكاني

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ الندزين ٦/ القسم الفني

أتجوَّلُ،

بِثِقَةِ المُتَنَزِّه في بستانه،

وخِفَّةِ الفراشات في أعمالها،

ولا أبالي بِقُبَّعَةِ جابي الكهرباء...

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

كُسورٌ محفوظَةٌ من دون جَهْدٍ

نقوشٌ تلقائيَّةٌ،
ما أن أرمي نظري عليها
تستفيق،
فوق خشبة طافيَةٍ على زَبَدٍ
وتُباشِرُ يومَها في شاشتي،

رذاذٌ أَسْوَدُ على بياضٍ مُعْتَكِرٍ،
قوارِبُ من دون بَحَّارتها تصطاد
سمكَ الصدفة، طُعمَها الأخير،
متروكاتٍ غافلةً عن أصحابها ورسالةً في زجاجة
وَصلتْ للتو من سفينة غرقى:
قِفا نكتب على بحر،
إثْرَ هبوبِ النثر،
ما يصيب الغرقى بعد غرقهم،
ما أنتشلهم، هم أو غيرهم،
بأصابعي القَلِقَة.

أصابِعُ، مجاذيفُ،

خَدَمٌ لمائدةِ كلامٍ،

لِفُتاتٍ يُذيعُ تُخْمَةَ طابِخِيه؛

كسورُ صُوَرٍ لسينما صامتة،

ترتوي ما أن تدور

في أقداح السَّاهرين،

في أحداق السَّاهمين،

تروي بالأبيض والأسود

حكايةَ الرأس الذي طار

من الإطار،

من دون أن يَشْقَى؛

وَرَّاقٌ إلكترونيٌّ

لِبَدَلٍ عن ضائِعٍ،

لشبهي إذا انضمَّ إلى جُموعٍ،

لِمَا يَسبق الجملةَ إلى تَمامِها

ولما تسوِّيه إبرةٌ خافِيَةٌ بِغُرْزاتِ الهواء.

أَخرجُ من البيت من دون سببٍ

بقدمَيْ العارِفِ في دفتر خطاه،
في شبكةٍ خافِيَةٍ من كلمات متقاطِعَة،
تقرأها عموديًّا، أفقيًّا ومُبَعْثَرَة:

جِدْها مقلوبةً على قفاها،
في تصريف الأفعال على وزن النَّزواتِ،
في لَفْظٍ فرنسيٍّ ساحِرٍ على شفاهٍ حمراءَ،
في غُرَّة إلفيس على زجاج شاحِنَةٍ مُعَطَّلَةٍ، في فسحة بين ساقَيْ مارلين لتنزيلات «النوفوتيه»،

جِدْها معكوسةً:
في معمل ثلج لحناجِرَ وَسِخَةٍ،
في معمل ورق لأكياس حاجة،
في ميكانيك خِفَّة الحركات،
في تشحيم عضلات الحُلْمِ،
في إكْسِسْوارات ليلِ عانِس،
في نعالٍ في ماء في تَنْكٍ،

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

فِي مساميرَ بين أسنانٍ مشدودَةٍ،

فِي أحذية ليوم الأحد،

وأخرى لأقدام بعيدة؛

جِدْها فِي اشتقاق الخطوة من جِذْرِ المَيْل.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

أُصُصُ زَهْرٍ لأعياد مؤجَّلَة

غسيلُ صباحٍ وَسِخٍ،
جدلُ باعَةٍ لا ينقضي
مع ملائِكَةِ المساء
وزمُّور كاز،

مغارة «الميلاد» زادت شخوصُها،
والشَّنْطَة التي أَعدَّها والدي لي
خلَّفتُها لأخي،
وعَلَوْتُ صَفًّا في نومي؛

بُقَعٌ في منظر، نتفٌ من حوار،
أغانٍ بقيتْ ألحانُها من دون كلماتها،
وطعمُ «البِبسي» مُنْعِشٌ في حَلْقِ النسيان؛

علاماتٌ، أصداءُ، نجومٌ هارِبَةٌ
في سماء غياب،

لا تَكْفي لشَرْحِ الحماسة في العيون
إذ ترتدُّ إلى الخلف،
إذ يَمْضي الهواء في غيِّه،
من دون كَلَلٍ
أو نَدَمٍ.

دواليبُ هواءٍ تدور بمقادير،
توزِّع ما تجمعه
فوق لَهْوِ درَّاجات،
وتبذر ما تَجْنيهِ
على هَوَسِ شبابيك؛

دواليبُ لباحاتِ مواعيدَ،
براعِمَ تؤجِّج قفيراً
وترتدُّ على أعقابها إن لم يُمْسِكْ راقصٌ بِخَصْرِها،

دواليبُ راجِفَةٌ، مُمَزَّقَةٌ،
أَنهكَها طولُ الانتظار؛

دولابُ على شُرْفَتِها،
لا في غرفتها،

من دون أن يبلغ النداء أحدًا

غير الهواء...

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

أَلِفٌ بِنُقْطَةٍ سَوْداءَ فوقَ سَطْرِ شَجَرَةٍ

خضراء مثل برتقالة،

لطخةٌ مُشرِقَةٌ لمن دخلوا إليها وما ظهروا فيها،

ألياف شرايينُ ورق،

وهذه العبارة لا تكفي لِسِعَةِ هواء،

غصنٌ، جرسٌ من دون رنين،

أمام بابها،

وعصا مايسترو لِجُوَقٍ على قَدَمَيْن،

دِفْلَى لِبِرْكَةٍ في حديقتها

ترتوي من أصفرِ المُشاةِ،

ميموزا خَجْلَى في فسحة من باطون

وحديدٌ مطروقٌ لِحُلْمٍ صَدِىء:

أَتَعْتَنِي بِوَرْدَتِها

على شُبَّاكها

أم بِغُبارِ شُبَّاكِه؟

دولابٌ مثقوبٌ لأيام تدور

ولَمعانُ سيَّارات لليل التشهِّي،

قمرٌ يقع في كوب انتظار

من دون مَشَقَّةٍ،

وسطوحٌ لمطار لا تقلع طائراتِه

إلَّا لَيْلًا.

تعلو تنُّورتُها سورَ الحديقة كي أرى

تعلو ألوانُها الصارِخَةُ أسلاكَ الخَشْيَةِ كي أَنْدَسَّ فيها،

تعلو فأعلو بها،

بما يكفي بهجتي السرية:

أُجامعُها في الهواء

وأدعها للهواء؛

فمي على فمها: «باصرة»؛

فَحْلِي أَبْيَضُ

لِماعِزِ لَيْلِها الأَسْوَدِ.

هواءٌ لصباحِ العجولين، النَّهِمين

إذا وصلوا تَعْبَى،

هواءٌ لِلَيْلِ المُتراخِين خلف ذقونهم النَّابِتَةِ إذا أمسكتْ

زوجاتُهم عن التطريز

ووصلوا تَعْبَى؛

مَرِنٌ،

مُناوِرٌ،

نحَّاتٌ عابرٌ،

في فضاء النَّظَر؛

هواء للشَّاعر:

سيِّدٌ،

أَعْزَلُ،

يقيم في ثنايا القصيدة،

أمام مدفأةٍ،

ما أن يرمي قطع الخشب فيها

تحترق،

فُتحتُها تفضي إلى فضاء

فيعاملها بيأس المحارب خلف سهمه

مثل خطّاطٍ يابانيٍّ أمام نقطه حبر أخيرة.

أَبْتَذِلُ أَمْكِنَتِي، لا أَشْغَلُها

أغتسل في مائها الوَسِخِ،

في ماء ولادتها،

إذ أنهض من أَسِرَّتِها،

وأُقبلُ عليها بِخِفَّةِ الليل الأول،

أطويها في راحة يدي،

أُنِيمُها معي،

أختفي فيها من دون أن أغيب،

وأبعطُ فيها من دون أن تَلْفِظَني؛

مائي المبتذلة،

دورتي الدموية،

قامتي من جديد إذ يذبل غُصْنُها؛

لا أصف أَمْكِنَتِي، بل أعيشها،

في اعتكارِ هوائها المخزون،

في عَتَمَةِ جواريرها الرَّطْبَةِ،

في وصية أبي: «لو أن للحياة دليلًا عمليًّا لحفظته عن ظهر قلب»؛

في حفيف ليمونة حامِضَةٍ على حجر باطون،

في تطويق العروس الجديدة بالنَّظَر،

في مواضِعَ مُعْتِمَةٍ لرَقْصٍ عَجُولٍ بين ساقَيْنا،

إذ إن لي أمكنةً في الأمكنة،

بتصرُّفي،

أُعاملها معامَلَةَ الأكيد من سَطْوَتِه،

من رغبته

في أن يكون؛

أنسى الدفتر كي تعيدَه بنفسها،

أحفظ جُمَلًا بالأرمنية والفرنسية لها،

وأزرع وردة في عيني لها:

تذوقُها وحدها إذ تراني،

وأتغافل عن وجودها تحت الفراش في «الغُمَّيْضَة»، فأُدَسْدِس جسمها مناديًا باسم غيرها، كي أعيد اللعبة من جديد، وتختفي من جديد، تحت الفراش.

لي بَيْتٌ لا أَسْكُنُهُ، وإن تَرَدَّدْتُ إِلَيْهِ

لا أبكي فيه، إن بَكَيْتُ،
لا ألهو فيه، إن لَهَوْتُ،
فهو لِغَيْرِي:
أستعملُه، أشغله لوقتٍ معلوم؛

بيتي: إن ناداني طَيْفِي أجبتُ،
إن قاسَمني فِراشِي غَفَوْتُ،
إن لَهَوْتُ أخفَى عنِّي ديوني،
وإن بَكَيْتُ بَكَى مَعِي؛

بَيْتِي جَسَدِي،
جسدي بَيْتِي:
يتعايَشانِ في المُنَاكَفَةِ،
أهذا شَبَهُ ذاك أم بَدَلُه؟

كلٌّ ينظر إلى مُقابِله نظرةَ الأليف الغريب
ويُسَدِّد له بدلَ الإيجار؛

أسكنُ في خطواتي، لا فيه،
في انتحاءِ زاويةٍ تُعرِّشُ حول شَعري،
في حُفْرَةٍ تُفْضي إلى سردابٍ أتهجَّى فيه رسومَ الغائبين،
في درجٍ مُعْتِمٍ يُفْضِي إلى شرفة صَدْرِها،
في خبرات أصابعي، وإيقاعِ خَطْوِي، ودَفْقِ لساني،

أعيش فيه، ولي حِكْمَةٌ على جبيني:
قد أتوب عمَّا اقترفتُ،
لكنني لا أندم عمَّا فاتني فِعْلُه.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

بَناطيلُ، تنانيرُ ومكواةٌ نظاميَّةٌ

أحجام تبحث عن أشكالها

في صفير النَّظرات، في مرايا المجلّات،

وتسعى خلف قامات من ضوء؛

مراييلُ للغاسِلَة في مطبخها، للميكانيكي في كاراجه، ولساعي البريد، وجابي الكهرباء، والجندي، والفَرّان، وللإسكافِيِّ خلف سِنْدانِه،

ولهذه الألفاظ إذ تَخْدِمُ غيرها

قبل تَمامِ العَرْضِ؛

يختلفون نُطْقًا،

يتعثَّرون في أحذيتهم العالية

ويلتقون في هندامٍ؛

خرجتُ من «الشورت» لكي أدخل بمفردي إلى «سينما لوكس»،

وصرفتُ عنايَتي لأسناني قبل أول قُبْلَةٍ،

وقضيْتُ وقتًا في حمّامي لتأثيث بيتي الحميميِّ...

صَفِّي المفتوحُ محمولٌ

حيث أرغب في دروس الهواء،
جالِسٌ فوق مقاعدي، على دَرَجٍ، أو رصيف، أو سكة حديد،
أُجيزُ لمارَّة أن يمرُّوا في ثُقْبِ حكاية،
ولـ «أوتومتريس الشرق» أن يُصَفِّر يوم السبت،
وللمُسِنَّة المُتَمَهِّلة في مَشْيِها أن تصل إلى بيتها، إلى كُرْسِيِّها الهَزَّاز
ولكن بعد انصرافي منه،

صَفِّي حيث يَتَقَدَّمُني صَنْدَلي،
إلى أوراق الشُّقَق، وتمارين السلام، وجغرافيا الشُّرُفات، بلمحِ البصر أغطُّ ريشتي
وأسترسلُ في فروض الإملاء؛

لِصَنْدَلِي وَقُودٌ وفرامِلُ
وأرشيفٌ من غُبارٍ،
يتسلَّل من دون جواز سَفَرٍ
عبر حدود الكُرْدِيَّة الرافعةِ سراويلَها بألوان «إستْمان كولور».

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

لِيَدِي يدٌ إضافيَّةٌ

أَشُكُّها، مثل البَلْطَةِ، تحت زُنَّاري
أو أخفيها في جيبي مثل جِنٍّ لا يُرى
إلّا بعد أفعاله،

لِيَدِي ماءٌ جارٍ، متوارٍ عن الأنظار،
ومُعَلِّمون سِرِّيُّون، رزينون، خلف ألواح دخان،
وأدواتٌ حاذِقَةٌ تحلق ذَقْنَ البَلادَةِ
وتكشطُ جِلدَ النَّهار،

لِيَدِي عروضٌ ولاعِبو خِفَّةٍ وجمهورُ هواءٍ:
أفاعٍ تَنُطُّ من قُبَّعَة المفاجأة،
بُلبلٌ من خشب،
كراتٌ في دَوْرَةِ المجرَّات
وخيطٌ أُجاذِبُ به أنشوطةَ المُراهَنَة،
لِيَدِي سياساتٌ وأسرارٌ، غرائِبُ ومقالِبُ،

ولها عُمْلَةٌ تجري

من دون حساب،

وما أن نصرفها تزداد.

للبَحْر جِهَةٌ لا أَقْصِدُها

عاداتٌ ولياقاتٌ ومواعيدُ
أُدْرِكُها عَيانًا
في كرّاس العُطلة المدرسيِّ،

فأشير إليه باليَدِ،
أبعد من حدودي،
في غموض الخلاء؛

البحر لونٌ لريشة مكسورةٍ،
وبطاقة سياحية مدعوكَة في كُشْكِ الأهواء،
له قوارِبُ لا تُبْحِرُ لَيْلًا،
وصيَّادون هامدون على شاطىء من نظر؛

البحر جارُ حيطانِنا،
لا مخدَّتها، ولا مَقْبَضُ ساعِدِها،

مَغْسَلَةُ صابونةٍ زَرْقاءَ؛

شُرْفَةُ بيتنا تَشْخَصُ إلى الجبل،
إلى «صِنِّين»، لا إلى «أرارات»،
إلى قُرًى نُدْرِكُها خِفافًا
من دون «بوسطة تنُّورين»؛

البحر مَجَازٌ
لا يَبْلُغُه الوَصْفُ،
وإيقاعٌ خامِلٌ
إن لم يبلغ النَّثْرَ؛

بيننا والبحر هواءٌ،
دعوة رقص وشراكة مشبوهَةٌ،
يستدركنا
في غَفْلَةٍ منَّا،
في العَتَمَةِ الشهيَّة بين يدِي المتنصِّتةِ وثديها الصَّيَّاح؛

هواءٌ لنا،
لي ولها،
لرغبةٍ مبحوحة
مشدودةٍ على وَتَرَيْن.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

قوس قزح لعبور أرمن وأكراد و«أولاد عرب»

حزماتٌ منفوخَةٌ من أهواءَ وسِيَرٍ،
متجاوِرَة، عالية، بطولِ حبلِ طائرات ورقية؛

طائرتي استعارتي،
بابٌ سماويٌّ لدبيبٍ أرضيٍّ،
قُبَّةٌ مُزَرْكَشَةٌ لأصواتٍ خاشِعَةٍ:
ما لِخَيْطِي يطول،
ما لِخَيْطِي يَجولُ،
بِمَنْأَى عنِّي،
على مقرُبَةٍ مني،
أُمسكُه بيدي
وهو يُطْلِقُني!

وقعتُ على «فارتان» يُبَصْبِصُ على ساقَيها اللاهيتَيْن،
وأحسب أن «شوشو» أطال شاربَيْه له ولي،
وأننا نتهيَّب معًا أمام «إليوت نِسْ» الرصين:

هو أنا، أنا هو: يبقى في جواري،

غيري هو أنا، أنا هو غيري: يبقى في جواري،

أنا من دون هو، هو من دون أنا: يبقى في جواري،

أنا من دون القصيدة، هو من دون القصيدة: يبقى في جواري،

هي: هو وأنا،

هو: هي وأنا،

أنا: هو وهي: يبقى في جواري،

فَلِمَ جاري يبقى في جواري،

أشتهيهِ: يبقى في جواري،

أستَثْقِلُه: يَبْقَى في جواري،

أُشارِكُهُ الطاولةَ والفضاء: يبقى في جواري،

أفتقدُه، أُغَيِّبُه: يبقى في جواري،

أكتبه، يَكْتُبُنِي، نَكْتُبُها: تبقى القصيدةُ بيتَنا الحواريَّ.

لا أَرْصُفُها أحجارَ باطون في جداريَّةٍ

ولا أنتخب منها حبَّاتٍ للؤلؤ القصيدة،
فما يطفو ينجو بنفسه،
ولا يُسْلِمُني وصيَّتَه يدًا بِيَدٍ
إذ إن شربل داغر كاتِبُ عَدْلٍ
يُوقِّع عَقدًا يتعدَّاه.

أكتب كي أطوي سجلَّ التعازي،
وأُلْقِمُ الفجوات حجرًا في المنام،
كي أمدِّد فوق صفحة بيضاء،
برصاصةٍ بيضاء،
نزيلي،
قتيلي،
في الحنين النَّاشِبِ في المكان؛

هكذا الشارع: ما نبتدىء به، لا ما ننتهي فيه،
بخلاف الشاعر؛

الهواء يجري

مثل ماء النهر،

وماء البحر،

فِي مَسْرَاهُ وخارجَه،

يُطْبِقُ على خُطْوَتي،

ويُبعد شاشتي عنِّي كي أرى،

يُماشِيني فِي سرِّي، فِي جَهْرِي،

ولا يَقْعُدُ إن قَعَدْتُ،

لا يَقْنَطُ إن يَئِسْتُ،

ولا يسبقني إن عَدَوْتُ.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

الآن، الحياة، هنا

في لَهْوِها الصَّفيق، في لَحْنِها الخفيف،
في قيام القصيدة بنفسها،
على طرف لساني:
أَمُدُّه
وإن في الخمسين.

إعرابًا لِشَكْلٍ

«ولي نَظَرٌ، لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَامِرُ»

عُمَر بن أبي ربيعة.

مُصْعَب بن الزُّبَير أخذ بالشِّعْبِي وأدخله إلى بيته، بل إلى حَجَلَةٍ رُفِعَ عنها الغطاءُ ليرى عائشة بنت طلحة (...)، فقال له مُصْعَب: «أفتدري لِمَ أَدْخَلْنَاكَ؟» قلتُ: لا؛ فقال: «لِتُحَدِّثَ بما رَأَيْتَ».

(أبو الفرج الاصفهاني، «الأغاني»)

«الألفاظ مُغْلَقَةٌ على معانيها حتى يكون الإعرابُ هو الذي يَفْتَحُها».

(عبد القاهر الجرجاني، «دلائل الإعجاز»).

اسمي عنوانٌ
لبابٍ يُفضِي ولا يُفْضِي،
تدخل منه
وتخرج منه أيضًا،

عنواني يسبقني
فيما أتهجّى حركاتي،
إلى ضيوف يستقبلونَنِي

في ما هو بيتي،

ورقة غافِلَة،
شكل مبنيٌّ على المجهول
لمقيمٍ افتراضي
في جَلاءِ الرَّسْمِ.

هذا الإطارُ الخشبيُّ

لا يؤدِّي إلى شُرُفاتِ الكلام،
وهذه الكرسي خاليةٌ
لجالسٍ لا يتوانَى عن القدوم
من دون أن يَصِلَ.

قماشةٌ فوق رصيفٍ
من دون صفير
لقطار
يستقلُّ
لون الصداقات.

قماشة في هيئة بابٍ:
أَهِيَ ردُّ الجوابِ؟

عَبِّرْ قبل أن تَعْبُرَ

حروفٌ سبقوني إليها فوصلَتْني أحجارًا مَبْنِيَّةً

أتكلَّم
إِذْ أُحْسِنُ الاسْتِماعَ.
هذا لُهاثٌ يَتَمَدَّدُ،
يُومِئُ وحَسْبُ
إِنْ أحكم الإنصات،

هذا إرسالٌ
يُسْتَدْرَجُ لِنزالٍ، فيه ما ينجلي بعد احتدامٍ،
ما يستوقف ويبقى في العراء-
عراءٌ، لي أن أسعى فيه وإِنْ في البرد، وأن أتصلَّبَ وأترقرق.
في تدافُعاتِ الهواء،

هذا نفَسي،
فيه خشيتي من أن أتوقَّف

عن الكلام،

فيه إلحاحي على أبواب لا ترتد عليَّ.

لُعابُ تفَّاحةٍ في ليل المحاولة،

ضوء متبادَلٌ على وَرْدَةٍ

لمصوِّر

على طويلة طوال النهار:

هل يرى ما يُبْصِرُ؟

مَن يُصَوِّرُ مَن؟

ضَعْهَا على طاولةٍ صابِرَةٍ،

في ما يسابِقُني إليَّ،

مُؤَجَّجًا من دون وصول، أَرِقًا من دون صباح، في نفق ما لا يصل، في تَوْقِ البذرة، في طفل ينتظر أمام بابي فيما أبحث عن صورته بين خطوط يدي...

عَبِّرْ قبل أن تَعْبُرَ

وأَعْرِبْ ما سبق:

أَهُوَ بابٌ بحجم ستارة

شفَّافَةٍ وإِنْ مُعْتِمَة؟

أم صفحة إلكترونية

تسبق ضارِبَها إلى حيث له أن يكون؟

إعراب الشكل،

إعرابٌ لطيف لما لا ينبني،

حركات تتلعثم في عَتَمَةٍ

وإعراب عن شَكْلٍ لا ينقضي

أَكْتُبُ إِذْ أَرَى

دفتر غَيْمٍ
لأُصْبُعٍ تَدُسُّ أطرافها في الغَفْلَةِ.

طالما أن الشيء بالشيء يُذْكَرُ أو يوسف
أضع صوتي يتحسَّس وَجْهًا مُعْتِمًا
فيما الوديعة لا تنتظر أحدًا،
ولم يُخَلِّفْها أحدٌ لغيره،

الوديعة لا تُخْفِي شيئًا،
تُخفي ما أبكيه من دون أن أعرفه
فأجدني في عزاء بيت
من دون جُثمانٍ
أردِّد ما لا أدركه من فرط ما أكرِّره،

طالما أن الذكر من الذكرى
من ألفاظ تتدافَعُ في صمتها،

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

ترسل أشعَّتها في غير اتِّجاهٍ

في هباء ما يستنفد طاقته في الجريان

في انتظار ما لا يكتمل

ما لا ينعقد فوق السطور

ولا في العيون،

يتلاشى وحسب بنفاد صبر العدَّاء بعد قطع شريط الوصول،

من دون وصول.

أرميها أمامي ولا أَلْبَثُ أن أتعقَّبَها

على أن فيها ما يفيد عني:
ما أخفاني في ما يضرُّ عنِّي!

برتقالة هامِدَةٌ فوق طاولة اللفظ
من دون أن يكفي لونها
لبناء فقرة.

هذه غَيْمَةٌ فوق رأسي،
قُبَّعَة انتظارٍ،
أتَّقي بها
من مَغَبَّةٍ مُتَوَقَّعَةٍ.

هذا الوجه المائل
لا يُمَثِّلُني،
لا يُصَوِّرُني،

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

يتقدَّمني فأَلْهَثُ خلفه،

أنا وغيري:

وجهي ورقة مبسوطة فلا تظهر عباراتها،

أَعْزَلُ

فيما يتصيَّدُ غيري

كُلَّما أنزل صنَّارته في سطوري.

أرى لكي أكتب

وأعايِنُ ما يطلعني،
يأتي قبلي ويبقى بعدي،

لكي أتدبَّر خلاءً موحِشًا
لا يلبث أن يلتمَّ على سِرِّه.

أرى فأكتب،
فلا تُسرع الألفاظ أمامي:
تمشي ولا تَنْفُذُ،
تتفقَّد أثاثًا في مواضِعِه،
تدَعُ النَّائمين نائمين
وقد تَلِجُ إليه من بابٍ خَلْفِيٍّ.
هذه الوليمة التي لها
لوحٌ مدرسيٌّ
من دون طُبْشُورٍ،
رسائل بنقاط ضوء متقطِّعَة.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

اللون صديقٌ، كريم

مثل النثر.

تحت إِبِطِهِ،
حيثما يقصد
يحملني

حُلْمٌ بأجنحةٍ لا تطير،
فيما تقيم السُّلَحْفَاةُ بَيْتَها
حيث تشاء.

لا تغطس الشمس في ورقتي،
والبرتقالة لطخةٌ صفراء تسيل من جُمْلَتِي،
فلا أبالي بالحديقة القاحلة خلف نافذتي:
هذه فسحة أبعد من أُفُقٍ،
وهذه ألوانٌ تشرق كلما هَمَمْتُ بالمغادَرة:

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

تتساقَط الأوراق من الجاحظ

في هيئة رسوم ومعانٍ طريحة

من دون أن يلمَّها عابِرٌ

أو أن يرفعها هواء

صوب أعالي العبارة،

من دون أن يكتمل وجهي في نهاية الجملة،

وهي الأبقى،

لغير قبلي،

أطلقُها فتتلقَّاني

فوق راحة سطورها

القَلِقَة.

إذْ أَهُمُّ بالإفصاح

أتعثَّر،

فيما يسوس الواسطيُّ أربعةَ عَشَرَ جَمَلًا في مَمَرِّ جُمْلَةٍ

وأكتب كلامًا لا يفيد إلا في تَفَرُّقِهِ.

أَهُوَ شكلٌ للإعراب

عمَّا يلوح أو يلمع للنظر

من دون شُرْفَةٍ

أو حَمَّالة؟

لماذا كلَّما أوغلتُ في الكلام وصلت إلى اللون؟

زهرةٌ في قُفْلِ بَيْتٍ

«كان بشار (بن برد) يحشو شِعْرَهُ إذا أَعْوَزَتْهُ القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقةَ لها، فقال مَرَّةً:

«غَنِّني لِلْغَرِيضِ يا ابْنَ قِنَانِ».

«فقيل له: مَن ابْنُ قِنانٍ هذا، لسنا نعرفه من مُغَنِّيِّ البصرة؟ قال: وما عليكم منه! (...) هو رجل يغنِّي لي ويخرج من بيتي، فقالوا له: إلى متى؟ قال: منذ يوم وُلِدَ وإلى يوم يموت».

وهو ما ورد في أخبار عديدة عنه، مثل الخبرِ عن أبي مِجْلِز: «قال له رجل: ومن أبو مِجْلِزٍ هذا، يا أبا معاذ (أي بشار)؟ قال: وما حاجَتُكَ إليه! لَكَ عليه دَيْنٌ أو تُطالِبُه بطائِلَة (أي: ثأر)! هو رجل يتردَّد بيني وبين معارفي في رسائل»».

(أبو الفرج الأصفهاني، «الأغاني»).

في وصف اشتهاء

تَرْكُها في مطلع من دون تَتِمَّةٍ أو دفعُها فوق طريق غير نافذة أو سَوْقُها عَمْدًا إلى حيث لم تَأْلَفْ الإتيان أو رميُها بما يجعلها عرجاءَ حكمًا أو الطَّلَبُ إليها أداءَ ما لا تعرف فتبدو على أفعالها الحماقةُ أو إمساكُها عن تَفَوُّه ما يأتيها عَفْوًا

دعوتُها إلى العشاء من دون عشاء إلى صَرْفِ عملتها في سوق بيضاء أو إجبارُها على مُحاذَاة أَخْيِلَة الجدران أو غصبُها على النطنطة بين رشقات نارية

بما لا يكفل ضمانَ وصولها إلى أي كاراج

أن تبقى متوتِّرَة مفتوحة من دون وَعْدٍ احتمالًا مُؤَجَّلًا بل خائبًا كلَّما لاح بصيص ضوء

أن تسعى وحسب

أن تتمايل لا أن تتقدَّم

أن تزرع بلبلتها حيث تطلب ثمارها

أن تكون لها هَيْئَةٌ مفاجِئَة كلَّما وقفَت أمام خزانتها الوحيدة

أن تُقْبِلَ بشهوة اليوم الأخير على تُفَّاحَتَيْن وعنقود عنب في «طبيعة صامتة»

أن تخرج كسيرة صاغِرَةٍ لما أصابَها وأن تعود في اليوم التالي إليه كما إلى حديقة ملفوفةً بشريط هدية

أن تحوش بعينيها وتمدَّ لسان رغبتها على الأرض أمامها

أن تشيخ بين يديها بمجرد أن تفتحها وأن تخرس من أن تدعوها إلى الغناء

أن تُواعِدَ ما لا يأتي إليها وأن يبلغها ما لا تعرف أو تنتظر

أن تُسْتَنْفَرَ حواسُّها من كلاب تعوي جوعًا وتتحرَّى في الجاري أمام عينيها عمَّا في قاموسها

أن تستغرق في هيئة قارئٍ يَكْمُن لمفاجآتٍ أو لفقاقيعَ هواء يَتْبَعُها بعينَيْه المتوقِّدَتَيْن

أن لا تستيقظ وهو على مخدتها وأن تطرده إذا أتاها بإجَّاصةٍ مترهِلَّة

أن يتأفَّف من غُبارِ سجَّادَةٍ أمام عَتَبَتِها وأن يغادر المقهى سريعًا إن وفاته في الموعد المضروب

أن يُداوِرَها لا أن يداريها

أن يدور حولها وهي في متناوله

أن يغيب بمجرد أن يَأْلَفَ الشخير فوق مخدَّتها

أن تَجِدَ لها مكانًا من دون أن تكسر أغصانها الخارجة من سطورها

أن تحيا إذ يحيا أن يحيا إذ تحيا

أن ينساها فتجده أن يجدها فتنساه.

القصيدة مُراهِقَة

غُرَفٌ مفروشةٌ باردة،
مقاعِدُ حجريَّةٌ في روض مهجور،
جُمَلٌ تُفرغ حمولتها وتعود
من دون أن تُحِبَّني مقدار ما أنفقت؛

مِرَانٌ للمِرَانِ
ونعاس قناديل بمجرد حلول المساء:
هكذا تكون: كافِيَةً وفقيرةً في آنٍ،
إن لم يتدفَّقْ في شرايينها
ما يجعل الغُرَفَ كثيفةً
والمقاعِدَ أراجيحَ
والجُّمَلَ مواكِبَ من شَغَفٍ
لاستقبال قارِئٍ.

الحب أَرْشَقُ البنَّائين، ومن دون خريطة،

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

وللشاعر حوش الصابرين:

يجول فيه وحده،

فيما القصيدة مراهِقَةٌ وإن في لِباسِ عُرْسٍ.

أُنوثَةٌ لُغَوِيَّةٌ

تاءٌ للتأنيب ما يَفِدُ لِلتَّوِّ،

ما يكفي لجعل الرئيسِ رئيسةً، والوزيرِ وزيرةً، والعشيقِ عشيقةً، والمُرابي مُرابِيَةً،

لا مَن تبقى في مطبخها، في سيرته، في سريره، في توقيعه، في جواز سفره، في عَتَمَةِ عينَيْه:

تاءٌ لكفاية الصَّاغِراتِ الرَّاضيات والكتاب المدرسي،

تاءٌ قاصِرَةٌ من أن تخرج إلى الشارع،

ما أن تُساكِنَ غيرها،

تاءُ نقوشٍ بقيت علاماتها من دون سطورها.

نون النسوة لا تقود سيارةً تجلس في مؤخِّرتها،

تنقاد حيث يقودها، تقتفي مشيته، وتجرُّ خلفها أولادَه في عربة.

نونٌ لنسوةٍ يختلين بأجسادهن، وحدهنَّ:

نون رنين الخلخال في قدمها اليُسْرَى،

نون غُنْجِهَا إن تغنَّت بما ينير وَجْنَتَها،

نونٌ لهند إن لم تتحرَّجْ من نظر عُمَرَ،

ونونٌ لنسوةٍ ساهِماتٍ في بياض الطبيعة.

فِعْلٌ فاعِلُهُ مُقَدَّرٌ

مُتَنَزِّهٌ، خفيفٌ، في غابَةٍ
يجد فيها ما لا يبحث عنه،
ويتوه إذ يعود على أعقابه؛

غابة، لا قصيدة عموديَّة
لكي تصل القافيةُ قبل وصولها،
وتُسْتَقْبَلُ حيث لها أن تُوَدَّعَ؛

خفيرٌ وقلقٌ،
جهمٌ وإن في صندل مهترئٍ،
يُقَلِّم غُصْنًا لغَيْمَةٍ ذات سطور
وينتسب لواقع الحروف بين خطواته؛
يُحادِثُها: لا تحادِثُه،
يسألها عمَّا لا يعرف:
تجيبه عمَّا لم يسأل.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

هذا المنتزه يشبهني في استعارةٍ:
أفاتِحُها: تُنهيني عن الكلام،
أصرف عنها وجهي: لا تناديني،
أُبقي الحاسوبَ يَقِظًا: لا توافيني،
لي حيلةٌ معها:
أن أتحرَّى عن مياهٍ جوفيَّةٍ
وأتعهَّد بالرِّيِّ حديقتَها الخافِيَةَ؛

يا لِثَمَرِها،
يا لِسِرِّها!
يَغْشاني وأَسْكُنُه،
من دون وصيَّةٍ مُشِعَّةٍ،
مكافأةُ مَن يُخلص إليها،
عزاءُ السَّاهِرِ،
قارئ البرق؛

أكتبها، تكتبني
تُمْلي ما أحسبه ورقةً منسيَّةً في كتاب محجوب،
أنتظرها، تُواعِدُني:
زهرةً في قُفْلِ البيت.

شعراء

في الطريق إلى القصيدة
يَشْقَى الشُّعَراءُ،
ويتابعون،

في الطريق إلى القصيدة
عابرون
يتساقطون
في الاتِّجاهَيْن
فلا يتخالطون،
يتخاصمون في العَتَمَةِ
ويَشْكُون في الصباح سِحْرَ الرَّغَبات؛

في الطريق إلى القصيدة
شجرةٌ وحيدةٌ، مقاعد من شَجَنٍ
وقمرٌ ناعِسٌ،

أطيافٌ تخلع أثوابَها
وألفاظ تبحث عن راحِلِيها،

في الطريق إلى القصيدة
رُكّابٌ فوق أَرْصِفَةٍ حجزوا مقاعِدَهُم، حَزَمُوا حقائِبَهُم وانتظروا،
يسافرون من دون تذكرة وصول،
ويغادرون من دون أن يرحلوا،

في الطَّريق إلى القصيدة
يدسُّون أيديهم في جيوب غيرهم،
يحتالون ويتواطؤون، ينامون ويُضاجِعون، يقامرون ويسخرون، يبصرون ما لا يَرَوْنَ، ويصيخون السَّمْعَ لما لا يسمعون،

في الطريق إلى القصيدة
يهيمون في كروم مُجْدِبَةٍ،
وينفقون أكثر ممَّا يَجْنون،

في الطريق إلى القصيدة
لا يعمل ساعي البريد: رسائِلُ تبقى عند كاتِبِها، وأخرى يتبنَّاها خاطِفُها،

في الطريق إلى القصيدة

تصل إليها من طريق أخرى،

في الطريق إلى القصيدة

يُمْسِكُ الشَّاربون عن الصياح، والباعَةُ عن النَّدَمِ، يسهرون من دون صديق، ويستدينون من دون رصيد، يجوعون، يُنافِحون، يُخادِعون، يُفاخِرون،

يبكون

ولا يندمون.

مُتَكَلِّمٌ وُجوبًا

مُفْرَدٌ مُضْمَرٌ في ما يقول،
مُتَكَلِّمٌ وجوبًا في ما يَصْدُرُ عنه،

لا يستكين لثمار الصيف الوشيكةِ،
ولا يرتوي من مياه جارية،

ضميرٌ مُنْفَصِلٌ عن أغصان متدلِّيَةٍ:

رأسي تفَّاحة جذعي،
وجُملتي لا تمشِّط شعرها أمام مرآةٍ.

طِبَـاعٌ

- أيُّها الفيلسوف، ما تفعل إن أَضَعْتَ الصراط؟

- أعود على خطوي.

- يا صاحِبَ المصرف، ما تفعل إن سرقوا الخزنة؟

- عن أي واحدةٍ تتحدَّث؟

- أيُّها الشاعر، ما تفعل إن لم تَجِدْ القصيدة؟

- ما همَّني! يقودني الأعمى إلى بَيْتِي!

مُقَلِّدي

فرَّ من المصرف شادًّا إلى صدره رُزَمًا من الأوراق المالية التي ما أن خرج بها بارت،
كان يشدُّها وهي تتطاير:

هذا اللصُّ لا يشبهني،
وإن يقلِّدَني.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

ماكِنْتُوش

تفَّاحتي خضراء

تقضِمُني مرَّةً أولى

وتُمْعِنُ في مباغَتَتي؛

تفَّاحتي صفراء

لا أدير لها ظهرًا

إذ ترمقني؛

تفَّاحتي حمراء

تشتهيني

كلَّما أَسْرَفْتُ في النسيان؛

تفَّاحتي زرقاء

لا تذوي فوق مكتبي.

ترجمة أن تكون

الضَّاد في عُهْدَتِي،

بتصرُّفي،

حتى إنني أصرفها من الخدمة:

أكتب

بما يمنع الترجمةَ من أن تكون.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

لحظة تحلو للعين

بما لا يقبل التَّوَقُّع،

بما يُغْنِي عن ضَبْطِ مَوْعِدٍ،

بما يقطف الزهرة من غصنها عندما تحلو للنظر،

أكتب؛

بما لا يقبل التصديق

فلا يقف أحدٌ في انتظاري مُمْسِكًا برسالة مطويَّة،

أكتب، لا يكتبني

الهانِئُ في سَكِينَةِ جِلْسَتِه:

أمامي،

أتقدَّم اليها، لكنها تَصِلُ قبلي،

إلى بيتٍ قَيْدِ البناء،

هل خطوة في الدرب أم في القَدَم؟

في الهواء أم في المَشْي؟

هل أَصِلُ أم أستريح؟

وميض أن يكون

وميضُ شكلٍ
إذ يسري في بَدَنِ الورقة
زيحُ رغبةٍ تنقضي،
من دون أن ينقضي اشتهاءُ جلاءِ
الكامن في هسيس الأصابع،
في تمتماتِ الزَّغَب:

وميض بُكاءِ البياض،
وميض أن يكون.

خَطَّاطٌ عموديٌّ

حَمَامٌ يطير
حمامٌ يحطُّ
بِرَوِيٍّ واحِدٍ،

أسراب سطور لسماء نظاميَّةٍ،
ولوحٌ محفوظٌ في ذاكرة اليد،
في غَيْبِ العين،
في طرف غزَّارةٍ
تستطيل ما أن تخط،
تصل ما يكتب بما لا يرى:
هل يكتب أم يرى؟
هل يُعايِنُ أم يتذكَّر؟

قنّاصٌ محترم

السَّاهر، المنعزل، لا يَنْصُبُ مكيدةً لأحدٍ،

ولا يُداهِمُ أثاثًا في أريكته،

يتلصَّص من وراء ثقبٍ ثابتٍ

على عابِرين لا يتمهَّلون في مَشْيِهِم،

يُباغِتُ، يقطف على عَجَلٍ

زَهْرَ المفاجأة،

لَمَعانَ الخُطَى:

قنَّاصٌ مُحْتَرَمٌ

وجَعْبَتُه وليمةٌ لِغَيْرِه.

كشَّاش ألفاظ

خَفْقُ أجنحة الدلالات إِذْ تُفارِقُ ألفاظَها
يُغْرِي العَيْنَ بما ترى، لا بما فعلت:
لن تعود بما طارت به،
لن تطير بما حطَّت به،
بخلاف الكشَّاش فوق سَطْحِهِ
يستعيد الحمام في مِطْيَرَتِه
كما في قافِيَةٍ.

بِمُجَرَّدِ أن

جسدٌ ضئيلٌ لأوهامٍ صَبُورَةٍ
لِمَا يُودِعُهُ في المرآة، لِمَا يستقبله في المرآة،
وله جنودٌ متفرِّقون، قلوبهم راجِفَةٌ في خفوتِ قلعةٍ ساهِرَةٍ، إلَّا أن له لسانًا طويلًا
يُفْشي بمجرَّد الكلام.

صُوَرٌ خافِيَةٌ، بادِيَةٌ
في فنجان قهوة،
في رسم وجه فوق ورقة،
فوق قماشة مبسوطة بمجرَّد وضعها على حَمَّالةٍ؛

ساهرٌ بقنديلٍ رومانسيٍّ
يَلُوكُ لَيْلَهُ
فوق مائدة مفروشة بمجرَّد الجلوس إليها،

إلَّا أن له طاحونةً لأيَّامه
تدور بما يُتيحه الهواء

بمجرَّد جوع الأشكال إلى أَلَقِ الصَّباح
وسَيَلان الشجرة في عروق اللسان؛

جَسَدٌ مُؤَقَّتٌ لأوهامٍ مُقِيمَةٍ،
وألفاظ مُشِعَّةٍ في عَتَمَتِها
بمجرَّد قيامها بالخدمة:
مَن يَكْفُلُ مَن؟
مَن يَخْدِمُ مَن؟

صوتٌ يَفْنَى لِسَطْرٍ يعيش،
حَشْرَجَةٌ في حَلْقِ الصَّفحةِ
وقارِئٌ يغتسل في ماء الوليد.

مُساكَنَة

لهذه العلامات خيالاتٌ على حيطان بيتي:

أمشي بمحاذَاتها،

تنغمس في عتمتي

ما أن أُقْفِلَ بابي.

قُبَّعَةٌ خالِيَةٌ

انتبهتُ إليها إِذْ سألني أحدهم ما إذا كانت لي، وعند إجابتي بالنفي، رماها أرضًا، حيث كانت، في ستراسبور.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

مُطالَعَة

ثَدْيَانِ
دفَّتان لِكتابٍ
بثقة النَّاسخ في تقليب الوَرَق.

لَهْفَةٌ

بعيدة،

بمتناولي

إِذْ يتنفَّس الليلُ هُبوبَها

نَخْلَةٌ تشرب في

بغدادَ

غيمةً

عالِقَةً

بين نظراتٍ لاهِفَةٍ:

لِوَجْهِها من حروف مسماريَّةٍ

ومن ماءٍ غائِرٍ.

أنـور

الصَّديق

أَنْوَرُ من أن تُخْفِيهِ ذَخيرةٌ،

أفعل تفضيل في أبجدية شفَّافة،

مُشْتَعِلٌ في زَيْتِ الأُلْفَة، الخفَّة والطَّرافَة.

لا تَبْحَثْ عَنْ مَعْنًى لَعَلَّهُ يَلْقَاكَ

دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

جُثَّةٌ شهيَّةٌ

إلى هالة

«ذلك كله (...) إنما هو جدٌّ مثل اللَّعِب»

(أبو العلاء المعري، «رسالة الغفران»).

(في جهة مُعْتِمَةٍ من الخَشَبَة.)

المخـــــرج : المخرج (له كُرْسِيٌّ مخصوصٌ، كُتِبَ عليه بالعربية: «مُخْرِج»):

كان له أن يبسط صفحةً أو خشبةً، شاشةً أو مِرْآةً؛

كان لهم أن يلتقوا بدل أن يتهاوَشُوا في الخَفَاء.

ليس لهم أن يُبَدِّلوا هيئاتِهم. يمكنهم أن يحتفظوا بلباس نومهم حتى.

لهم أن يجلسوا حيثما يشاؤون: أينما يضغطون على الخشبة يجدون مقاعِدَ تنتظر جلوسَهُم، وما أن يقفوا تَنْغَلِقْ وراءَهم.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

لهم أن ينتبهوا أن الواقِفَ منهم، بمجرَّد وقوفه، يصبح مؤدِّيًا بالضرورة: أهو «مُتَكَلِّمٌ وجوبًا»، مثلما كتب شربل داغر؟

(عَتَمَة).

ش. د. : (دائمًا. كما يظهر كلامه، في العمل كله، كما لو أنه يكتبه للتَّوِّ، مباشرة، فوق شاشة إلكترونية مُكَبِّرَة فوق الخشبة):

المخـــــرج : لم أكتب بعدُ شيئًا.

متكلـــــــم : (مقاطعًا): ألستَ متأهِّبًا دومًا في أول السطر؟

أم أن على المخرج أن ينتظر دومًا؟

(منتظرًا جوابًا لا يصل، فيكمل كلامه):

خبرتي تفيدني بأن الجالس يتفرَّج، لا يتكلَّم، وأن المؤدِّي يكون حيث يتكلَّم، يكون بحكم ما يتكلَّم، وأن الكلام قد يأتي ملتبسًا، متداخِلًا:

هذا رهن المتكلِّمين، إذن، وما يسمح به الكلام.

ما أن يدخل أحدهم إلى الخشبة يسحب من أمامي ما يقع عليه من أوراق، ما له أن يقول، وأن يؤدِّي.

(نِتَفٌ من حوار، بين أصوات قد تعود لشخص واحد، لأدوار وشخصيات مختلفة من دون أن نعلم هُويَّاتها. جُمَلٌ أو مقاطع قد تعود لهذه أو لتلك أو لغيرها، أو تعود إلى نفسها فقط).

(وقفة).

ش. د. : لعبة أصوات، ليس إلَّا. خشبة عبور وانتظار واجتماع.

خشبة ما يُتوقَّع مجيئه. خشبة العابر والضيف والغريب والمتسلِّل وغيرهم.

خشبة ما يَعبر من دون أن يراه أحد.

خشبة ما يحدث وما قد لا يحدث.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين٦/ القسم الفني

لعلَّهم على طرف لساني.

لعلهم في بهو انتظار. يُخشى فيه النشل واللقاءات الصاعقة والاتفاقات المتهاوية بعد ثوانٍ على عقدها. وما يتمنَّاه الواصِلُ إلى البهو الوقوعُ على صديق أو حبيب بعد طول غياب أو اشتهاء.

هكذا ينتشر الكلام كيفما اتَّفق. لا يتتابع بل قد يأتي في دفعات متموِّجة، متلاحِقَة، مثل شتيمة. قد يأتي إلى جانب غيره، من دون أن يكونَا شَفَتَيْن لقولٍ واحد. وما يأتي بعده لا يتبعه بالضرورة.

المخـــــــرج : ما وجبت معرفته: الخشبة خالية إلا من جسم واحد. وكلمات المؤدِّين قد تحمل معها وضعيات ديكورية لهم أن يتدبَّروا صُنْعَها من مواد مختلفة موجودة تحت الخشبة، على أنها تُزال فورًا، إثر انقضاء الكلام الخاص بها.

لتداخُل ما يجري، بعضه ببعض، لا يحظى المُؤَدُّون دومًا بأسماء، وقد يؤدِّي أحدهم جملة وجوابها، فيما تتعيَّن لبعضهم مواقف وتَتِمَّات نتحقَّق تباعًا من أنها تعود لهم وحدهم، لا لغيرهم أبدًا.

ملاحظة أخيرة : إن التتابُعَ الوارد الآتي استنسابيٌّ، أي أنه مقترح. كان يمكن -ويمكن دائمًا- نقلُ مقاطع أو تبديل مواضعها، لإيجاد نسق آخر. إلا أن غيرها من المقاطع لازمٌ في تتابُعه، في شبك علاقات بين أطرافه.

(عتمة).

(مُستوعَب خشبي طويل في وسط الخشبة، ومتكلِّمون بين رجال ونساء).

متكلـــــــم : مَن ألقاه؟ أَهُوَ المُخْرِجُ؟

متكلـــــــم : بناء لتعليمات كاتب؟

متكلـــــــم : لا يهم! لعلَّها بداية ما.

(يدوران حول المستوعب، يتفحَّصانِه، يقترب أحدهم بأذنه منه طامِعًا بسماع صوت، ويقرع الثاني على الوجه العلوي منه، من دون جدوى).

(عتمة).

متكلـــــم : أهو شكل وحَسْبُ؟

متكلـــــم : أله محتوى أيضًا؟

متكلـــــم : بلا تَفَلْسُفٍ! إنه مستوعب خشبي مستطيل...

متكلـــــم : ... وطويل.

متكلـــــم : أهو فارغ لكي يتمَّ تحميله بعد وقت؟ أم مليء بما سيتمُّ تفريغه منه؟

المخـــــرج : هو الشيء الوحيد الذي يبقى فوق الخشبة، والمُلْزِم لغيره: ما يبدأ سابق عليه، وما ينقضي من حوار يبقى بعده، وربما في وضعية مختلفة.

ش. د. : لكنه، بخلاف غيره، لا يملك حقَّ الكلام.

متكلـــــم : مَن المُتَكَلِّمُ غيرنا؟!

(يجول بنظره باحثًا عن مصدر الصوت، فيجد الشاشة الإلكترونية التي نقلت كلام ش. د. الأخير).

(عتمة).

(يجلس أربعة متكلِّمين على المستوعب الخشبي).

متكلـــــم : ابدأْ من حيث يتوافر لك الكلام!

لا يهم!

لن تلبث أن تجد نفسك فوق الخشبة،

فتجد لك تَتِمَّةً ما.

متكلـــــم : عمَّ تتكلَّم!

لكنك لا تتكلَّمُ كما في مسرحية!

متكلـــــم : أَيَحِقُّ لي؟ أيحق لي أن ألعب؟

متكلـــــم : لعلها لعبة. لعلها تمارين مختصرة لما يمكن أن يدوم طويلًا من دون أن ينقضي بالضرورة.

(عتمة).

متكلـــــــم (يقف ويواجه أحدهم): إن قلتُ لك: نقطة، ما تقول؟

متكلـــــــم (واقفًا بدوره): ما يهم هو أن أعرف ما إذا وقعتَ قبل النقطة أو بعدها.

متكلـــــــم : قبلها؟

متكلـــــــم : لا يستحقُّ السؤال جوابًا: ارْضَخْ لما انتهيتَ إليه.

متكلـــــــم : وإن وقعتُ بعد النقطة؟

متكلـــــــم : أتنفَّس مَلِيًّا. أستطيع حتى الضياع، قبل أن أقيم في بيت ينغلق للتَّوِّ، من دون أثاث.

أقيم فيه، فلا تبلغني جَلَبَةٌ من خارجه.

متكلـــــــم : أقيم، أقف، حيث تبلغني أصواتهم المتباعدة.

أتمدَّد من دون أن أتقدَّمَ، وأُعَلِّقُ مصيري بما يحدث في مكان آخر.

متكلـــــــم (مغادِرًا): ها أنت تتكلم من جديد كما في كتاب!

(عتمة).

(العابر يتجوَّل فوق الخشبة، من دون أن يبالي بما عليها).

الغابـــــــر : ما يبقى: أوراق متساقِطَة.

متكلـــــــم : أوراق متساقطة: ما يبقى.

أعبث بها من دون أن يطالب بها أحد.

قد أصل إلى نهاية طريق، وقد أعود على أعقابي، قد أستريح، أو أتمهَّل في المشي، من دون أن تبالي الأوراق بذلك:

تتساقط حُكْمًا، من دون رجعة،

وقد تعلو أحيانًا لتسقط من جديد.

ما يبقى شجرةٌ، قَلَّمَا تنام، وإن استكانت إلى أحلامها،

قلَّما تغيب، وإن تقرأ جريدتها على عَجَلٍ؛
تتأهَّب، تتنبَّه، وقد تغضب
من دون أن يلتفت إليها أحد، غيري، أنا العابر من دون وعد بلقاء.
الشجرة تعاشر الهواء،
مثلي،
تراسله مثل عصًا لِكَمانٍ،
أو قلمٍ لسطوره،
بما يكفي الأوراق، متهادِيَةً، في سقوطها،
ويكفيني في مشْيَتِي،
أنا العابر من دون مِقْعَدٍ أو رفيق.
(عتمة).

(أمام المستوعب جسمٌ ملفوف بقماش أبيض).
متكلـــــــم : مَن أتى به؟ مَن هو؟
متكلمـــــان: (معا): لنَأْتِ بالجرائد.
متكلـــــــم : ولكن مَن يَكْفُلُ الخبر؟
(يسحبون جرائد مختلفة من مكان من المستوعب، ويشرعون في تقليبها).
متكلـــــــم : (يتناوبون على قراءة ما يلي):
لا تزال التحريات جارِيَةً لمعرفة القاتل الذي أَقْدَمَ ليلَ أمسِ في جهة مهجورة في الحي الخلفي على إصابة الحقيقة في كبدها من دون أن يلوي على شيء ولا على المُلْتاعين المذعورين وراء شبابيكهم الخائفين من عواقب هذا الاختفاء الذي نغَّص ليلَهُم القَلِقَ فوق أَسِرَّة الشِّدة. وقد سرت شائعة بعد حالة الذعر أفادت بأن المحقِّقين يُنَقِّبون في مكالمات الماوراء بحثًا عن حديث معصوم تعود إليه خيوط الجريمة الممتدة في شرايين الخائفين منها الشاخصين إليها مثل مصيبةٍ حَلَّتْ عليهم.
طبعًا، حلَّت علينا.

حلَّت علينا! حَلَّت علينا! حلَّت علينا!

متكلـــــــم : كُنَّا نلعب، وجدناها بيننا.

متكلـــــــم : لا صِلَةَ لي بما يجري.

لكنني خائف.

(وقفة).

متكلـــــــم : ماذا لو نتفرَّج على التلفزيون؟

(شاشة كبيرة تُضاء بكبسة زِرٍّ أحد المتكلمين. يسحبون من جارور في المستوعب كمامات ومناظير. فوق الشاشة صور جثث وانفجارات وعويل، يرافقها هذا التعليق برتيب:) انفجرت صباح اليوم عبوة ناسفة تَزِنُ أكثر من ألف كيلوغرام من الكلام المحشوِّ، فتطايرت في الشارع أَلْسِنَةُ القُرَّاء، فيما جهد المحققون في تعقب الأخبار المدسوسة بحثًا عمَّا سقط سهوًا، بين السطور، في آذان، من جديد...

(وقفة).

متكلـــــــم : أَهُوَ كَفَنٌ؟

أهي جثَّة تنتظر جنازتها أم تسليمها؟

متكلـــــــم : لا يبدو عليها الحراك: أهي تنام أم تستريح؟ أتحلم أم حطَّت فوق شرفة بعيدة؟

متكلـــــــم : لعلها وديعة كنز محفوظ...

متكلـــــــم : ومَوْقِدُ أمل...

متكلـــــــم : ... ومهد رجاء.

متكلـــــــم : لعله صندوق بقايا تمثال.

متكلـــــــم : لعله صندوق ذكرى.

متكلـــــــم : أم جُثَّةٌ قبل التحنيط؟

متكلـــــــــم : أهو مليء بما يُبَدِّل مجرى ما يحدث ابتداءً منه؟ أم هو فارغ يبتدئ الحوار تأسيسًا على فراغه؟

متكلـــــــــم : أهو بيت أم مقبرة؟

ش. د. : لن يقوى على الكلام.

لعله الظَّنُّ بشيء، أو توقُّعُه.

أهو ضريحٌ أم مصطبة كلام؟

أهو احتمالات مختلفة لما يمكن أن تكون عليه جملة واحدة؟

(عتمة).

(في جهة من الخشبة).

متكلـــــــــم (ساحبًا من جيبه آلة هاتف نقَّال، يطلب أحد الأرقام): آلو؟

متكلـــــــــم (في مشوش): نعم.

متكلـــــــــم : هل يمكنني توجيه بعض الأسئلة إليك؟

هل أنت في وضعيَّةٍ مناسبة لكي تجيب؟

متكلـــــــــم : لا. عليك أن تنتظرني قليلًا. ها قد وصلت (يصل إلى الخشبة).

متكلـــــــــم : لا، لا (يقفل هاتفه.)

أنت من جماعة المخرج، وأجوبتك مبرمجة، بل مسجَّلة.

متكلـــــــــم : عفوًا (يعود من حيث أتى).

(وقفة).

متكلـــــــــم (يطلب رقمًا آخر، مناسبًا لمكان العرض، في لقطة مُرْتَجَلَة): آلو؟

مجيـــــــــب (يتمُّ سماع أجوبته في صورة مكبَّرة):...

متكلـــــــــم : أنت على صِلَةٍ هاتفية بمتكلِّمٍ فوق خشبة في عمل كتبه (...)، وأخرجه (...)، ويلعب فيه (...).

مجيـــــب : ...

متكلــــــم (يتدبَّر المتكلم أسئلة وأجوبة تناسب ما يقوله المجيب على الطرف الآخر من الهاتف النقَّال، ويسعى من خلالها حَبْكَ صِلَةٍ حوارية معه، مستفسرًا إياه عن حصول جريمة قتل، وينتهي في ختامه إلى القول): هل أنت شاهِدٌ في هذه الجريمة؟

مجيـــــب : ...

متكلــــــم : ربما إلى لقاء قريب (يعيد الهاتف إلى جيبه).

(عتمة).

(في جهة من الخشبة)

ش. د. : للقصيدة مصطبة يمكن الجلوس فيها،

لكنني أجد لطخةً قانِيَةً،

وقتيلًا يعترض سبيل الكلام.

أليس لي أن أهيِّئَ للقصيدة مقعدًا

خارجَ قفص الاتهام،

وفرصة للإبلاغ،

فأحسن معرفة المهزلة من المأساة في الجريمة؟

(بعد وقفة، يلتقي متكلِّمون في جهة من الخشبة).

متكلــــــم : هل تأذن لي بالكلام؟

متكلــــــم : أسمحُ لك بالاستماع.

متكلــــــم : هل أجلس على كرسيٍّ؟

متكلــــــم : لا، أخشى أن تنام.

متكلــــــم : أَأَبقى واقفًا، إذن؟

متكلــــــم : تبقى صاغِرًا، متنبهًا، شريكًا من دون جواب.

(وقفة).

متكلـــــــم : تَمَسَّكْ بحبل الانتظار، وإلا وقعت.

متكلـــــــم : أين لي أن أقع، إن وقعتُ؟

متكلـــــــم : بعد نفاد صبر المتفرِّجين.

(عتمة).

(في جهة مُضَاءَة من الخشبة)

(مشهد حركي، من دون كلام: متكلِّمٌ جالِسٌ على طرف المستوعب، يتقدَّم منه أحدهم ويطالبه بالجلوس مكانه، فيشير إليه بِخُلُوِّ الجهة الأخرى من المستوعب. إلا أن الوافد يُشَدِّدُ على المكان عينه، فيخليه له الجالس، بحيث يجلس الوافد إلى جانبه. ثم يطالبه الجالسُ الجديد بالابتعاد عن مكانه، فيفعل الآخر. ثم يطالبه ثالثة ورابعة إلى أن يصبح الجالس الأول خارج المستوعب، فيرفع يده وينهر الوافد، ويطرده من الخشبة).

(عتمة).

شجـــــرة : أنا الشجرة، لا أُحْسِنُ قَوْلَ الشِّعْرِ،

ولا قَوْلَ النَّثْرِ.

أُغَمْغِمُ وحسب.

قد تصطفق أغصاني، بعضها ببعض، إن مَرِضْتُ،

غير أني أُحْسِنُ الإصغاءَ،

وأستغرق في صمت مديد

إن بكيتُ.

(عتمة).

(في جهة مُضاءَة من الخشبة)

(يتَّجه أربعة متكلِّمين، في حركة هَيِّنَة، إلى المستوعب: اثنان من كل جهة، بعد أن يكون قد سحب كل واحد منهم كرسيًّا من المستوعب، موصولًا به، وجلس عليها: يتقابلون ويشرعون في توزيع ورق لعب فيما بينهم. ويلعبون...)

(بعد وقت، يدخل خامس).

متكلـــــــم (وقد توقف عن اللعب): من أنت؟

متكلـــــــم : أنا ضيف.

متكـــــــل: ما تريد؟

الضـــــــي: ما تشاء.

متكـــــــل: أتتفرَّج إلى لعبتنا؟

الضيـــــف : إن شِئْتَ.

(يجلس الضيف إلى جانب داعيه، ويشرع في توجيهه، ويستعيده في لعبه، ثم يُقْدِمُ على إزاحته من مكانه، من دون أن يعترض الثلاثة الآخرون، ويتابع اللعب بدلًا عنه).

متكلـــــــم : متى تعلَّمْتَ اللعبة؟

الضيـــــف : الآن.

متكلـــــــم : كيف ذلك؟!

الضيـــــف : أنا ضيف، أبدأ من حيث تباشرون، ولا شيء أخسره سوى مكان مؤقَّتٍ.

(عتمة).

(المستوعب، الجثَّة: تبدو عليها لطخة حمراء).

متكلـــــــم : قتلوه من جديد. بقعة الدم اتَّسَعَت.

متكلـــــــم : لعل جرحه يَنِزُّ، من دون أن يُسْعِفَهُ أحد.

متكلـــــــم : لا أسمع له أنينًا. مضى في الدهليز الأخير، ولا يبالي بضوء الشمس إن سطع في عينيه المذعورتين.

متكلـــــــم : أرأيتَهما؟

متكلـــــــم : ما اقتربتُ منه بعد.

متكلـــــم : لماذا؟

متكلـــــم : لم يطلب ذلك مني أحد.

متكلـــــم : ألا تسعف جريحًا على قارعة الطريق؟

متكلـــــم : أُسعف المخرجَ وحسب.

هذا ما يقتضيه عَقْدِي.

(عتمة).

متكلـــــم : هل القتيل ورقة نقدية، لها صفحتان متشابهتان؟

متكـــــل: هل يتداولها الجميع؟

متكلـــــم : إنه ليس قتيلًا. إنه الشهيد المجيد. إنه الشهيد الحي أبدًا في قلوب مريديه.

متكلـــــم : يستحقُّ جنازةً مَهيبَةً، إذن.

متكلـــــم : من دون شك. فالميت يُقاسُ بحسب مودِّعيه.

متكلـــــم : لا، الميت يُقاس تِبْعًا لما يحتاجه مُوَدِّعوه من موته.

(بعد وقفة، يدخل المخرج ويهيِّئ اللقطة).

المخـــــرج : الراحة الخالدة لشهيدنا الغالي.

(تمتمات لصلوات، وحركات جنائزية مختلفة).

متكلـــــم : الشهيد مِنَّا، الشهيد عَنَّا، الشهيد فينا، الشهيد حولنا، الشهيد أمامنا.

متكلـــــم : لا، الشهيد نَسِيَ بيان الاستشهاد.

متكلـــــم : هاكَ غيره.

متكلـــــم : أنا الشهيد الحي، أهدي سلامي إلى كل مَن يسأل عني بعد هذا اليوم...

(مستدركًا) عَفْوًا، هل يمكنني تَمْضِيَةَ اليوم الأخير إلى جانب عائلتي؟

المخـــــرج : (متدخِّلًا، حاملًا آلة تصوير سينمائي): إلى جانب المخرج بالأحرى.

لنبدأ من جديد (يَشْرَعُ في التصوير.)

متكلـــــــم : أنا الشهيد الحي، أهدي سلامي إلى كل من يسأل عني بعد هذا اليوم...

المخـــــرج : توقَّفْ. أنت مُرْتَبِكٌ.

هذا لا يجوز!

الشهيد لا يتردَّد أمام بوَّابة الجنة.

متكلـــــــم : لكنه ليس شهيدًا بَعْدُ!

المخـــــرج : إنه شهيدٌ احتماليٌّ، على وزن احتفاليٍّ.

(بعد وقفة، الكاميرا مثبَّتة على حاملتها المعدنية. المخرج يدير اللقطة. أحد المتكلمين يعمل في تخطيط يافطة ممدَّدة فوق المستوعب).

المخـــــرج : الموت صورة. الموت ذكرى. الموت لقطة.

متكلـــــــم : لا. نحن نقول في المغرب: فُرجة.

المخـــــرج : الموت فُرجة.

متكلـــــــم : لا. الموت ورقة تُقرأ بالمقلوب.

متكلـــــــم : لا. الموت صورة فوتوغرافية، لها «بوزيتيف»، ولها «نيجاتيف».

متكلـــــــم : نحن «النيجاتيف»...

متكلـــــــم : ... والشهيد هو «البوزيتيف».

المخـــــرج : المخرج (يقترب من الخطاط): حَسِّنْ خَطَّكَ. لا تَنْسَ النُقْطَة.

متكلـــــــم : لا تَنْسَ الشهيد.

(عتمة).

(ينتظم المتكلمون في تظاهرة، تعلوها يافطة كُتِبَ عليها «نستنكرون»).

متظاهـــــر : (بعال): الحق يعلو ولا يُعْلَى عليه.

متظاهـــــر : (في خفيض): العين لا تُقاوِمَ المخْرَزَ.

متظاهـــــر : (بعال): إذا الشعب يومًا أراد الحياة...

متظاهـــــر : (في خفيض):... فلا بُدَّ أن يستجيب التلفزيون.

(يبقى رافعُ اليافطة ماشيًا في تظاهُرَةٍ، فيما يقترب المتظاهرون من الكاميرا طلبًا لتصوير وجوههم، عدا أنهم يرسلون حركات وإشارات في اتجاه الكاميرا كما لو أنهم يخاطبونها).

المخـــــرج : (متدخِّلًا، زاعِقًا): قِلَّةُ أدب!

(عتمة).

ش. د. : جئت أشهد لضلوع القتيل في الجريمة...

فالقتيل شريك.

متكلـــــــم : وماذا لو تمَّ تكليف قاتلٍ مأجور؟

ش. د. : قد يكون ساقًا اصطناعية في استعارة، إلا أنه كناية في غيرها.

(عتمة).

(المشهد الحركي والصامت السابق يتكرَّر، بين جالس ووافد، إلا أنه ينتهي في حركته الأخيرة إلى وضعية مغايِرَةٍ، بعد أن يتمكَّن الوافد من إزاحة الجالس عن المستوعب تمامًا: ينتهي الوافد إلى الجلوس على جسم الآخر بعد أن طواه بحركة عنيفة لكي يصبح مِقْعَدًا له).

(عتمة).

متكلـــــــم : وجب أن يكون للقاتل مُحام، أي ناطقٌ باسمه، إذ إن ما حصل لم يتم في خلوة صامتة، وإنما بعد صخب وعراكٍ.

متكلـــــــم : القتيل جواب، فيما يُشِعُّ أَلَقُ عداوة بين وجهين.

متكلـــــــم : حكمًا، وإن أثبتت التحقيقات أنه تلقَّى الطعنة من خلف.

متكلـــــــم : لا لم يُقْتَلْ. وضعناه في السجن.

متكلـــــــم : يحتاج إلى محاكمة، لا إلى إعدام. فقد قتلناه في نفوسنا من زمان، وأكثر من مرة.

متكلـــــــم : يحتاج كُلُّ واحدٍ مِنَّا لأن يعلو بوجهه إلى وجهه، مثل خصمين متكافئين. لمرة واحدة على الأقل.

متكلـــــــم : يحتاج كلُّ واحدٍ منَّا إلى وقت، إلى إخراج، لكي ننجح في سحب ثيابنا من تحت أقدامه.

متكلـــــــم : فلقد كانت ظهورنا درجات مَجْدِه.

(عتمة).

ش. د. : الذي يواكب جنازاتِ المتألِّمين

يبقى على شرفته، يبقى بين سطوره.

العابـــــر : العابر لا يطرق الطريقَ عَيْنَها،

ولا يلتفت إلى الوراء،

يُنَقِّلُ خطاه، يتفقَّد من دون أن يُؤْذِي،

يصافح الجالسين، ويربِّتُ على كتف التَّعِبين.

(المستوعب دائمًا، الجثة في جهة خلفية).

متكلـــــــم : وأنتَ هل قَتلت؟

متكلـــــــم : طبعًا. أنا «البُوي».

متكلـــــــم : ماذا يعني؟

متكلـــــــم : «صبي» في الانكليزية. لكنه يعني في إفريقيا شيئًا آخر.

متكلـــــــم : ماذا يعني؟

متكلـــــــم : أنا «البوي»، أنا الولد.

(بعد وقفة، ينتحيان جانبًا).

متكلـــــــم : قُلْ لي صراحة: أأنت تروي أم تعترف؟

البـــــوي : البوي: لا يهمُّ!

ما يهم هو أن تكون منجذبًا إلى ما أقول.

(عتمة).

البـــــوي : البوي: بلى. أنا قاتلٌ، بدليل أنَّني هاربٌ، اليومَ.

متكلـــــم : وكيف ذلك؟

البـــــوي : البوي: كنت أنتظره، ليلَتَها، في أسفل الدَّرَجِ، في الجهة المُعْتِمَةِ، وفي جيبي سكِّينُ المطبخ.

كان يأتي إلى زيارتها، مساء كل خميس، بِدِقَّةِ ساعة الحائط الرقَّاصة في الصالون الذي أكون قد أعددت فيه إبريقَ الشاي. كنت أنتظره أسبوعيًّا أمام العتبة، وكان يَهُمُّ، عند وصوله، في كل مرَّةٍ، في إخراج قطعة نقدية من جيب صداريته، من دون أن يجدها، فيكتفي بضربة من عصاه على كتفي الأيمن.

المخـــــرج : المخرج (داخلًا، غاضِبًا): أوه! أوه! ما هذا! أنستمع إلى حلقة إذاعية؟!

(يخرج المخرج).

البـــــوي : البوي: أنا «البوي»، أنا الغلام، أنا الولد،

أنتظر، لا ينتظرني أحد.

متكلـــــم : وأنا مَن؟

هل ينتظرني أحد؟

البـــــوي : البوي: ربما المتفرجين.

(ثم يتابع مؤدِّيًا ما يقوله، فيما يلتهي اثنان بلعب الورق، ويجلس ثلاثة آخرون على الخشبة، مصغين كما إلى حكاية):

كعادتي، جلست في تلك الليلة على الكرسي (المسحوبة من المستوعب الخشبي)، أمام العتبة: لعله يناديني من الداخل، لعلها تناديني... أمضيتُ الوقت في تَحَسُّسِ السِّكِين في جيب سترتي الداخلي، بعد أن كنت قد قلَّبته بين يدي غَيْرَ مرة، على الشرفة أمام غرفتي الرطبة: قَلَّبْتُه كمن يرقص تحت ضوء القمر.

متكلـــــم : ولكن متى قرَّرْتَ أن تصبح قاتِلًا؟

البـــــوي : البوي (مستلقيًا فوق المستوعب): كان ذلك في صبيحة الليلة المقمرة. ليلة ما

عَلِمْتُ أوَّلها من آخرها. ما أعرفه، هو أنني وجدتها إلى جانبي، في سريري، في لباس نومها الشفاف، ويدها على وجهي. كنت أهذي... قلتُ كلامًا كثيرًا. لعلي أخبرتها أنني أخفيتُ بين ثيابي سروالًا داخليًّا لها، كان مُعَلَّقًا مع الغسيل على الشُّرْفَةِ.

متكلـــــــم : وكيف هو؟

البـــــوي : البوي: لا أزال ألبسه تحت سروالي.

كانت ليلةً مُقْمِرَةً بدليل أنني رأيت على وجهها ما سبق أن قاله عنترة لعبلة: «ولَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّم». كنت أَهْذِي، وكانت تُنَشِّفُ العَرَقَ عن وجهي بمنديلها، وتشدُّ على ساعدي مُرَدِّدَةً: «بوي، لا تخفْ، أنت أقوى من عنترة».

(يتوقَّف اللاعبان عن لعب الورق، ويلتحقان بالمستمعين الثلاثة).

متكلـــــــم : ومتى أَقْدَمْتَ على القتل؟

البـــــوي : البوي: لم أبقَ، في تلك الليلة، طويلًا جالِسًا على الكرسي أمام عتبة البيت. فما أن تباعد صوته وصوتها عني، في غرفتها، نزلت إلى المدخل، وتربَّصْتُ له في الجهة المُعْتِمَةِ. كان لي وقتٌ كافٍ، لكي أتأكَّد من وجود السكين في موضعه، ولكي أستعيد الخطوات التي قادتني لأوَّل مرة إلى بيتها.

متكلـــــــم : متى كان ذلك؟

البـــــوي : البوي: كنت أعمل في دكان، بعد أن هربت من المَيْتَمِ في الثالثة عشرة من عمري، وقد تحقَّقْتُ، ذات يوم، أثناء تفتيشي في ملفَّات المَيْتَمِ، من أن صاحب هذا الدكان عثر عليَّ، مع بضاعات الموزِّعين التجاريين، أمام محلِّه، ذات صباح. فكان أن قادني إلى الميتم.

أنا «البوي»، أنا الغلام، أنا الولد،

أنتظر، لا ينتظرني أحد.

(عتمة).

متكلـــــــم : وكيف انتقلت إلى بيتها؟

البــــــوي : البوي: طَلَبَتْ من صاحب الدكان، ذات يوم، يوم تَبْضيعَتِها الأسبوعية، أن أساعدها في نقل حاجياتها. وعند إيصالي لها، إلى مطبخها، بادَرَتْني بابتسامتها اللامعة: «أنت بوي»، فسألتها: «ماذا يعني، سيدتي؟». «إنه الخادم البيتي في إفريقيا. خادم يَصْلُحُ لكل شيء. يسمع، يرضخ، يستفسر، لكنه لا يعترض أبدًا. مثل الجَمَلِ عند العرب». «لكنني لست غلامًا، سيِّدَتي. أنا رجل»: اعترضتُ في وجهها. فقالت: «الرجال مثلك، هم (بوي) في إفريقيا».

متكلــــــم : أكانت إفريقيَّةً؟

البــــــوي : البوي: لا، لكنها عاشت هناك. ووَرِثَتْ بيتَ زوجها الفقيد هنا.

متكلــــــم : أَقَتَلْتَها بدورها؟

البــــــوي : البوي: لا، أَأَنتَ مجنون!

أثناء المحاكمة، سألتني، وهي في قفص الشهادة: «لماذا فعلتَ ذلك؟»، لم أُجِبْ، أَخْرَجْتُ منديلها الحريري من جيبي (يخرجه من جيبه) ولوَّحْتُ لها به.

متكلــــــم : وكيف أنتَ اليوم، هنا؟

البــــــوي : البوي: أنا هارب. هربت من إصلاحية الأحداث التي وضعوني فيها، بعد تجريمي؛ لعدم بلوغي السن القانونية. بعد عدَّة أيام، نجحت في الوصول إلى بيتها ليلة خميس. وصلت بعد التاسعة مساء. وقفتُ تحت شبَّاكها، وانتظرت. لا حركةَ في البيت، إلى أن صرختُ باسمها: أضاءت غرفتها، فتحت شُبَّاكها، وصرخَتْ بعالي صوتها: «بوي، بوي، بوي، بوي...».

(يعاود اللاعبان لعب الورق).

(عتمة).

البــــــوي : البوي: أنا «البوي»، أنا الغلام، أنا الولد، أنتظر، لا ينتظرني أحد.

متكلــــــم : وأين أنت اليوم؟

البــــــوي : البوي: غارقٌ في العَتَمَة.

(المستوعب دائمًا، الجثة في العتمة في صورة مزيدة).

متكلـــــــم : أتفَقَّدُ أعضائي واحدًا واحدًا في الحمام، فلا أتبرَّم،
فيما تبقَّى الكلمات على طرف لساني، فلا تنزل،
وأنت؟

متكلـــــــم : يحلو لي إعداد «كلمات متقاطعة» لرفاقي في النادي، لكنني أضطرب في مسعايَ مرة بعد مرة: لا تنقاد لي الكلمات طَيِّعَة. أما إذا فتحت القاموس، على أي حرف، فإنني أُحْسِنُ فَهْمَهَا في غالبها.
وأنتَ، أيها الكاتِبُ؟

ش. د. : الجسد يضيق، فيما تتَّسِعُ اللغة.
الجسد مُفْرَدٌ واللغة جَمْعٌ.

متكلـــــــم : وماذا فعلتَ بالمُثَنَّى؟

متكلـــــــم متكلم (مذكِّرًا): إنها خاصة مميِّزة للعربية.

المخـــــرج : المخرج (متدخِّلًا، غاضبًا): هذا كلام لا يعني شيئًا. أريد كلامًا له وقع ابتسامة أو تكشيرة أو استفسار.

متكلـــــــم : لعلَّك تريد مؤثِّرات صوتية.

متكلـــــــم : وماذا فعلت بالمُؤَنَّث؟ لم يَرِدْ ذِكْرُهُ أبدًا!

المخـــــرج : قد يكون المتكلِّم ذَكَرًا أو أنثى، من دون تمييز.

متكلـــــــم : إلا أن هذا لصالح الرجل حكمًا.
(عتمة).

العابـــــــر : ألي باستراحة قصيرة، أيَّتها الشجرة؟

الشجـــــرة : لِمَ تستأذن، أيُّها العابر؟

العابـــــــر : خَشْيَةَ إِشْغَالِكِ عمَّا تفعلين.

الشجـــــرة : لا أحد يشغلني. حتى الريح نفسها لا تشغلني.
مِمَّ أنتَ تَعِبٌ؟

العابـــــــر : مِمَّا لا أقوى على القيام به.

الشجـــــرة : وماذا تفعل؟

العابـــــــر : أقف أمامهم، فلا يبالون. أعدو معهم، فيتوقَّفون. لعلَّهم قَلِقُون. لعلَّهم نَزِقُون.

ما يُتاحُ لي هو التمهُّل عند انطباق شَفَتَيْن، والاستلقاء في فراغ زجاجة بعد نفادِ صبر شاربيها، وإمعان النظر في الرصاصة طوال تَقَدُّمِها.

الشجـــــرة : هذا كثير. يتعدَّى ما أقوم به.

العابـــــــر : فعلا! وبِمَ تقومين؟

الشجـــــرة : لا أعدو، ومع ذلك يَخْشَوْنَني.

يكفيهم سماع طرطقة أحذيتي، مثل جيش يُحَمْحِمُ في أهْبَةِ المعركة، لكي يبتعدوا ويختفوا.

وإذْ أَكُحُّ، يُصابون بالزكام في مراقِدِهم. وإذ أُغَمْغِمُ، يَنْصُبون مجالِسَ عزاءٍ.

أتَرى؟ في الأمر ما يضجر.

لذا تراني قَلَّما أتنقَّل.

لذا أمشي في الطُّول.

لذا تراني قَلَّما أتقدَّم، أرتفع فقط.

وإذ أشيخ، أتقاعد في مقعدي.

العابـــــــر : لعلَّنا متشابهان. لُعْبَتُنا خافية، وجمهورنا لاهٍ عنَّا، فيما يؤدِّي معنا ما لا يدركه في مجرى حركته.

الضيـــــف : غير أنه يتكلَّم، ولا يكتفي بالغَمْغَمَةِ، والهَمْهَمَةِ، والارتعاد وغيرها من أقوال البلاهة.

الشجـــــرة : ومن هذا الذي يتشدَّق بأقوال قبيحة؟!

العابـــــــر : إنه الضيف.

(وقفة).

الشجـــــرة : مَن دعاه؟

العابـــــــر : يحلُّ، هكذا. من دون بطاقة زيارة.

الضيــــف : لا. قد أكون ضيفًا احتماليًّا، إلا أنني شريكٌ وجوبًا.

المخـــــرج : المخرج (من مكان معتم): ها أنت تتكلَّم مثل شربل داغر.

الضيــــف : ها هي أمكنةٌ خالية، ومقاعِدُ شاغِرَةٌ، وجُمَلٌ تحتاج إلى ردودها.
بلى، أنا شريك، وإن لم يَدْعُني أحد.

المخـــــرج : (يظهر فوق الخشبة): خُزَعْبلاتٌ، خزعبلات، طالما أنني بطرف إصبعي قد أوقفت الرصاصة في انطلاقتها، وأَدَعُ الضَّيْفَ يتحوَّل إلى شَحَّاذٍ في حدائق التَّعاسَة، وأَدَعُ الشجرة وقودًا لطائرة فوق غَيْمَةٍ.

العابـــــــر : وماذا عنِّي؟

المخـــــرج : لا تنتظر شيئًا. امضِ وحسب. ففي ذلك ما يكفي. فيه لك مكافأة أكيدة.
(عتمة).

(الخشبة معتمة).

ش. د. : الموت له وجه الشبيه، ووجه الأليف،
يخيط النياشين لهم تحت نظر زوجاتهم المتبرِّجات ساعاتٍ طويلة قبل الجنازة.
القاتل شريكٌ في حوار وإن يقطعه، ما لا ترسمه صورتُه: وحيدًا في قفص اتهام.
(وقفة).

متكلـــــم (في العتمة بدوره): أنتَ، أيها الكاتب، هل قتلتَ؟

ش. د. : مرَّات عديدة.

متكلـــــم : كيف ذلك؟

ش. د. : أطلقتُ فقط رصاصةً وحيدة،
على الحنين،
رصاصة نِقْمَةٍ، رصاصة رحمة،

لكيَ لا أشقَى هاذِيًا
بينَ وجوه صفيقة.
لكنك بَكَيْتَ!

ش. د. : لا، ما بَكَيْتُ،
إنما مائي فاض.
(عتمة).

(في جهتين مُضاءَتَيْن من الخشبة.)

المخـــــرج : (مُرَتِّبًا المشهد): زوجة القتيل تبكي (تبكي).
زوجة القاتل تبكي (تبكي).
هذه قبل، وتلك بعد، ومعًا ولكن في مجلسَيْ عزاء (تبكيان معًا).
لِكُلٍّ صورتُه المُؤَطَّرَة في صالون،
ونجمةٌ موعودة في سماء النَّسَب.
(وقفة).

متكلـــــم : جعلني أقف حيث أسقط شهيدًا لسبب أجهله.

ش. د. : خيوط عَنْكَبوتٍ تسهر مع أحلامنا،
ورُتَيْلَاء على عتبة باب مفتوح.

متكلـــــم : يعاشرنا، إذن؟

ش. د. : يسعى مع الساعين فلا يستبقهم،
يواعِدُهم فَيَصِلُون قبله،
يعاشرهم فوق طاولات المغامرة، كما في غَطْرَسَةِ الأعراس والمآتِم.
(اختفت الجثة.)

متكلـــــم : أين الجُثَّةُ؟

متكلـــــــم : أَهِيَ استعارةٌ؟
متكلـــــــم : لعلها في المُسْتَوْعَبِ.
متكلـــــــم : ألم تُلاحِظْ أن الجُثَّة المزعومة كانت أكبرَ بكثير من مقاسات الجثة الاعتيادية.
متكلـــــــم : وماذا عمَّا جرى؟ كيف نحسبه؟

(يسرعون في اتجاه المستوعب. يفتحونه. لا يجدون شيئًا فيه. يغلقونه من جديد).

(وقفة).

متكلـــــــم : هل الذي وضعوه، هنا، سحبوه من هنا؟
متكلـــــــم : لعلهم عرضوه لكي يواقعوا القاتل.
متكلـــــــم : لكنَّنا لم نتأكَّد منه، من حقيقة موته.
متكلـــــــم : لعله كان شكلًا في الديكور، ليس إلَّا.
متكلـــــــم : لكن بقعة دمه قانِيَةٌ، مثلما قال الشاعر.
متكلـــــــم : لعلها مؤثِّراتٌ إخراجيَّةٌ.
متكلـــــــم : ومع ذلك، هناك أناس اعترفوا بإقدامِهِم على القتل...
متكلـــــــم : (مقاطِعًا):... بل بإقدامهم على سَرْدِ حكايات قتل.
متكلـــــــم : وما الفارق بين أن تروي وأن تعترف؟
متكلـــــــم : مثل الفارق بين أن تكتب وأن تعيش.
متكلـــــــم : أَكُنَّا نلعب أم نعيش؟
متكلـــــــم : لا يهمُّ!

المهم أن في الصالة مَن يتفرَّجون، مَن بقوا في كراسيهم، من أكملوا الجملة حتى ميعاد النقطة.

متكلـــــــم : أَهِيَ نقطة ختامية؟
متكلـــــــم : قد تكون ثلاثَ نقاط متتالية؟
متكلـــــــم : ألم أقل لك إنها لعبة؟

متكلـــــــم : هذا ما عرفته منذ البداية، إلا أنني أمسكتُ بخيط الكاتب، وإذا به يطول.

المتكلـــــون : المتكلمون (معًا): خيط الكاتب طويل... خيط الكاتب طويل... خيط الكاتب

طويل... خيط الكاتب طويل... خيط الكاتب طويل... خيط الكاتب طويل...

خيط الكاتب طويل... خيط الكاتب طويل...

(يقولون العبارات الأخيرة فيما يشدُّون المستوعب إلى خارج الخشبة. يشدُّونه بحبل إلى جهة مُعْتمَة، فيقعون ويعاودون الشدَّ من جديد...).

وليمة قمر

أُمرِّر يدي على صفحة الباطون

فترتوي،

وأُمسِّدُ تجاعيدها

فَتَخْضَلُّ أغصاني بما تَعِدُ؛

بطاقة دعوة إلى درجات،

إلى خشبة مرئية،

ما يجمع المدعوِّين حول وليمةِ قَمَرٍ؛

ورقات سمر في كتاب سهر

لكي تسع الرسوم كما الهواء،

الخارجين من مقاعدهم مثل الواصلين إليها؛

أُمرِّر يدي،

أمدُّها لشريكة في حفل.

أَقْرَعُ، الليلةَ، على باب له مفاتيحُ كثيرةٌ

من دون أن يُفْضِي على الغُرَفِ نفسها،

وله ساكنون مُؤَقَّتون، ومقاعِدُ معدودةٌ،

في مواكب تنعقد، للتوِّ، لمصافحتي

في حفلٍ ختاميٍّ:

لعلهم يتذكَّرونني،

لعلي أنساهم من دون شفقةٍ،

لعلي أحتفظ بمجد الغُبارِ ونَثْرِ الصُّوَر،

لعلي لا أُحْسِنُ غير تعداد العابرين العجولين الذين أفاقوا فوق دروبهم من دون جُعَبِهِم فانصرفوا إلى أقرب المساكن،

لعلِّي أطالب بما غار أو طار،

لعلِّي أعقد محكمةً بِمَنْ حضر...

طالما أن القصيدة تتفقد ما يَعْبُرُ فضاءها، ما يشغل مقاعد هواجسها، على أنه في مُلْكُها المقيم.

هذه الليلةُ صامتةٌ كي أُطيلَ النَّظَرَ إلى

غُبار النجوم وإلى وشوشات النهرِ المسرِعِ إلى

سهرته. هذه ليلةُ الإصغاء إلى ما أودعه الراكضون وراء

صنادلهم في مخابئ الصخور، إلى

ما قالته له وما قاله لها من دون أن يُدْرِكاه، إذْ

إنه كان غافلًا عنه، وغافلةً عنه، مشدودين مثل وتر بعد

انطلاق سهمه. هذه ليلة من يَفِدون من دون استدعاء، ومن يصلون فلا يعلمون ما يفعلون، ومن يبكون أو يقهقهون من دون استعداد، بمجرد جلوسهم إلى ما يعرض لهم، تباعًا، من مشاهد الخِفَّة أو الشِّدَّة، المرويَّة من دونهم، عنهم، بعد أن خلَّف

الفتى أختامَ صَنْدَلِهِ الكبير بين شتلات الذُّرَة؛

والأرملةُ ديكَها، في مَوْقِدِها، للصِّبْيَةِ الضَّجِرين؛

والمُسِنُّ شُبَّاكَه مُضَاءً حتى الصباح من دون أن تأتي؛

والقناديل المُشْعِلَةُ للقصيدة دروبَها. إنها ليلة القصيدة إذ تتبختر

في هيصتها على ما يخفى عنها وتنيره.

تَدْلُفُ يدي إلى دِفْءِ رسائِلَ يصحو تحت المخدَّات

وإلى أَلَقِ أزهارٍ جفَّت في شقوق حيطان،
وإلى زمزمة شفتَيْن تصلحان للنَّحْت،
وإلى ما ترويه عيناها لساهرِين يعبرون أمام حَبَقتها،
وإلى أَجْوِبَةٍ بَقِيَتْ في صدور حالِميها؛

تسحب يدي ألسنةً غائبَةً،
فلا تعود من حيث أَتَتْ،
تبحث عن جالسِين إلى مُطالَعَةٍ،
يَلْقَون في ما يقرأون
بُقَعَ ضوء
تَبْعَطُ في مُخَيِّلَةٍ.

ما أن جلستُ تأهَّبْتُ

خشية أن يفوتني ما يُرْبِكُني عن بُعْدٍ،
ما أخافه من دون أن أراه:

إذ أصغي إلى ظلال الشجر أُدْرِكُ أنَّ
راقصين يبكون من دون موسيقى،
وأن ساهرين ناموا في حكاياتهم،
وأن صِبْيَةً شَرِسين يتلصَّصون لُمباغَتَةِ بُومَةِ التَّعاسَةِ،
ويبسطون وليمةً لأفاعي الدَّهْشَة؛

أدرك ما يصالحني بِجَنَّةِ الخَلاء
التي أحاطت بأصابعي قبل السماء،
ما يجمعني بنجمي البعيد
حيث ينعقد خيطُ القصيدة
مهما طال سطرُها:
هذا الدَّفْقُ يرسم ابتسامتي فتنفرِجُ أسرارها،
ويَعْبَثُ بشعري إن سهوتُ.

رفاقي، الليلةَ، معي

هنا، الآن،

يحتفلون بما استقبلتهم به دِفَّتَا كتابٍ:

صِبْيَةٌ، إذ يجلسون

يكبرون،

وإنْ من دون صبايا،

يسكرون من دون شراب،

ويزهون بما يثرثرون.

رفاقي، معي، غيابيًّا

لا ينفكُّون عن مُناداةِ الفتى، المختفي فوق أغصان الشجرة، التي نظروا إليها من دون أن يَرَوْها، واستمعوا إلى حفيفِها من دون أن يلمسوها،

طالما أنهم كانوا لاهين عنها بها؛

هي شجرة ما لا ينقطع في السرد،

ما يزيِّنُ الرؤوس في طيرانها

ويُطيل الأصابع عند التصفيق،

شجرة الرفاق الذين ماتوا من دون أن تموت الشجرة التي تَحيقُ بهم

مثل الظهور المُمْكنِ، المتبقِّي، لنَجْمٍ بعيد.

لكلٍّ شَجَرَتُه

لا يبارحها:

يقيم فيها،

تقيم فيه،

من دون انقطاعٍ.

إذ تزهر

لا يبالي بِقِطافِها،

إذ يسعى

تَخِفُّ إلى استقباله:

صداقةٌ لَدُودَةٌ أم عداوَةٌ حميمة؟

في آنٍ واحد، من دون أن يكونا معًا،

في أول الطريق، يعدو جسده أمامه، يسابق قطارًا قبل وصوله،

وفي نهاية الطريق، لا يبلغ نهايتها، لا يصل طالما أنه يحمل شجرته.

أَتَباعَدَت النُّجومُ أَمْ قَلَّتْ؟

أَصَغُرَتْ الأرض وقد كَبُرْتُ؟

ألأنَّني قلبتُ طبق السماء على طابخيه لم أَجِدْ وليمةُ تشغلني أَبْعَدَ من مرمى لساني؟

هل أحرث أرضًا لغيري طَمَعًا برائحة الأرض وحسب؟

هل تستكين البيوت، الليلة، مَطْوِيَّةً في قصة أطفال، بناءً لرغبة خافية على كاتب؟

هل يتندَّرون بما آلت إليه خطواتهم فوق الدروب، بعد أن كانوا يخرجون من أهلهم عندما تؤوب الدجاجة إلى قِنِّها؟

أيتنزَّهون أم يُنَقِّبون في ما تتباعد صورُه ويبقى طَعْمُهُ في الذاكرة؟

هل يتحقَّقون في الليل من شهيَّة الصباح؟

الشجرة التي رسمتُها عن ظَهْرِ قَلْب

استطالت فقط في أصابعي،

أبحث عنها فلا أجدها،

أتوجَّه إليها فلا أتقدَّم.

لا يزال الدَّرَجُ منصوبًا بين نهر وبيوت،

ساحة وهمية

بين غُبارٍ وانتظار،

ناديًا يوميًّا

لِمَن يذاكرون نهارًا ما تعلَّموه ليلًا؛

مَن أقاموا لوحًا بين البيوت العالية لألسنتهم الطويلة،

مَن جرَّدوا الإجَّاصات من شجرتها، قبل نُضْجِها، بمجرَّد أن لمعت تحت ضوء القمر،

من استظلُّوا السماءَ مِعْطَفًا رقيقًا لتَجْوالِهِم الليليِّ

وتَلَصَّصوا من دون أن يَرَوْا،

مَن سرقوا طَلَبًا للسرقة

وأقاموا للدجاجة رُتْبَةَ المصلوب؛

مَن رسموا مصائِرَ مخلوقاتٍ

بمجرد أن عَلَوْا فوق درجات ورتَّبوا للبيوت صُوَرًا في دفتر عُطْلَةٍ،

بمجرد أن جعلوها مَحِلًّا لمُعايَنَة

كبروا وتعلَّموا:

تكون الأشياء بمجرد أن أسقطوا نظرَهُم عليها،

وباتت لها أسماءٌ أكيدة؛

يكفيهم أن يروا لكي تكون،

وأن يسموا لكي تكون.

لنا أن نطوي الليل خِفافًا، من دون شَفَقَة

أن نتغاوَى في المشاعِ ملوكًا من دون حرس
ما دامت لنا أعضاء تستطيل لكي نقيس بها فحولتنا،
وشعيرات نحلقها بمجرد أن تنبت،
قبل أن نشتُم القمر الذي يكشف مواقعنا،
ونرخي البارودة على الكتف، يوم الأحد؛

لنا أن نروي القصص التي وقعنا على عناوينها،
وأن نقود غيرنا في مرابِع بيروت التي اطَّلَعْنا على أسمائها في «الشبكة»،
لنا أن نَكُحَّ، وحدنا، في الحمَّام عند تدخين شَتْلَةِ ذُرَةٍ،
أن نعيد ترتيب شَعْرِنا في غير شكلٍ
وأن نجلس إلى صخرة، ساهمين، مثل جبران يحادث عناصر الطبيعة.

يدا أمي تُلوِّحان من بعيدٍ
ما أن أطلقتني أفادتني بأنني الأبهى بين الذكور.

نظراتُ أبي ترعاني مهما بَعُدْت،
تسلَّمْتُ منه أثمنَ ما في العائلة: وصيَّة جدي له،
وصيَّة الآمال المُسْتَحَقَّة.

لا يَسَعُني الوقوفُ حيث تنتظر أمي استقبالي،
فَدَرَجِي لا يصل،
يُفْضِي وحَسْبُ على فجوة هي أقرب إلى مَنْفَذِ نجاةٍ،
لا إلى نجمة ميلاد.

شاشتي مُضاءَة في هذه الليلة

ينقادون إليها، بالصَّفِّ،
صاغِري الرؤوس، كَتُومِي الأَلْسِنَةِ،
على أنَّ في هيئاتهم ما يُشيعُ تَوْبَةً مُبْهَمَةً.

ففي كلِّ عودة اعترافٌ مُسْتَحَقٌّ،
وغُفرانٌ مُسْتَحَقٌّ،
ومسرحيَّةٌ بليدةٌ،
طالما أن الممثِّل الواحد انْدَسَّ في كل دور
تحت نظر غيره،
وأن المُلَقِّنَ غَفَا في مقصورته...

في هذه الليلة يكتفي الجالس في عَتَمَتِهِ
بإنارَةِ الخَشَبَة،
بإقفال شبَّاك التذاكر،
بالبكاء صامتًا

بعد أن قرأ الوصيَّة:

تَرِثُ منِّي:

أن تكون.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

الدَّرَجُ يؤدِّي إلى أي مكان

إلى القصيدة حتمًا،

إلى دروب تنبسط بين مروجٍ سوداء،

يسلكها الوارث قبل القارىء؛

يرثُ ما يقع بين الرغبة واللسان،

بين الصندل والفضاء،

بين التجاعيد قبل أن تنكمش على وعودها، والتقطيبة التي بين الحاجبين إذ يتيقَّنان من أن الدرب أبعد من خطوه، والجعبة منفوخة بزادٍ قليل.

لهذا المُتصاعِدِ صَوْبَ سماءِ الحظِّ

تقترب الجبال،

تنحني الأشجار

لكي تسمعَ نداءُ الطالعين صَوْبَ الرُّشْدِ؛

يلهون فيما يُصَمِّمون،

يُصَمِّمُون فيما يَلْهُون؛

جدِّيُّون في لباس مُقامِرين،

ومُقامِرون من دون عُمْلَةٍ نقديَّةٍ:

نستقبل ما لا نعرفه،

وما نصبو إليه لا يقع بيننا،

بل أَبْعَدَ منَّا؛

نصرف الوقت من دون حساب،

فيما نظنُّ أننا نعمِّره،

نلعب في بيوت صغيرة من دون كُلْفَةٍ أو جيران،

ونتدافع فيما نظنُّ أننا نَصِلُ.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

مُضافٌ إِلَيْهِ هَذَا اللَّهْوُ...

«إنما لَذَّةُ الدنيا استعارة...».

(جلال الدين السيوطي، «رشف الزلال من السحر الحلال» أو «مقامة النساء»)

أرمي لفظًا

أرمي لَفْظًا فوق قماشتي المشدودة

على أنني عثرت عليه فوق شاطئ:

صَدَفة لي أن أستصيخ السمع إليها، إلى أصوات غائرة، إلى مواعيد انقضت قبل تمام عبارتها؛

ألتقطه لقيا أثرية،

وأنقب فيه عمًّا يسبقني ويلقاني،

ما يكفي لتمضية نزهة على الأقل،

لرسم مشهد قراءة؛

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

أرميه لكي يستقبلني،

لونًا لجملتي الناقصة،

وشكلًا بحجم بيت

لما يقع بين أصابعي وظلالها؛

هكذا أقيم وأسافر في آنٍ،

في ما يعرض لي للنظر على أنه من رَسمي.

بين شكلٍ وَوِجْهَة

شيء يتدثَّر بحركته،
تتهادى به وفق ما يرتدي:
أهو لها أم هي له؟

له شكل يبلغه،
فيما يتعرَّف على وجهه في المرآة؛

أشياءُ لها أشكالٌ، ولها وِجْهاتٌ غير معلومة.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

تذكرَةٌ لرِحْلَةٍ واحِدَة

أستقلُّ القاموس في قطار مُسْرِعٍ،
فالحجز ممنوعٌ:
هذا يُمْسِكُ بي، لا تلك اللاهية عنِّي بمفردتها،
وهذه حقيبة تبحث عن لفظي، لا عن مقْبَضِي؛

أقع على مقاعد غيري وإن خاليَةً،
وأستكين إلى دفء شاغرٍ في عينَيْها؛

قد أخرج منه قبل المحطَّة،
ولا ألهث فيه
إذْ يصل قَبْلِي؛

أتخيَّر فيه ألفاظًا لخَشْيَتِي،
تباعد بيني وبينه،
تشغلني بما يكفي،
بما يوصلني إلى غيري،

فوق مقاعد استقبال.

أستقلُّ القاموس على عَجَلٍ
من دون تذكرةٍ
ولا رقيب:
لنا، معًا، أن نتدبَّر خطَّ سَيْرٍ
في غَبَشِ المسافة،
وسط لهاث الواقفين.

قاموسي رحلتي،
ورقةُ امتحاني
بشرط أن أتلصَّص على غيري،
وأدسَّ ورقة في جيوبهم
تصلح لرحلة واحدة.

ثَلاثُ نِقاطٍ شاغِرَةٌ

إلى هواءٍ مخزونٍ

تصل العين قبل ميعادها، والابتسامة قبل صاحبتها، والفنجان قبل شارِبِه، والفاتورة قبل حامِلِها،

تَصِلُ قبل أن تَصِلُ،

وتستقبل قبل أن تَصِلَ،

فيما الجملة لا تَصِلُ

بل تجوَّل،

تتعقَّب فلا تتفقَّد،

ما ينقلني... إلى هواء مخزونٍ.

حفظُ المُسْتَنَدِ

حفظُ المستندِ
تحت اسم دهشةٍ أو ثمرة،
في الهيئةِ التي انتهى إليها،
أو إرجاء العمل فيه طمعًا بشجرة أو وجه،
بمجرد أن تبسط الاستعارة جناحها؛

حفظُ المستند لبيت أشغله بعد حين
فأخرج منه بغير ما دخلت إليه؛

حفظُ المستند بطاقة زيارة من دون صاحبها،
أحمرُ شفاهِ المحاوَلَةِ؛

حفظُ المستند لسرير التشبيه،
وطُمَأْنينةِ الجالس في مُفْرَدَتِه،
ولزهرةِ الغائبين عن صُوَرِهِم المعبودَةِ؛

حفظُ المُسْتَنَدِ ذخيرةٌ لِعطْرٍ،

وسُبْحَةٌ في أصابع المَلَلِ

تتداول قمرَ السَّمَرِ ونبيذ العَتَمَةِ؛

حفظُ المستند لتمرينِ سيقان العبارة،

واستعادةِ الأنامل لوجهها

في بُهْمَةِ البياض،

في سطور تتقلَّب فوق شاشتي:

صفحتي فُسْحَتي

بمحراثي الذي يسبقني وإن أُمسك به،

يكتبني وإن أمسك به.

بدايةٌ مُسْتَعَادَةٌ،

هواءٌ شغوف بما يتهادى صوبه ولا يصل إليه؛

أشغله لوقت من دون عَقْدٍ،

وأحفظُ المستند تحت اسم: «انفعال».

عامودُ قصيدةٍ

لهذه القصيدة عامودٌ
يستلقي في منحوتة لهنري مور،
فلا يَبْنِيها،
ولها لسانٌ يلهو فوق أريكة ضَجِرَةٍ،
فلا يعبأ بها؛

القصيدة تنتظرني،
والقارىء ينتظرها،
وأنا أنتظر ألقًا لا يخبو
على أطراف أصابعي؛

أَعشتُ كي أكتبَ؟
أأَكْتُبُ كي أعيشَ؟

حياة تسري في دبيبِ حاءٍ خلف باءٍ.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

تقليب العين

رَمْيُ العَيْنِ
على عواهِنِها،
مخافةَ أن تقع في بحرٍ عموديٍّ؛

تقليبُها في دولاب
لا يُنْبِىءُ بوقوفٍ معلومٍ،
والتقاطُها في سِلالٍ من نَظَرٍ.

الجالس أمام الكلمات مثل الجالس خلفَها
يقف دومًا إزاءَ أُفُقٍ،
يعلو إليها
أو يَحْزِمُها تحت إِبِطِه.

صورة قيد التنصُّت،
رهنُ التشكيل،

فِي نهاية المطاف

ينتهي إليها،

فِي محطَّة انتظار بوصفها محطة وصول.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

مُشبَّهٌ به

... كأن تَضَعَ تفَّاحَةً على حاملٍ طلبًا لتصويرها فيسيل لعاب الناظر إليها قبل الانتهاء منها من دون أن تدري ما إذا كانت الرغبة في اللوحة أم في السعي إليها أم في انكشاف استدارتها عمَّا يُغْوِي العَيْنَ بدَوَرانِها قبل جلاء الصور فتمضي أينما كان على أنها تعود إلى حيث لها أن تلحسَ رحيق المحاولة.

مُضافٌ إليه

ظلُّ هذه الطاولة الذي لا يستكينُ في خلائه الهادرِ بأصوات وأصداء ما يسقط فيه وما يصدر عنه من جرَّاء هذه المعمعةِ التي لا اسمَ لها طالما أنها تُمْسِكُ عن الكلامِ بما يفيد شيئًا غير التَّلَعْثُمِ وغيرِ الإفصاح عمَّا يَرِدُ سريعًا فوق الشفاه وغيرِ التَّذَكُّر وغيرِ التأمُّل أي بما يفيد عن الانْهِمامِ بما يحدث فوق الكراسي وتحتها أيضًا وعن السَّهَرِ تحت الشجرة الحانية على جالسيها المُعْتَمِينَ الساهِمِينَ في المهزلة الواقعة بين صحونٍ ما لا يأكلونَهُ

طالما أن المأدُبَةَ تتسقَّطُ أخبارَ الأدب

التي تَسَعُ الشهيَّةَ الغافلةَ عن فُتاتِها.

مضافٌ إليه

هذا اللهو المُقيمُ بين أبنية تُظْهِرُ قَدْرَ ما تُخْفِي، ما يبسط تختًا لرغبتها،

عَمَلًا بقول أعرابِيَّةٍ لبنتها:

«كوني له أرضًا يَكُنْ لكِ سماءً».

عن نزار قباني

ما أن تَلْمَسْ يَدَاهُ حَرْفًا يُصْبِحْ حَلْوَى:
هكذا، له كل ما يحتاجه الشاعِرُ،
فكَتَبَ قصيدةً واحدةً.

يستلقي نَفَسي أينما كان

يستلقي نَفَسي أينما كان
حيث يَصِلُ،
بخلاف جُمْلَتِي:
تتعقَّب أطرافها،
وتتلوَّى حيث لها أن تنام
وأن ترفَعَ سواعدها لمُلاقاة الصَّابرين،
القادمين كما المغادرين؛

لنَفَسي نَزَقُ المَلاكِ، وثَمَرُ الشتاء،
وتَمْتَمات هاجِعَةٌ لا تَبْلُغُ قُرَّاءَ الخَبَر.

على مَضَضٍ

إذ يتقشَّف الكلام
يَرِقُّ
شفَّافًا:
ترى فيه من غير جِهَةٍ.

لا تبحثْ عن معنًى:
لعلَّه يَلْقاكَ؛

وقد تتقبَّلُه القصيدةُ
على مَضَضٍ.

المقهى جريدة

المقهى جريدةُ ما يأتي للتَّوِّ،
ما ينعقد بين جيران عَجُولين،
في فُسُحاتِ مُرْتَجَلَةٍ،
بما لا يَقْبَلُ التَّصحيحَ،

ما يجعل السَّاهِمَ في مقعده
أسرعَ من عَدَّاءٍ في تَلَقِّي الخبر،
والمتفرِّجَ عاشقًا بِلَمْحِ البصر؛

المقهى نوافِذُ تُفْضي على شُرُفاتٍ
وقُرَّاءٌ يختصمون في سواد فنجان.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

بما لا يَسَعُه الوصف

ولا التشبيه،

يُقْبِل السطرُ على مِشْيَتِه؛

كَرَاسٍ احتماليَّةٌ لجُمَلٍ

لا تستقيم قبل جالسيها،

وخشبةٌ لا يتوانى الممثِّلون عن الصعود إليها،

والنزول منها،

من دون أن يبدِّلوا ثيابهم:

حيث يقفون،

وحده يُنْبِىءُ بما يقولون،

بما عليه يكونون.

لهذا المقهى بلاطاتٌ وفواصِلُ

تحت الطَّلَب؛

طاولاتُه أوراقٌ شهيَّةٌ،

وأطباقه يتبادلها الزبائن واحدًا تلْوَ آخر؛

له محقِّقون عَجِلون، ومُحَرِّرون نَزِقون،

يُمَلِّحون الكلام،

يديرون الكؤوس على مَن حَضَرَ

ويتناوبون على بَسْطِ شَراكَةٍ

بلحظةٍ

في لحظةٍ

تَزِنُ في حساب أَبَدٍ

أو انفعال.

لهذا المقهى قارئٌ مُيَاوِمُ

يتصفَّح وجوهَ جالسين، وغائبين،

يكاد أن يصافحهم واحدًا واحدًا، بمجرَّد جلوسه إليهم، واستماعه إلى نُتَفِ الشفاه، وفَضَلات الأَعْيُنِ، وانغماسه في صخب أهواء؛

يكاد أن يقول: «أأمَضْيَتَ ليلةً سعيدة؟» لمن وجده في الكرسي عَيْنِه، مع القاموس عَيْنِهِ، ينقَّب عمَّا لا يجده؛

يكاد أن يشمَّ تَبْغَ مَن رحلوا، وأن يستكمل الحوار الذي انقطع مثلما بدأ، أي بالصدفة التي تُربِّي فوق طريقها لُقَطاءَ يتبنُّون غيرها بعد وقت؛

يكاد أن يستفسر النادلَ عن وجهها، وعن الزهور التي في تنُّورتها، وعمَّا وقع بين عينيه وعينيها من دون أن يُقْدِمَ على التقاطه: ثمرة فوق شجرة، تروق لعين متذوِّقها قبل لسانه؛

يكاد أن يُطْبِقَ على معنى، فوق السطور وحولها،

إذ يتفرَّس في حركات،

يكاد أن يتفقَّد عائلةً مترامِيَةً،

فيصير جدَّها

بمجرد اجتماعهم حوله، في دفْتَرِه،

في لقطة تذكارية.

قُبَّعَةٌ في انتظارِ صاحِبِها

أعادها النادِلُ إليه،
فأنكرها،

يومًا بعد يوم
يُنْكِرها؛

فهو لما يخرج بعد لكي يعود؛

قُبَّعَتُهُ في انتظاره، هذا الصباح،
وفاتورة بيته الوحيد،
الأكيد.

هذا القارئُ غريبٌ

وحيدٌ وقهوته باردة،

يسبقني إلى حيث لم أجلس بعد،

يتقدَّمني من دون أن أتبعه،

فله عاداتٌ في التَّنَكُّر، في المُناوَرَة، تناسب المتسلِّلين عبر الحدود؛

صيَّادٌ في بحر نظر،

له في شِباكه سطورٌ وحَبْكَاتٌ،

وفي صنَّارته أكثر من خطٍّ

لهذه الوليمة المستلقية فوق بَياضها،

لسمكة الحظِّ التي تختاره،

فيما يَخالُ نفسَه قبطانَ أسطولِه العائِمِ

في مَوْجِ رغباتٍ.

أقرأ لشربل داغر في تعليقِه الأسبوعيِّ:

«مقهاي موطني»،

فيما أكتب: «مقهاي مدرستي»،

بعد أن اعتدتُ الصعودَ على سُلَّمٍ حجريٍّ

إلى حيث نافذتي، لوحي أو شاشتي،

هاويًا وإن في تمارينَ مكرورَةٍ؛

فوق خشبات اليقظة مراقبون من دون حدود،

جوازات سفر من دون أختام،

يتسرُّون بين الظنون،

لا يَكُفُّون عن التخمين،

في ما لا يفعلون،

في ما لا يعيشون؛

أقرأ في أطباق دهشةٍ،

في دروس تُمْلَى على طُلَّابٍ عجولين

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

فوق دفاترهم المخفيَّة:

أي طالب لتمارين العَيْنِ في شُرودها،
لرقص الأصابع في مداراتها،
لما يخبو أو يلمع بين انتظار وانتظار؟
أي معلم لطالب في الثلاثينات
إذ ينحني على حياته الآفلة
بِنَزَقِ المقامر ويَأْسِ الملاك؟
أي معلم لطالب يرسب في دروسه لكي يستعيدها
بلهفة مَن يصافِحُ غَيْرَهُ
إذ يقف صباحًا أمام مرآةٍ؟

في آنٍ، معًا:

* أتدلَّى بين ثَدْيَيْهَا،
ما يُرْبِكها في قعدتها،
الأليفةُ الغريبة
التي لها من ثوبها
دعايةٌ مسائِيَّةٌ لغسيل الصباح؛

لو أنه أَخْفَقَ في النَّظَرِ،
أو تَعَثَّر في مِشْيَتِهِ،
لَكُنْتُ أَجْلَسْتُهُ إلى جانبي
وارتَبَكْتُ بِدَوْرِي.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

يُطْبِقُ لَوْنٌ على كُرْسِيٍّ بِعَيْنِه

وقُبْلَةٌ طائِرَةٌ تصل إلى غير صاحِبَتِها،

سِجِلَّاتُ مواعيدَ مُؤَجَّلَةٍ

وما ينقضي بمجرَّد الوصول إلى الموعد الموعود؛

أرصف صورًا فوق شاشتي،

أكوازَ رُمَّانٍ لِمُصَوِّرٍ،

فأخلط في تماريني

بين طبيعة صامتةٍ ومشهدٍ انطباعيٍّ:

أأكتب كي أرسم؟

كَرَاسٍ عَجْلَى لِجِيرانٍ ضَجَرٍ

قهوة صباحية في بيت من هواء،
شُقَقٌ من دون شاغليها،
صفوفٌ لها اختباراتٌ مجّانِيَّةٌ من دون دليل
وغيومٌ احتماليَّةٌ لِدَمْعٍ وشيكٍ:

مشهدٌ تحت نظر القصيدة،
ما يكفي
من دون واو العطف،
فتصلُ الكُرْسِيَّ إلى لفظها بِخِفَّةِ السَّارِقِ،
والشَّفَةُ إلى ريق جُمْلَتِها،
حتى إن القارىء يحبس أنفاسَه
بمجرَّد جَفافِ المَطْبَعَة.

أقرأ لشربل داغر في جريدة «الحياة»

«أتذوَّقُ دَفْعاتِ الماء مثل المُتْعَبِ بعد طُولِ عَطَشٍ وسَفَرٍ، بعد أن زاغَت صالة المقهى في عَيْنِي، مثل اختلاط روايات في كتاب واحد، أو تَجَدُّدِ الوجوه في مطار، من دون أن أعرف محطَّةَ الوصول من محطة المغادرة، ووجوه «الوطنيين» من الغُرَباء».

أَسْتَلِمُ طاوُلَةً من غائبين،

من دون حرجٍ،

وهواء الكراسي الشاغرة يبلغني

من دون إبطاء،

فأُقْبِلُ على صفحتها بعزم الوَرَثَةِ الجديرين بما توحي به الوصية أكثر من كتابتها،

وهي أنها شَراكَةُ ما لا ينقطع،

ما يصل الهواءَ بغناءٍ،

في هو قبل أن تبلغ اللغةُ سطورَها،

والكلمات تراكيبَها النظامية؛

فوق هذه الطاولة

نحيبُ التي غار صَوْتُها من جرَّاء ما سمعت،

وتحسُّسُ الفتى لمكامن الشهوة في دَلَعِها،

وتَنَبُّهُ المدير لانحناءات مُساعِدَتِه المُقْبِلَةِ

وتهويمات الغريب في بلاد بعيدة ما انفكَّت صورتها عن التجلِّي في الهواء؛

جمعٌ مختلف، مُؤْتَلِفٌ،

فوق طاولة واحدة،

للسَّاهِمِ في حروف ضوئية:

أنتظر منها ما يدعوني إلى وليمة

تَنْبَسِطُ أطباقها في عيون المغمورين

قبل رَفْعِها فوق أيدي الخَدَم الأنيقين.

هذه تجلس لليوم الثالث على التوالي

فِي المقعد عَيْنِه،
فتأتي حقيبتها إلى مكتبها قبل أصابعها المُقَلَّمَة؛

كأنها على حصان: تشغلها اهتزازةُ صَدْرِها في حَمَّالَتِه، ورَواحُ ومَجِيءُ مؤخِّرَتِها الهَيِّنُ والمُتلاحِقُ فوق جلده،
أرجوحةٌ بِما لا يكفي هواءً
وبِما يَسَعُ شغفَ انتظار؛

تفاحة على طاولتها،
لأعينِ ناظِرِيها فقط:
يسيل لُعابُهُم من بعيد.

هذا وقت يَسْتَنْفِدُ تَبْغَهُ في الوَقْتِ

يصبُّ كاساتِهِ من دون حساب

ويُفْرِغُها،

لِمَن لا يبالون بالوقت

بل بألعابه،

على أنَّ فيها ما يشغل المُنْتَشِين عن زينتهم،

والنافخين عن الدخان المُتصاعِدِ عنهم؛

وقتٌ لاهٍ عمَّا يحدث له،

على أنه سَيِّدُ خَدَمٍ صابرين

يُمْضُون ساعاتِهم في غَسْلِ الأطباق وتعدادِها،

وفي إعداد القهوة

للسَّاهرين التَّعْبَى من مُطالَعَةِ الخرائط

في قَعْرِ زُجاجَةٍ.

أَنْقُرُ على شاشَتِي

على أنَّ لها بابًا

يُفْضِي على غافلين قانعين في قعْدَاتِهِم.

لجارِ القصيدة مُصْطَبَةٌ غيرُ التي لِجَارِ المَقْهَى،

وله خطوُ المَلِكِ في حديقته؛

له إقبالُ القارىء على شَهِيَّتِهِ

بما لا يَسَعُهُ أي طَبَقٍ،

ما يَبْسُطُ مجازًا لِعَيْنٍ.

جارُ المقهى غيرُ جارِ البنايَةِ

بَصَّاصٌ أَنيقٌ، وقَنَّاصٌ لَبِقٌ،

وحيدٌ، ومع غيره،

عني مع غيري،

شريكان في تصفيق يَدَيْن،

لما يحدث لنا ويُدْهِشُنا؛

كأنَّنا صعدنا للتَّوِّ إلى المسرح المنصوب

وعُدْنَا منه بأجمل ما يَصْدُرُ عَنَّا،

من دون علمنا،

على أنه منَّا:

أهو الهواء أم الكمان؟

أهو اللهو أم إيقاعُ الحركات؟

بَصّاصٌ لا يتوانَى عن مَسْحِ نَظّارَته

بين خَبَرٍ وخَبَرٍ،
يَسْتَبِقُ سقوطَ الحركات فوق حروفها
لكي يتلقَّف ما يقع بين سطور السِّيقان
الطّالِعَةِ
النّازِلَةِ
فوق درجات صَفْحَةٍ؛

للرُّوّاد جريدةُ ما حدث، وله جريدة
تزيد صفحاتُها كلَّما أَمْعَنَ في المُطالَعَةِ:
يتناقَلُها بين ظُنونِه،
يَزِنُها، يُقَلِّبها، في حركاتٍ مُسْتَعادَة،
شِباكًا بين أيدي صَيّادٍ:
هل تصطاده السمكة؟

غيره يهاجر، غيره يسافر،

غيره يبدِّل حبيبةً ببَيْتٍ،

غيره يتفقَّد أحلامَه في العَتَمَةِ،

غيره ينتظر فوق رصيف البَلادَةِ مُومِسًا أو جائزةً كُبْرَى،

غَيْرُهُ يبحث عن رفيقٍ لِقَطارِ الضَّاحِيَةِ لَيْلًا؛

للبَصَّاصِ سفينةٌ ويابِسَةٌ ومُغامَراتٌ،

له في المقهى مُحارِبون وحدودٌ وعَلَمٌ شَفَّافٌ،

وله بَيْتٌ وعَشيقَةٌ لِكُلِّ الأوقات،

ووقائِعُ مَكْرُورَةٌ بين طَبْعَةٍ وأُخْرَى؛

لهذا القارئ الوحيد ما يكفيه

في مَقْهًى،

في نهارٍ،

لكي يستريح فوق أثاث المعنى،

ويَقْنَعَ بما وَرَدَ،

بما حصل بين طاوِلَتَيْن من دون أن يحصل؛

البصَّاصُ شَغوفٌ، يأكل نظراتِه

إنْ جاع،

ويُحْسِنُ قراءةَ المقال من آخِرِه.

السَّاهرون يَنْكَبُّون

على ما يتقاذفونه فيخشَوْن وقوعَه من على طاوِلَتِهِم،
على ما يتصاعد من كؤوسهم هالةً فوق رؤوسهم،
الحاذِقون بأناملهم يسحبون خيوطَ سَمَكٍ بعيدٍ،
القابِضُون على كراسيِّهم، بتصميمِ النَّاجين من غرقٍ وشيكٍ، يتودَّدون
بِرِقَّةِ الغزال في مزوَّقَةٍ فارسيَّةٍ،
القاعدون على حوافِّ النبيذ من دون أن يرتووا،
الراقصون وإن لم يرقصوا،
الجميلون من دون عطرٍ،
الناسجون وديعةً بأصابِعَ من سَمَرٍ،
البعيدون يقتربون من لَمَعانِ نَجْمَةِ السَّعْدِ،

أصدقاءُ الكأس الأخيرة:
منطادٌ يعلو بقدر ما تَخِفُّ حمولَتُه.

المقهى مُغْلَقٌ بسبب التنظيفات

المقهى مفتوحٌ منذ أوَّل السَّطْرِ،
ليلًا ونهارًا فقط؛

المقهى محجوزٌ لشربل داغر كي يستكمل مقالَتَه،
وللمُتَكَلِّمِ كي يتدبَّر قصيدتَه،
وللبصَّاص أو القارىء أو الغريب وغيرهم
يخرجون من حيث يأتون، خائبين أو مَزْهُوِّينَ،

ولعابر سبيلٍ يعود في اليوم التالي
من دون جريدة.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

فَيْءٌ وظِلٌّ

«قالوا: ظِلُّ الجَنَّة، ولا يُقال فَيْؤها؛ لأن الشمس لا تعاقب ظِلَّها فيكون هناك فَيْءٌ، إنما هي أبدًا ظِلٌّ».

(«لسان العرب»، مادة ظ ل ل)

وِرْدتُها مُنْفَرِجَةٌ في شُبَّاكِهَا

وردتها منفرجة في شُباكها
ما يدعوني إلى موافاة عطرها،

فَرْعان لِجِذْعٍ واحد،
من دون أن يلتقي إصبعي بإصبعها
وشفتي بشفتها.

أوَّل ما...

أوَّلُ ما يَخْطُرُ على البال ينحدر صوبَكِ

أينما أتَّجهُ تقودني الخطوات إلى عَتبَةِ لَوْنِكِ

أول شجرة تُلْقِينها في الطريق رُدِّي لها التحيَّة

ما يأتي من الشرفة ويترقرق في الكأس وفي لَوْعَةِ الأَبُّه تِباعًا

هذه الوردة خُذِيها بين أصابعك بتؤدةٍ فهي وجهي المُقْبِلُ على وجهك

لا تتأخَّري في المقهى، مَن خرج للتَّوِّ هو أنا، ومَن ينتظرك عندما تصلين هو أنا

أول الكلام فاتحة إلزامية تنقاد صوبك

* * *

تتباطأ في الرحيل

عبثًا أسبقها إلى المصعد ألقاها مستلقيةً لم تُسَوِّ شعرها بَعْدُ

هناك ثنياتٌ في الشُّرْشُفِ وحكايات في وجهي تُمْعِنُ في تمضية الوقت إلى جانبي

هناك تَمْتَمَةٌ مُتَعَثِّرَةٌ تسبقها إلى الغناء وتبقى بعدها

هناك عِطْرُها هوائي

هذا ما يمنعني من مَسْحِ أحمر الشفاه عن حافَّةِ الكأس
ومن غَسْلِ جسمي

***

تتمهَّلُ في مَشْيِها
وتُصْغِي إلى أبعد الأصوات قبل أن تستعيدها

***

رَحَلَتْ
لكنني أُقيمُ في مداها
ما يَمْنَعُني بَعْدُ من أن أُوَدِّعَها
ومن أن أنتظرها كذلك

***

بكلتا يَدَيَّ
أُقبل على هواء مستلقين بين حروف،
على عضلات ساهِمَةٍ في رخاوَةِ البياض،

أُقبل إقبالَ النَّمِرِ على طريدته الغائبة،
في كل مرة على أنها الأخيرة،
بعزم الناجي من عتاب الملاك
وصبرِ الحاذِق فوق سِنْدانِ الطبيعة،

بمشقَّة صانعٍ نبيلٍ،

بمودَّةِ الرقيق على نسيمٍ بين نَهْدَيْها،

بكلتا يديَّ اللتَيْن تُسْعِفانِ المَشَّاءَ،

أُقْبِلُ

فلا تستوي الجملة على عرشها

مثل عدَّاءٍ لا يتوانَى عن الإتيان،

بكلتا يَدَيَّ

لي أن أحوش ما يَنْبُتُ في بَياضِها:

أَنْقُرُ فلا أُمَسِّدُ،

أَطْرُقُ على نوافذها بِثِقَةِ مَن يرى النار تُشِعُّ من أصابعه قبل اشتعال العيدان.

رسالَةٌ عَجْلَى

فِي الرغبة مُتَّسَعٌ لما ينقضي من دون أن يَزِفَّ موعده،
وفيها من القوة ما يزيل جبالًا من مواضعها:
هل تكتفي السُّنُونَوَةُ بربيعٍ واحدٍ إن اكتفى بها؟

هذه الرغبة تحملنا،
لا نديرها؛
وديعةٌ مُؤَجَلَةٌ، خافيَةٌ فِي شِقٍّ ابتسامةٍ.

فِي الرغبة رسالةٌ عجولَةٌ: لا تَخْشَيْ انقضاءَ لحظتها، إذ إنها تُحَدِّق فينا من قِمَمِ جبال، وتستنهضنا من أعماق سحيقة.

كأنَّها، لولا أَنَّها

كأنها عودٌ لتحريكِ نارٍ تحت رمادي،
بِثِقَةِ المصوِّر إذْ يمسح اللون باللون،
والضربةَ بلاحِقَتِها:
يرسم إذْ يمحو،
ويَدَعُ الضوء ينبعث من عَتَمَةِ أشكاله؛

لَوْحي لَوْحَتُها
بملامساتها التي تعهَّدَتْني:

يا لريشةٍ بين أصابعها
بِمَشَقَّةِ النَّحَّات
تحت جمر ما لا ينتهي عن الاشتعال في صمته.

ذلك أنَّ لي أن أقطف بما يليق بثمرتها، بعصير لونها،
أن أمشي بمُحاذاتها، حولها، قبلها، بعدها،

من دون أن أرتجف أبدًا،

بخشية الطريدةِ أمام أَسَدِها:

تَخافُه إذْ تُواجهه،

تهرب منه يَلْتَهِمُها،

وتداريه يَنْقَضُّ عليها؛

بين أسدٍ وفريسة تترامى أطرافي أو تضيق

لِسعَةِ ما يَغْمُرُني وأُبادِرُه،

ما أشتهيه ويأكلني.

ما يبقى

ما يتهادى على طرف النافذة بمجرد أن لامَسَتْه قبل خروجها

يتهادَى

طمعًا بل استعدادًا لها إذ تعود

ما يبقى من رَوْنَقِ البرتقالة في عين مُصَوِّرها

ما يبقى بعد امِّحاءِ لَوْنِها

ما يبقى وراء طيور الندم الساهمة فوق مقاعد الحدائق العامَّة

يبقى

في عُهْدَتِها

تبقى إلى جانبي

وما أن أتحقَّقَ من مجيئها تكون قد غابت من جديد

ما يبقى بعد أن أُغلق الباب إلى غير رَجْعَةٍ
ينتظر عَوْدَتِي

ما يأتي مُتدافِعًا ولا يصل
إذ إن في تَنُّورَتِها شجرةٌ يسير الراكِبُ في ظِلِّها مائةُ عامٍ

ما يبقى لا يكفي
وإن اكتفت القصيدة به

أَسْئِلَةٌ مُسْتَحَقَّةٌ

لماذا لا يُعبِّر لساني عمَّا يدور فيه، عمَّا يجول في وجهي، عمَّا أَنْفُثُه في الهواء، فلا أكتفي بِلَحْس الشَّفَتَيْن وترطيب ريقي؟ لِمَ لا يكون للساني إمالاتُ وجهي، الذي يُداوِرُ ويُناوِرُ لكي يكون لكلِّ مَلْمَسٍ مَذاقُه؟ لِمَ لا يكون لخطواتي توقيعاتُ لساني فأقطف بمجرد أن أنقلَ نظراتي؟ لماذا تسبق عيناي لساني، ورائحةُ الشهيَّةِ تَخْتَ الشَّهْوَةِ؟ لماذا يبكي لساني بمجرَّد أن أتحسَّسها؟

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

ضَيْفِي

يسبِقُني إلى طاولتي
وينتظر وصولي

الغول الذي على مائدتي

يعرض أطباقي على المدعوِّين
ويُرَبِّتُ على كتفي
إِذْ أَزْدَرِدُ الكلامَ.

ريقُ شجرة

راحَةُ يدي غسيلٌ مَدعوكٌ
لا يَجِفُّ،

حركاتي
لِيَدَي
شجرة،

أصابعي جوق عازِفٍ
قاعِدٌ في العَتَمَةِ:

هذا قَيْدِي الثُّبُوتِيُّ
من دون صورتي.

شَريكِي في مَوْسِمِي

وَهْمِي لُعْبَتِي: لا يَكْسِرُها طِفْلِي،
وحديقتي يَزْرَعُها غيري.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

تَوَتُّرٌ إلكترونيٌّ

تَصِيد في بِحارٍ بعيدةٍ
ما يسقط للتَّوِّ
في صَحْنِ شَهْوَتِها؛

وتَنْأَى عن شُبَّاكها عندما يُوافِيها،
فيبحثُ عنها،

مَخافةَ أن تراه قبل الصباح
في بنطلونِ جارِها
المُسْرِعِ إلى جارَتِه الإلكترونيَّة؛

فوق مائدتها أطباقُ انتظارٍ، مَحارِمُ وداعٍ
وكأسٌ مليئةٌ بِوَعْدٍ لا يبلغ غُرْفَتَها؛

على مَخْرَجِ بَيْتِها،

يستردُّ الكلبُ من ضيفها ابتسامةَ الصيَّادِ الظَّافِرَة،
ويَدَعُها تُشْعِلُ سيجارةً أخرى أمام حاسوبِها المُضاءِ.

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

- العَبَاقِرَةُ يَصِلُونَ سَرِيعًا...

- ... والحَمْقَى أَيْضًا!

«كتب عليٌّ بن أبي طالب إلى معاوية: «أمَّا بعد، فقد بَلَغَكَ الذي كان من مُصابِ عثمانَ رضي الله عنه، واجتماع الناس عليَّ وبَيْعَتِهم لي، فادْخُلْ في السِّلْم أو ائْذَنْ بِحَرْبٍ». وبعث الكتابَ مع الحجَّاج بن غزية الأنصاري، فلما قَدِمَ على معاوية، وأَوْصَلَ كتابَ عليٍّ إليه، فقرأه، فقال: «انصرف إلى صاحبك، فإن كتابي مع رسولي على إِثْرِكَ»، فانصرف الحجَّاج، وأمر معاوية بطومارين (صحيفتين)، فوصل أحدهما بالآخر، ولُفَّا، ولم يكتب فيهما شيئًا إلا بسم الله الرحمن الرحيم؛ وكتب على العنوان «من معاوية بن أبي سفيان إلى عليٍّ بن أبي طالب»».

(أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، «الأخبار الطوال»).

«... هؤلاء الذين يَتِيهُون ببساطةٍ لكي لا يعودوا».

(س. مالرمه، «كتابات عن الفن»).

«فلعلَّك إذا أَجَبْتَ ندائي وفَهِمْتَ دُعائي، دَرَجْتُ مَعَكَ، وسَلَكْتُ منهجَكَ، فإنِّي من حيث أناديك مُجابٌ، وأنت من حيث تجيب مُنَادًى، فإذا التَأَمَتْ الكلمةُ الكلمةَ بالدُّعاءِ والإجابَةِ، صار الدَّاعِي مُجيبًا والمُجِيبُ دَاعِيًا، وإذا صَحَّتْ هذه الإشارةُ كنتُ أنا القائِلَ وأنا السَّامِعَ، وكُنْتَ إِيَّايَ في هذا الذِّكْرِ الجامِعِ».

(أبو حيان التوحيدي، «الإشارات الإلهية»).

(في العتمة، عبر مُكَبِّر): نداء أخير. نداء أخير.

على المُتَمَهِّلين في مشيَتِهِم التَّوَجُّهُ سريعًا إلى أمكنتهم.

صــــــــــو ت (في العتمة): أيقصد المتنقِّلين أم المتفرِّجين؟

(في العتمة): أيقصد المُتَسكِّعين أم الغافلين؟

صــــــــــو ت (في العتمة): لا يهم! المهم أن تقتعد كرسيًّا...

صــــــــــو ت (في العتمة): وأن تصمت.

صــــــــــو ت (في العتمة): لا، المهم أن تكون يَقِظًا، وأن تبقى صامِتًا.

صــــــــــو ت (بقوة، في العتمة): سكوت.

صــــــــــو ت (في العتمة): أَمَا كان أفضل أن تبقى صامتًا؟ وأن تبقى هامِدًا في العتمة؟

صــــــــــو ت (في العتمة): ما كان في إمكاني أن أكون؟

صــــــــــو ت (في العتمة): غيمة أو ضوءًا يمسح الغبار بمجرد وقوعه على الأشياء.

صــــــــــو ت (في العتمة): تَمْتَمَةٌ في كلام وشيكٍ.

صــــــــــو ت (بقوة أكبر، في العتمة): سكوت. كفى ثرثرة. سكوت.

(يظهر أحدهم ممسكا بكرسي كتب عليها: «المخرج»، ويضعها في وسط الفسحة، على أن الضوء يشمله وحده).

صــــــــــو ت (في العتمة): أعليَّ أن أُغَمْغِمَ؟

سكوت.

صــــــــــو ت (في العتمة): لو كنتُ طيفًا... لو كنتُ غيمة...

سكوت تام.

(وقفة).

ما يجري هو ما يجري الآن. لا غير.

ما يجري لن يجري بَعْدُ. أبدًا.

(يتمشَّى معايِنًا الفسحة، ثم يتابع): الفسحة بهو، فضاء مرسوم.

قد يكون محطة.

صـــــــــو ت (في العتمة): لقطارات؟

صـــــــــو ت (في العتمة): لطائرات؟

صـــــــــو ت (في العتمة): لكلمات؟

صـــــــــو ت (في العتمة): لا، ليس مساحة محدَّدَةً.

المخــــــــرج : ومن أين لك أن تحدِّد ما يجري!

صـــــــــو ت (في العتمة): الفسحة مفتوحة، بيضاء... الفسحة من دون حدود، لا حاجة فيها لمراقبي جوازات.

المخــــــــرج : هذا تشويش. الفسحة تصلح لرُكَّابٍ وعابري سبيل وعُمَّالٍ ونشَّالين وفضوليين.

فضاء تتراكم فيه أصداء وأوساخ وتَذاكِرُ مُمزَّقَة... وفيه حدود ولكن خافية.

(ضوء ينبسط تدريجيًّا ليكشف تِباعًا عن فضاء أبيض، عن ساحة خالية، من دون علامات، إلى أن تظهر في عمق الساحة شاشة حاسوب مُضاء في شكل جدار. تظهر تباعًا فوق الشاشة أسماء كما في تقديم العاملين في فيلم.

في أثناء ذلك يخرج من الصفحة الإلكترونية، التي هي ستارة بيضاء، أشخاص يحملون أشياء مختلفة ويمضون بها إلى حيث يختفون، فيما يتبادل غيرهم -إذ يدخلون- عباراتٍ صامتةً أو حركات: يلتقون ويتفرَّقون، إلى أن يزعق أحدهم): أوقفوا السارق.

متكلــــــــم : ما سَرَقَ؟

متكلــــــــم : الرسالة، الرسالة.

(تدب فيما بينهم حركة تفتيش، فيها بعض حركات عنيفة، فيما ينحسر الضوء عنهم على أن يعودوا إلى العتمة من جديد.)

(الفسحة مضاءة بما يكفيهما).

متكلــــــــم (ما أن يظهر أحدهم): عفوًا. هل في الإمكان...؟

متكلـــــــم : (مُقاطِعًا) مَن أنت؟

متكلـــــــم : متكلِّمٌ.

متكلـــــــم : (متوقِّفًا): أهذا يكفي؟ بأية سُلْطَةٍ توقفني؟

متكلـــــــم : لماذا تَوَقَّفْتَ؟

متكلـــــــم : لأنك توجَّهْتَ لي بالكلام.

كنتُ أَتَنَحْنَحُ، أُمَرِّنُ صوتي فقط.

حسنًا (يتابع مَشْيَهُ).

(عتمة).

الشاشة (شاشة الحاسوب مضاءة، وحدها؛ تظهر تباعًا ألفاظ وجمل تكتب للتو):

لهذه الشاشة شجرة خافية

وعابرون عَجِلُون

في مرمى النظر؛

لهذه الشجرة حروفٌ تتساقط

في سِلالٍ

يحملها الهواء؛

ولي هذا الضوء الخافت

يبسط مائدةً لمدعوِّين من دون بطاقة.

متكلـــــــم (في العتمة): أهي الرسالة التي سرقت؟

متكلـــــــم (في العتمة): لا، هما يدان تتكلَّمان.

الكناس (الفسحة مضاءة كليًّا. يدخل أحدهم حاملًا مكنسة، ويشرع بالتكنيس: يقوم بذلك بعناية فائقة، من دون أن يكون هناك شيء ليكنسه، حتى أنه يتوقَّف ليمسح العرق عن جبينه).

(عتمة).

(الفسحة مُضاءة بما يكفيهما).

متكلـــــــــم (يتوجَّه إلى أحدهم ويمسك بقميصه): أتسمعني؟

متكلـــــــــم : طبعًا. أنا أمامك.

هذا لا يكفي.

متكلـــــــــم : ما تطلب؟

أن تكون مستعدًّا للاستماع.

هذا مرهون بما ستقول.

متكلـــــــــم : أتستمع إذن؟

عمَّا تريد أن تحدِّثَني؟

عن حلمي.

أيُّ حلم؟

حَلُمْتُ للتَّوِّ أنني كنت في الهند: رأيت فيها قصورًا مُغْلَقَةً كنت قد رأيتها في غرناطة، من دون أن يجيبني الحارس عن أسئلتي.

متكلـــــــــم : هذا طبيعي.

متكلـــــــــم : كيف ذلك؟

متكلـــــــــم : الحلم مثل الشعر ينقل الأشياء، لا يرافقها.

متكلـــــــــم : كان لي أن أقول هذا القول.

متكلـــــــــم : لكنك لست مُمَثِّلًا. المهم أن يُقال.

متكلـــــــــم : هذا لا يصلح لعقد بيننا.

متكلـــــــــم : لكنه يصلح لنا معهم.

متكلـــــــــم : مَن هُمْ؟

متكلـــــــــم : الذين تابعونا حتى هذه اللحظة.

متكلـــــــــم : أستعيد القول: الحلم مثل الشعر ينقل الأشياء، لا يرافقها. ولكن ماذا يعني؟

متكلـــــــــم : لا أُحْسِنُ الجواب.

متكلـــــــم : لِمَ لا؟

متكلـــــــم : أنا أحادث فقط.

متكلـــــــم : حسنًا. متى وصلت؟

متكلـــــــم : لم أغادر لأعود. أنا أتنزَّه فقط.

(يتملَّص منه، ويتابع المشي).

رجاءً، توقَّفْ.

متكلـــــــم (يتوقف): ما تريد؟

أريد أن أستكمل المحادثة.

متكلـــــــم : أتعرف أنك تشبه أحد المارَّة، الذي استوقفني ذات يوم وطالبني بعود ثقاب، ولمَّا أجبته بالنفي طالبني بسيجارة، ولمَّا أجبته بالنفي مرة أخرى زعق في وجهي: حسنًا. كم الساعة الآن؟

(يتابع مشيه).

صحيح. أنت لا نَفْعَ منك.

(عتمة).

(في العتمة، عبر مكبِّر): نداء أخير، نداء أخير.

(تحدث جلبة مختلفة الأصوات والأسباب، فيما يتكشَّف الضوء عنها: اثنان يأتيان بمقعد، وآخر بعامود له فانوس، وثلاثة بكشك جرائد، ويثبتونها في أمكنة بعينها، وفق توجيهات «المخرج» الذي يتقدَّمهم).

المخـــــرج : إنهم يَصِلُون فلا يغادرون.

يمشون فلا يَصِلُون.

يتزاحمون كما لو أن الباب يَسَعُ لدخول واحد منهم فقط.

(تظهر فوق الحائط الأبيض ساعة حائطية من دون عقارب. يتأكَّد «المخرج» من انتظام المشهد، ثم يدعو عددًا من الداخلين إلى الخروج، يأتي بأحدهم ويدعوه للجلوس، ويُسِرُّ لواحدٍ آخر ببعض كلمات، ثم يخرج).

كتاب / شربل داغر جـ١ المجموعات الشعرية/ اندزين ٦/ القسم الفني

متكلـــــــم : (من جهة غير معلومة): سبقوني إلى حيث لي أن أكون.

سبقوني إلى الجلوس من دون أن أمسح الغبار.

المخــــرج : (غاضبًا): مَن دَعاكَ إلى الكلام!

صـــــوت : لا أحتاج إلى إذن. أنا أتسلَّل ولا أصطفُّ في بيت عمودي.

أجتاز أو أتوقَّف، إن شئتُ. الهواء يحالفني، أستلقي فيه، في أرجوحة.

متكلـــــــم : لن تنعم على أي حال بأي نور، بأي ظهور.

متكلـــــــم : هذا يريحني، لا يربكني. أَلَا تراني مستريحًا من دون مقعد؟

أَلَا تراني ضليعًا في ما يجري من دون حاجة لِمُلَقِّنٍ مسرحيٍّ؟

أَلَا تراني خفيفًا مثل فراشة، وجَهْمًا مثل احتباس شفتَيْن؟

(يعود «المخرج» من جديد إلى تكرار ما سبق أن قام به: يأتي بأحدهم ويدعوه للجلوس، ويُسِرُّ لواحد آخر ببعض كلمات، ثم يخرج).

(على مقعد، وإلى جانبه حقيبة).

متكلـــــــم (يقترب منه): لُطْفٌ منك أن تكون على الموعد.

متكلـــــــم (من دون أن ينظر إليه): من أنت؟

تُحادِثُنا سابقًا.

متَّى؟

متكلـــــــم : كنت على أُهْبَةِ الانطلاق.

(يجلس إلى جانبه؛ يستكمل حديثه): أَأَنْتَ سرقت الرسالة؟

لا، وجدتها في علبة البريد.

أكانت موجَّهَةً إليكَ؟

متكلـــــــم : أنت قليلُ أدبٍ (يمسك بحقيبته ويعود القهقرى).

باب المغادرة من هنا (يدله إلى جهة غير التي سلكها).

(يتساءل): أهو من كنت أنتظر فعلًا؟ فاتني مرة جديدة إمكان النظر إلى فمه؛ فأنا أتعرف على الناس من شفاههم، من الشفة العليا خصوصًا. (شارحًا) فهناك شَفَةٌ تُطْبِقُ على أخرى مثل شفرة حلاقة، وثانية تضغط كما لو أنها تَلْثُم شفتها الأخرى أو تضغط عليها قبل انفجار بكاء، وأخرى تتردَّد قبل مجيء الكلام...

(عتمة).

الكناس (الفسحة مضاءة كليًا. يدخل أحدهم حاملًا مكنسة، ويشرع بالتكنيس: يقوم بذلك بعناية فائقة، من دون أن يكون هناك شيء ليكنسه، حتى أنه يتوقَّف ليمسح العرق عن جبينه).

العامود : (فانوسه مُضاء): يكفيني هذا الضوء القليل... يكفيني أن أكون ساهِمًا في مقعدي، ويَقِظًا من دون خُطًى.

يكفيني النظر وحسب إلى ما يبقى بينهم فيما يتدافعون، إلى ما يعبر بين العيون من دون أن ينتبهوا إليه.

ما في مقدوري هو أن أطيل النظر إلى ما يحدث وأكتشفه.

(بعد تردُّد) أَلِي أن أشارك في ما يجري؟

المخرج (متدخِّلًا بصوته، من العتمة): لكَ أن تكون متكلِّمًا وحسب.

العامود : مثل بقية المتكلِّمين؟

المخرج (في العتمة أيضًا): لك أن تتكلم، لا أن تتحرَّك.

العامود : أَلِي أن أمشي واقفًا في مكاني؟

المخرج المخرج (في العتمة أيضًا): إن شئت.

(وقفة).

العامود (فانوسُه مُضاء): أمشي من دون أن أتقدَّم.

أتصفَّح من دون أن أطوي.

يستعملونني في القصيدة كما فوق الرصيف.

أنا مثل مقْبَضِ باب... مِقْبَضٌ سواء للخروج أو للدخول.

(عتمة).

(أحدهم مُسْتَلْقٍ فوق المقعد الخشبي. يقترب أحدهم منه، ويتوصَّل من دون جهد كبير إلى سحب رسالة من جيبه الداخلي. وما أن يشرع في فتحها يستيقظ المستلقي):

هي لي، هاتِها.

لا، هي له (بعد أن يقذف بالرسالة إلى أحدهم مِمَّن كان مارًّا. هكذا يتقاذف المتكلِّمون الرسالة بين أيديهم، فيما يسعى المستلقي إلى استعادتها: لا ينجح في ذلك، بل ينتهي المتكلمون إلى ضربه، إلى إنزاله أرضًا، وسط صراخٍ عالٍ لا يلبث أن يَخْفُتَ مع خُفوت الضوء عنهم).

(متكلِّمون أمام كشك جرائد: الجرائد مُصَفَّفَة في رفوف، ويقف إلى جانبها أحدهم ممَّن يتولَّى مَسْحَ الغبار عنها والعناية بها).

هل اشتريت جريدة الصباح؟

متكلـــــــم : لِمَ تسأل؟

متكلـــــــم : لأنني أتحقَّق من وجود جرائد كثيرة، ما يدلُّ على إقبال عليها.

متكلـــــــم : بل يدلُّ على العكس، ربَّما.

متكلـــــــم : لعلَّنا نجد فيها خَبَرًا عن الرسالة المسروقة.

متكلـــــــم : أهي وصيَّةٌ فعلًا؟

متكلـــــــم : لا، قد تكون رسالةً شخصيَّةً.

متكلـــــــم : أو فاتورة مُؤَجَّلَةُ الدَّفْعِ، يتوجَّب دَفْعُها مِمَّن تَقَعُ عليه.

متكلـــــــم : لكنه لم يستلمها باسمه.

متكلـــــــم : مَن قال لك ذلك؟

متكلـــــــم : الغائب.

متكلـــــــم : ومَن هو الغائب؟

متكلـــــــم : الذي لا يشارك في التَّكالُمِ.

متكلـــــــم : أيُّ تَكالُمٍ؟

متكلـــــــم : الذي يجري بيننا.

متكلـــــــم : هذه لعبة كلام، إذن.

متكلـــــــم : أتعرف لعبة «السينيال» في المدرسة؟

(يشرحها له) مَن يخطئ في الكلام، أيْ مَن يتكلَّم بغير الفرنسية الواجبة في هذه اللعبة المدرسية؛ يَنْتَهِ إليه «السينيال».

متكلـــــــم : وما هو هذا «السينيال»؟

متكلـــــــم : خشبة صغيرة، علامة، تدلُّ على مَن زَلَّ لِسانُه.

متكلـــــــم : المهم أن لا يكون «السينيال» في جيبك عند الغروب.

متكلـــــــم : في نهاية اللعبة.

متكلـــــــم : أين الرسالة؟

متكلـــــــم : في جيب الغائب.

متكلـــــــم : أين هو؟

متكلـــــــم : قاعِدٌ في وحشة الكلام.

(عتمة).

(يدخل «المخرج» مصطحبًا سيدة بملابس سوداء: يشرح لها أمورًا ويخرج).

(تتجه السيدة إلى جهة محددة، وتقف مثل من يتوقف أمام سياج: تسند ساعديها إلى هذا السياج الوهمي، كما في وضعية انتظار).

(من جهة غير معلومة): من هي؟

صـــــــو ت (من جهة غير معلومة): لِمَ لَمْ تَقُلْ: مَن هو؟

صـــــــو ت (من جهة غير معلومة): لأنها مُتَّشِحَةٌ بالسواد.

صـــــــو ت (من جهة غير معلومة): ولِمَ تَوَجَّهْتَ إليها بالمؤنَّث؟

صـــــــو ت (من جهة غير معلومة): وما الضَّرر في ذلك؟
صـــــــو ت (من جهة غير معلومة): ألسنا مُتَكَلِّمين بالسواسية؟
صـــــــو ت (من جهة غير معلومة): ربما. إلا أن اللغة تُحالِفُ المُذَكَّرَ دومًا.

(تتابع السيدة وقفتها كما لو أن المحادثة لم تبلغها؛ ثم تَقْفُلُ راجِعَةً من حيث أتت.)

(عتمة).

(العامود والمقعد بما ينيرهما وحدهما).

العـامـــود : أليس لي أن أُوَجِّهَ لكَ التحيَّةَ، أيُّها المقْعَدُ؟
المقعـــــد : نحن جاران حُكْمًا، أيها العامود، وإن لا نتبادل الكلام أبدًا.
العـامـــود : أرجوك، لا تَأْبَهْ لِكَوْني واقِفًا، ولكونِكَ قاعِدًا.
المقعـــــد : أعرف ذلك. أعرف ذلك. ولكن ماذا تريد أن تقول لي؟
العـامـــود : كنتَ ساكِتًا، ووحيدًا. أأنتَ مُرْغَمٌ على ذلك؟ أأنتَ صاغِرٌ ومُنْصاعٌ؟ أأنتَ مُمْتَنِعٌ عن الكلام طَوْعًا؟
المقعـــــد : أنتَ تريد استفزازي، ليس إلَّا.
أنا لست متضايقًا من حالي: من أن أصغي.
العـامـــود : لكنك تتحمَّل كثيرًا، أليس كذلك؟
المقعـــــد : هذا يعنيني. أنا مندمجٌ في ما أنا عليه.
العـامـــود : لعلي خاطبتُك من مكاني العالي.
المقعـــــد : خاطبتَني على أنني أدنى منك مقامًا!
العـامـــود : لكلِّ مقامٍ مَقال.
المقعـــــد : لا، أنت مخطىء. أنا وأنت متساويان في اللغة.
العـامـــود : أنت تُناكِفُ.
المقعـــــد : (لا يجيب).

العـــامــــود : هل اطَّلَعْتَ عمَّا كتب في الرسالة؟

المقعـــــــد : (لا يجيب).

العـــامــــود : ألا تعتقد أنهم لا يقرأونها؟ ألا تعتقد أنهم يخمِّنون أو يراهنون؟

المقعـــــــد : أعتقد أنهم يلعبون.

العـــامــــود : أوووف.

متكلـــــــم : (الضوء يتبعه حيثما يتمشى؛ ويتكلم كما لو أنه يجيب عن سؤال طُرح عليه للتو):

ما لي وما بالي

وما الذي غيَّبني عن حالي

أَمَا فيكم مَن يقابلني بوجهه

ويقابلني بما عنده؟

متكلـــــــم (في العتمة): أتتوجَّه إليَّ بالسؤال؟

متكلـــــــم (من دون أن يلتفت إلى جهة الصوت): ابقَ في العَتَمَة.

متكلـــــــم (في العتمة): لكنَّكَ طَرَحْتَ السؤال على غيرك.

ابقَ في العتمة. ألا يقوى أحد على الكلام من دون أن يبرز أحدهم أمامه؟!

متكلـــــــم (في العتمة): أنا مستمع على أي حال، وأنت تعرف بوجودي. أنا فيك، مشتمِلًا بما تقول.

متكلـــــــم : كفى! أنت تقرأ في كتاب!

(يتوقف عن المشي منتظرًا الجواب الذي لا يأتيه؛ ثم يستعيد كلامه السابق):

ما لي وما بالي

وما الذي غيَّبَني عن حالي

أما فيكم مَن يقابلني بوجهه

ويقابلني بما عنده؟

(يتوجَّه بنظره في غير جهة، من دون جدوى، كما لو أنه ينتظر ردًّا ما: يدير ظهره ويختفي).

(عتمة).

صـــــــــو ت (في العتمة): وأنا مَن يَكْفُلُني؟

أما عاد في إمكاني أن أتكلّم من دون شريك؟

أما عاد في إمكاني أن أتجوّل مثل نسيم بين أصابع، أو بين شفتين؟

أليس لي أن أرى فلا أُسَمِّي؟ وأن أتأمّل من دون أن أَصِلَ إلى محطة؟

أليس لي أن أكون هنا وهناك وفي الخفاء؟

أليس لي أن أتلوّى من دون أن أتقدَّم؟

المخــــــــر ج (في العتمة): ها أنت تَنَفَّسْتَ الصُّعَداءَ.

: ما أبشع هذه العبارة!

المخــــــرج : سكوت.

: هل أبقى متكلِّمًا في الخلاء؟

(مستكملا بعد توقف): أدور حوله على أنه موجود فيما أنا الذي يوجده؛ ولا يقوم إلا في كلامي، وإن كنت أعتقد بأنني أراه.

المخــــــرج : هل ارتحتَ؟ سكوت.

المخــــــرج جملة أخيرة: كما لو أنني أتنقّل فوق سِلْكٍ معدنيٍّ قويٍّ ورفيع...

المخــــــرج : يكفي.

: لَمْ أُنْهِ الجملة: كما لو أنني أتنقّل فوق سلك معدني قوي ورفيع، فيما تنتابني أحوالٌ بل دَفْعاتٌ مُتَمَوِّجَةٌ.

(على مقعد، وإلى جانبه حقيبة).

متكلــــــم (يقترب منه): لُطْفٌ منك أن تكون على الموعد.

متكلــــــم (من دون أن ينظر إليه): مَن أنت؟

متكلــــــم : تَحادَثْنا بالأمس.

متكلــــــم : متى؟

متكلـــــــم : كنتُ على سَفَرٍ.

(يجلس إلى جانبه؛ يستكمل حديثه): هل عرفت مضمون الرسالة؟

متكلـــــــم : لا، وجدتها في علبة البريد.

متكلـــــــم : مَن كان مُرْسِلَها؟

متكلـــــــم : أنت قليلُ أدبٍ.

(يمسك بحقيبته ويعود القهقرى).

متكلـــــــم : باب الرحيل من هنا (يدله إلى جهة غير التي سلكها).

هو من التقيته قبل مرة. لا أُحْسِنُ اجتذابَه، ولا حتى النظر إلى وجهه. ففي ذلك ما كان سيجبره على تَتِمَّةِ الكلام.

(عتمة).

(متكلم يستوقف متكلِّمًا آخر أثناء تنقُّله، على أن الضوء يشملهما وحدهما).

متكلـــــــم : هل تعرفني من أنا بمجرد صدور الكلام عني؟

متكلـــــــم : هكذا من دون ثياب؟ من دون تعابير؟

متكلـــــــم : نعم.

متكلـــــــم : متكلم : لا، هذا صعب.

متكلـــــــم : إذن لما تقف أمامي؟

متكلـــــــم : لأنَّكَ توجَّهْتَ بالحديث إلى مخاطَبٍ.

متكلـــــــم : إليك أو إلى غيرك.

متكلـــــــم : ماذا لو قلتُ قصيدةً؟

متكلـــــــم : سيكون عليَّ أن أدخل إلى غابة.

متكلـــــــم : وماذا لو تكلَّمتُ؟

متكلـــــــم : سأكون حَكَمًا فوق خشبة مسرحية.

متكلـــــــم : وماذا لو ضربتُك كَفًّا؟

متكلـــــــم : سأرُدُّ لكَ الصَّاعَ صاعَيْن.

متكلـــــــم : لن أعود بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ.

متكلـــــــم : لا، ستعود بأكثر من قافية واحدة.

متكلـــــــم : مثل القاضي في «قُمْ»؟

متكلـــــــم : هل يشارك القاضي في كلامنا؟

متكلـــــــم : لا، يشارك في هذه الجُمَل وحَسْبُ.

متكلـــــــم : ولكن ماذا فعل؟

متكلـــــــم : أَمَا أَطْلَعَتْكَ الكُتُبُ على ما جرى للقاضي؟

متكلـــــــم : ماذا فعل؟

متكلـــــــم : القاضي لم يفعل شيئًا، بل الحاكم.

كان على الحاكم أن يمدح عمل القاضي لمَّا أتاه إلى مِقَرِّ حُكْمِه، فقال له:

يا قاضينا بِقُمْ، قد... عزلناك فَقُمْ.

متكلـــــــم : ما هذا!

متكلـــــــم : كان يريد أن يَمْدَحَهُ لكن القافية لم تُسْعِفْهُ.

متكلـــــــم : عاد إلى «قُمْ» بقافيةٍ وحسب.

متكلـــــــم : لا. خَرَجَ من المحكمة، لكنه دخل إلى كتب الأدب.

متكلـــــــم : أَيُرْضِيكَ هذا؟

متكلـــــــم : يرضيك بمجرد أن يَذْكُروكَ في الجريدة، ولو في باب الشَّتْمِ.

متكلـــــــم : لا، هذا يرضيك أنت وحدكَ: تكتفي بمجرد تلاوة جملة أو جملتين في هذا الكلام.

(عتمة).

(المُتَّشحة بالسواد من جديد، وفْقَ وقفتها السابقة).

متكلـــــــم (من جهة غير معلومة): لا تزال تنتظر.

متكلـــــــم (من جهة غير معلومة): هل تنتظر إشارة السفر أم تستقبل غائبًا يتأخَّر في المجيء؟

متكلـــــــــم (من جهة غير معلومة): ها أنت، من جديد، تستعمل علامات المُؤَنَّثِ.

متكلـــــــــم (من جهة غير معلومة): طبعًا.

متكلـــــــــم (من جهة غير معلومة): لماذا؟

متكلـــــــــم (من جهة غير معلومة): لقد قرأت في أوراق «المخرج» إنها «مُتَّشِحَةٌ بالسَّواد».

متكلـــــــــم (من جهة غير معلومة):

هذه امرأة مُتْعَبَة

لا تَقْوَى على الكلام

رَأَتْ ما رَأَتْ

رَأَتْ واكْتَفَتْ

أمنية لها فقط:

هي في يأس السُّهادِ

وهُمْ في ثوب الحداد.

متكلـــــــــم : (من جهة غير معلومة): لكنها هي التي في ثَوْبِ الحِداد.

(ثم يستعيد القول): لعلَّك تقرأ في كتاب!

متكلـــــــــم : (من جهة غير معلومة): أنت تُناكِفُني من جديد. المهم أن يدور الكلام على مُتَكَلِّمِيه.

(تتابع وقفتها كما لو أن المحادَثَة لم تبلغها؛ ثم تقفل راجعة من حيث أتت).

(عتمة).

(مجموعة متكالمين يتحادَثون همسًا).

متكلـــــــــم : (واصلا إليهم): توقَّفوا. أنا أرسلت الرسالة.

متكلـــــــــمون : إلى من؟

متكلـــــــــم : (الواصل): إلي.

متكلـــــــــم : كيف ذلك؟

متكلـــــــم (الواصل): أرسلت رسالة إلى أبي حيان التوحيدي فعادت من جديد إلى عنواني الخاص، مع العبارة: «غير معروف في هذا العنوان».

متكلـــــــم : أين الرسالة؟

متكلـــــــم (الواصل): أرسلتها بعد تبديل المظروف إلى أبي العلاء المعري.

متكلـــــــم (يسعى إلى الإمساك به، وهو يقول): لِمَ لَمْ تُرْسِلْها إلى شرلوك هولمز؟

متكلـــــــم (الواصل، متملِّصًا منه وهاربًا): لكي يستمر البحث عنها.

(عتمة).

متكلـــــــم (يتوجَّه إلى غيره فيما يحادث نفسه أثناء تمشِّيه): يا هذا، حدِّثْني الآن عنِّي، وأَسْمِعْنِي منِّي.

متكلـــــــم (في العتمة): هذا القولُ ليس لَكَ.

متكلـــــــم : وما الضَّرَرُ من ذلك؟

متكلـــــــم (في العتمة): أن لا تكون محادَثَة، بل تعليق على موضوع وحسب...

(بعد تردُّد):... كما في فروض الإنشاء، في الدراسة الابتدائية.

متكلـــــــم (شارحا): قُمْ بوصف رحلة بحرية، وعَبِّرْ عن شعورك وعواطفك.

متكلـــــــم : أيكون تمرينًا كتابيًّا؟

متكلـــــــم (في العتمة): ستصف الرحلة البحرية من دون أن تكون قد عرفتَ البحر بَعْدُ.

متكلـــــــم : يا هذا، حَدِّثْني الآن عنِّي،

وأَسْمِعْنِي منِّي.

(يكرِّر قولَه هذا مرة ثانية وثالثة إلى أن يظهر أحدهم: يتقدَّم الداخلُ بتصميمٍ باتجاه المتكلِّم ويصفعه على خدِّه، فيردُّ المتكلِّمُ بِقَوْلِهِ:) لِمَ ضربتني؟!

متكلـــــــم : لماذا تقف في طريقي (يقولها فيما يستكمل طريقه بالتصميم عينه)؟!

(عتمة).

متكلـــــــم : الكنَّاس (الفسحة مُضاءة كُلِّيًّا. يدخل أحدهم حاملًا مكنسة، ويشرع بالتكنيس: يقوم بذلك بعناية فائقة، من دون أن يكون هناك شيء ليكنسَه، حتى أنه يتوقَّف ليمسح العرق عن جبينه).

متكلـــــــم (يستوقف أحدهم الذي يحمل حقيبة في يده اليمنى): توقَّفْ.

(لكنه يتابع مشيه.)

متكلـــــــم (من جديد): توقَّفْ، توقَّفْ.

(يتوقف، إلَّا أن المتكلِّمَ يسعى إلى انتزاع الحقيبة منه. لا ينجح، بل يصرخ): تعالوا، الرسالة في حقيبته.

(يصل عدد منهم، ويشرعون في أخذ الحقيبة منه، وما أن ينجحوا في ذلك، يفتحون الحقيبة ويخرجون جسمًا كرتونيًّا له هيئة أنبوب، فيصرخ أحدهم): هي لي.

متكلـــــــم : لا، هي لي.

متكلـــــــم : أنا الذي تنبَّهْتُ إلى وجودها.

متكلـــــــم : أنا الذي نجح في القبض عليها.

(يتبادلون الجُمَلَ فيما يتعاركون. يستمرُّون في العراك فيما يَكِرُّ الجسم الكرتوني من تحت أرجلهم، إلى أن ينتبه إلى ذلك أحدُ العابرين: يفتح الجسم الأنبوبي ويرى ما فيه، ثم يصرخ فيهم): توقَّفوا. توقَّفوا. عَمَّ تختصمون؟

متكلـــــــم (يتوقف عن العراك): الرسالة معه. توقَّفوا.

متكلـــــــم : القوة معه. توقَّفوا.

(يتوقف الجميع، فيما يعلو المُمْسِكُ بالجسم الأنبوبي المقعد، ثم يتوجَّه إليهم بالقول): آن لكم أن تُقِرُّوا بسطوتي. الوصية تثبت ذلك، فأنا الوارث الوحيد، الأكيد.

متكلـــــــم : هذا ما أعرفه منذ وقت (يعتلي المقعد بدوره، ويقف إلى جانبه).

متكلـــــــم : هذا ما تكشف عنه نبرته الآمرة (يعتلي المقعد بدوره، ويقف إلى جانبه).

متكلـــــــم : هذا هُراءٌ. هذا افتراء.

متكلـــــــم (الواقف على المقعد): أنا قلتُها. أنا قلتُها.

متكلـــــــم (الواقف أرضًا): بما أنَّكَ قُلْتَها فهي ليست صالحة.

متكلـــــــم (الواقف على المقعد): ولو قُلْتَها أنتَ؟

متكلـــــــم (الواقف أرضا): لكانت صالحةً مُؤَكَّدًا.

توقفوا. نُقِرُّ بما تقوله الوصية وحدها.

متكلـــــــم : لكن معاوية لم يكتب شيئًا في رسالته.

متكلـــــــم : متى؟

متكلـــــــم : بعد أن أرسل إليه عليٌّ بمبعوث ورسالة، يطالبه فيها بأن يبايعه.

متكلـــــــم : لو كتب معاوية لكان اعترف ضِمْنًا على الأقل بخلافة علي، ولو رفض الكتابة إليه لكان أعلن العصيان عليه.

متكلـــــــم : ماذا فعل معاوية إذن؟

متكلـــــــم : أرسل رسالة بيضاء.

متكلـــــــم : هذا دهاءٌ من معاوية.

متكلـــــــم : لكن الحرب وَقَعَتْ بينهما.

متكلـــــــم (الواقف على المقعد): هذا لا يفيدنا. لِنُقِرَّ بما تقوله الوصية.

متكلـــــــم : هذا يلزمك وحدك (ينجح في انتزاع الجسم الأنبوبي من ماسكه، ويدبُّ العِراكُ فيما بينهم فيما يخفُّ الضوء عنهم تباعًا).

متكلـــــــم : (من جهة غير معلومة): أينهم؟ ماذا جرى لهم؟ ألا يكون سكوتهم دليلًا على ارتباكهم؟

متكلـــــــم : المخرج (داخلًا، غاضبًا): لا، أنتَ صَوْتٌ فقط: تتسلَّل في العتمة، حيث لا يتكلَّمون.

متكلـــــــم : لا، العَتَمَةُ ضاجَّةٌ إن أَحْسَنْتَ الإصغاء.

متكلـــــــم : هذا لا يناسِبُ العَرْضَ.

متكلـــــــم : لست ملتزمًا بأيَّةِ قاعدة. أنا لا أنتظم في صفٍّ.

أتنقَّل في قصيدة، أتنقَّل في غابة.

متكلـــــــم : لكن ما أن نتكلم نكون فوق خشبة مسرحية.

متكلـــــــم : قيل هذا سابقًا. أنت تريد أن تقودني إلى حيث تكون.

متكلـــــــم : طبعًا. العباقرة وحدهم يصلون سريعًا...

متكلـــــــم : والحمقى أيضًا.

متكلـــــــم : قَفْلَةٌ مُوَفَّقَةٌ. عملي ينتظرني، لا يَسَعُني البقاء (مغادِرًا).

متكلـــــــم (في العتمة): لا يهم! أتدبَّر أمري. حتى الصدى لا يرافقني!

أتقدَّم من دون حقيبة، من دون لحن.

تكفيني ارتعاشةُ شفاهي، ما أن أُقبل على أشياء ووجوه ومشاهد كما لو أنني أراها للمرة الأولى.

أنا للمرة الأولى فقط.

المخـــــــرج (زاعقًا في العتمة): برافو. يكفي.

متكلـــــــم (داخلًا): قليلًا من النور، أرجوك.

المخـــــــرج (في العتمة، ينير بما يسمح برؤية المتكلم الوافد): ما تريد؟

متكلـــــــم : سقط مني لفظٌ قبل وقت...

... أين؟

متكلـــــــم : هنا، حيث أقف.

متكلـــــــم : خُذْ ما شِئْتَ. اذهب إلى كُشْكِ الجرائد.

متكلـــــــم : أريده هو.

متكلـــــــم : ما هو؟

متكلـــــــم : نسيته. هل يمكن أن نعود إلى الخلف؟

متكلـــــــم : ألم تسمع ما قلت؟

(مستعيدًا أحد أقواله السابقة) ما يجرى هو ما يجري الآن. لا غير.

ما يجرى لن يجري بَعْدُ. أبدًا.

متكلـــــــم : إنه لأمر مؤسفٌ حقًّا (يبكي). ما عرفت شعورًا بالفقدان مثل هذا.

(عتمة).

متكلـــــــم (واقفًا على المقعد): يا ناس. يا ناس.

متكلمـــــون : ماذا تقول؟

متكلـــــــم الخبر سارٌّ: وجدت الرسالة.

متكلمـــــو ن (في صرخة من الفرح): واو.

متكلـــــــم : الخبر مُؤْسِفٌ: الرسالة معطوبة.

(يخرج من جيبه ورقة) ها هي.

متكلـــــــم (يرتفع إلى حيث يقف): لكنها من دون كلام.

متكلـــــــم : نعم. ذلك أنني قطعت جبالًا وصحارى قبل أن أتوفَّق بها.

متكلـــــــم (الواقف إلى جانبه): ولكن كيف ذلك؟

متكلـــــــم : كانت ذخيرتي قد نَفَدَتْ، وكذلك زادي، حين وصلت إلى بحر هائج: غُصْتُ فيه من من دون أملٍ بالرجوع لكنني فُزْتُ بها.

متكلمـــــون : كيف ذلك؟

متكلـــــــم : نجحت في قراءتها قبل أن يمحو الموجُ حروفَها.

متكلـــــــم (الواقف إلى جانبه): وما الدليل على ما تقول؟

متكلمـــــون : نريد دليلًا. نريد إثباتًا.

متكلـــــــم : ماذا تطلبون؟ صدِّقُوني. هناك شهودٌ عديدون على ما جرى.

متكلـــــــم (الواقف إلى جانبه): أَيْنَهُم؟ أيمكن سَماعُ شهاداتهم؟

متكلـــــــم : لقد غرقوا.

متكلـــــــم : قُلْ لي: الورقة وحدها مُبَلَّلَة، لا ما تلبس.

متكلـــــــم : مَرَرْتَ على البيت...

متكلمـــــون : ... لا، على المُخْرِجِ على ما يبدو.

متكلـــــــم : ما كانت تقول الرسالةُ؟

متكلـــــــم : الطاعة، الطاعة، الطاعة...

(يُنْزِلُونَهُ من المقعد ويشرعون في ضربه.)

متكلـــــــــم (يسحب من جيبه هاتفًا نقَّالًا، ويضرب بعشوائية عددًا من الأرقام): آلو.

متكلـــــــــم (على طرف السماعة، عبر مكبِّر الصوت): ...

متكلـــــــــم : هل كنت فعلًا على السفينة التي غرقت؟

متكلـــــــــم (على طرف السماعة، عبر مكبِّر الصوت): ...

متكلـــــــــم : أريد أن أعرف ما إذا عرفت بمضمون الرسالة.

متكلـــــــــم (على طرف السماعة، عبر مكبِّر الصوت): ...

(تستمرُّ المحاورة الهاتفية المُرْتَجَلَة ما شاء المتكلِّمُ المجهول على الطرف الآخر من السمَّاعة).

(عتمة).

(المُتَّشِحَةُ بالسواد من جديد، وفق وقفتها السابقة).

متكلـــــــــم : (من جهة غير معلومة): لا تزال تنتظر.

متكلـــــــــم : (من جهة غير معلومة): ألا تحسن عملًا تقوم به غير الانتظار؟ ألا تخرج بغير لِباسِ الحداد؟

متكلـــــــــم : (من جهة غير معلومة): قد تكون استعارةً متأخِّرَةً...

متكلـــــــــم : (من جهة غير معلومة):... أو لُغْزًا.

متكلـــــــــم : (من جهة غير معلومة): قد تكون صِفَةً وحسب: مُتَّشِحَة بالسواد، فقط لا غير.

(تدخل مُتَّشِحَةٌ بالسواد، أخرى: تتبادلان حوارًا ينتهي بهما إلى قهقهة عالية، ثم تقفلان عائدتين).

(عتمة).

متكلـــــــــم (يسحب من جيبه هاتفًا نقَّالًا، ويضرب عددًا من الأرقام): آلو؟ شربل داغر على الخطِّ؟

متكلـــــــــم (على السمَّاعة): ما تريد؟

متكلـــــــم : كفى تلاعُبًا بأعصابنا! فأنت الوحيد الذي اطَّلَعْتَ على مضمون الرسالة.

متكلـــــــم : عن أي رسالة تتحدَّث؟

متكلـــــــم : ألا يجري الحديث في قصيدة عن «وصيَّة مُشِعَّةٍ»؟

متكلـــــــم : بَلَى.

متكلـــــــم : ألا يجري الحديث في قصيدة أخرى عن «رسائِلَ مختومةٍ من دون كلام»؟

متكلـــــــم : بَلَى. هذا ما سَبَقَ أن قَرَأْتُ.

متكلـــــــم : لا، هذا ما سبق أن كَتَبْتَ.

(عتمة).

متكلـــــــم : لعلها وديعةٌ مُرْجَأَةٌ.

متكلـــــــم : لعلها وصية غير مكتوبة بعد.

متكلـــــــم : أهي ورقةٌ للقراءة أم للكتابة؟

متكلـــــــم : لعلها وصايا متتابعة واقعًا. لعل الورثةَ مطيعون، ومنافقون في آنٍ.

متكلـــــــم : أي هذه الوصايا صالحة؟ أهي وصية قَيْدُ التصحيح؟

(يقولون جُمَلَهُم ويكرِّرونها، فيما ينزعون موادَّ الديكور).

متكلـــــــم : أين «المخرج»؟

المخـــــــرج (من العتمة): ما المطلوب؟

متكلـــــــم : هل انتهى الأمر؟

متكلـــــــم : هذه دورات كلام.

متكلـــــــم (فيما ينسحب): أَلَمْ أَقُلْ لكَ إنهم يمضون الوقت؟

متكلـــــــم : لا، سبق أن قلت:

ما يجري هو ما يجري الآن. لا غير.

ما يجري لن يجري بعد. أبدًا.

الكناس (الفسحة مُضاءة تمامًا، وخالية. يدخل أحدهم حامِلًا مكنسة، ويشرع بالتكنيس: يقوم بذلك بعناية فائقة، من دون أن يكون هناك شيء ليكنسه، حتى أنه يتوقَّف ليمسح العرق عن جبينه): ما يبقى؟

هل يبقى؟

متكلـــــــم (في العتمة، فيما يستعيد الكنَّاس عمله من جديد أثناء المحادثة التالية): وماذا عن هذا الكنَّاسِ؟ ليس له ما يفعله واقعًا ومع ذلك يقوم به!

متكلـــــــم (في العتمة): قد يكون الحارس.

متكلـــــــم (في العتمة): حارِسُ السَّاحةِ أم حارِسُ الحدود؟

متكلـــــــم (في العتمة): ربما حارس الكلام.

(عتمة).

الكنـــــــاس (الفسحة مُضاءة تمامًا، يكرِّر عمله السابق): ما يبقى؟

هل يبقى؟

متكلـــــــم (في العتمة): يبقى صوتي.

الشاشة (في الحاسوب المضاء): يبقى نور حروفي.

المخـــــــرج (داخلا): يبقى أَلَقٌ في عيون مَن استوقَفَهُم الكلامُ.

متكلمـــــو ن (يدخلون إلى الفسحة بترتيبٍ بَيِّنٍ، كما في نهاية مسرحية لِتَقَبُّلِ تصفيق الجمهور): يبقى كلامنا العابر في أجساد عابرة.

الكنـــــــاس (أثناء المحادثة الأخيرة ينتزع من جيبه جهازًا إذاعيًّا صغيراً: يتنقَّل بين إذاعات مختلفة إلى أن يتوقَّف عند موسيقى هادئة، التي تعلو بما يحجب أصوات المتكلِّمين).